عدد 2
2020

مجلّة فصليّة تصدر عن اتحاد إذاعات الدول العربية

الفهرس

إضاءات

الاتحاد سندا عند الأزمات — المهندس عبد الرحيم سليمان — 4

الملف

جائحة كوفيد 19..وتداعياتها!

كورونا تربك أنظمة العمل والإنتاج في هيئات الإذاعة والتلفزيون — 6

المدخل — أ. محمد رؤوف يعيش — 6

- كورونا والشاشات العربية : اختلال الموازين في العمل التلفزيوني — د. ناجح الميساوي — 7
- تأثيرات أزمة كوفيد 19 على القنوات التلفزيونية العمومية بالدول العربية — أ. شيماء باحسين — 23
- التناول الإعلامي لجائحة كورونا وتداعياتها الصحية والاجتماعية والنفسية والبيئية — د. عبد الرزاق الدليمي — 37
- ما بعد كورونا : نكسة «حداثة الغرب»أمام «الموت القادم من أقصى الشرق» — د. صابر فريحه — 49
- كوفيد 19 : الجائحة «العولميّة» الأولى — أ. محمود بوناب — 60

امتدادًا للملف

- أخلاقيات الاتصال زمن الرقمنة والعولمة — الأستاذ رؤوف الباسطي — 71

أنشطة الاتحاد 81

الاجتماع (103) للمجلس التنفيذي
ضبط خطة عمل الاتحاد للمرحلة القادمة

أكاديمية التدريب الإعلامي 88

ورهانها الاستراتيجي على التدريب عن بعد

مستجدات في تكنولوجيات الاتصال 90 م. سفيان النابلسي

هل تسحب تكنولوجيا البثّ البساط من القطاع الإعلامي ؟

إعلام عمومي

الإعلام بين هيمنة الحكومات وسطوة رأس المال 99 **الأستاذ حسن حامد**
الإعلام المصري نموذجا

هل انتهى عصر الإعلام التقليدي ؟ 109 **أ. فتحي الشروندي**
مسارات التفكير في الوظائف والأدوار : الإذاعة التونسية مثالا

هؤلاء رحلوا عنا 117 الأستاذ عبد الحفيظ الهرقام

الشاذلي القليبي : من الإذاعة التونسية كانت البداية..

لمسة وفاء وعرفان 130 المهندس عبد الرحيم سليمان

إلى أستاذي الراحل **د.أحمد محمود يوسف**

Abstract 135

ملخّص العدد باللغة الإنجليزية

بقلم: المهندس عبد الرحيم سليمان
المدير العام لاتحاد إذاعات الدول العربية

الاتحاد سندا عند الأزمات

أفاقت الإنسانية في أواخر السنة المنقضية 2019 وإطلالة العام الجديد، على وقع واحدة من أخطر الكوارث الوبائية التي لم تشهد مثيلا لها منذ قرن، وهي تفشّي فيروس كورونا المستجدّ، الذي وُصف بالتسونامي، وسرى سريان النار في الهشيم عبر أغلب مناطق العالم.

إنه كوفيد 19، طبقا لما سمّته منظمة الصحة العالمية.

ولئن كانت البداية من مدينة «ووهان» الصينية، فما من أحدٍ كان يتوقّع أن تتحوّل إصابة بعض الأفراد بهذا الوباء إلى جائحة كونية مروّعة.

لقد فاجأت البشرية قاطبة، ولم تترك للدول الغنية والفقيرة على حدّ سواء، الوقت الكافي لتنظيم صفوفها حتى تُعدّ العدّة لمجابهته، وتخفّف ما استطاعت من آثاره الصادمة.

ففي ظرفٍ زمنيّ وجيز، حصد هذا المرض الفتّاك مئات الآلاف من الأرواح البشرية، وتسبّب في ملايين حالات الإصابة، وزعزع نُظم الرعاية الصحية للبلدان المتضرّرة، وألحق خسائر فادحة في اقتصادياتها جرّاء تعطّل دواليب الإنتاج والأنشطة الحيوية، وغلق الحدود وشلّ حركة النقل الجوّي والبحري... وترافق ذلك مع تَغيّر أنماط حياة الناس، إذ فُرضت عليهم سلوكيات لم يعهدوها من قبل، وكان لزامًا على الجميع التقيّد بها، ومن أهمّها الحجر الصحّي الشامل والتباعد الجسدي وارتداء الكمّامات الواقية، والاشتغال عن بعد بالنسبة إلى الكثير من المؤسسات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها..

وبالتوازي مع الخطط الصحّية التي أرستها كلّ دولة حسب واقعها وخصوصياتها، **برز الإعلام بشتى أصنافه، لاسيما على مستوى القنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية والصحافة الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي كأداة فعّالة للإخبار وإنارة المشاهدين والمستمعين وسائر المتلقّين**، بالجديد حول التطوّرات التي تتلاحق بشكل متسارع، في غياب التوصّل إلى الإحاطة الدقيقة بحقيقة هذا الفيروس القاتل.

ورغم الغموض الذي لا يزال يكتنفه، فإنه تُبذل جهود حثيثة في المختبرات العالمية لإيجاد اللقاح المناسب له، والوسائل الناجعة لعلاجه. كما فُسح المجال للأطباء المتخصّصين والباحثين

في الأمراض السارية والوبائية حتى يكونوا في الطليعة لحماية مجتمعاتهم، عبر المشاركات المكثّفة في المنابر والبرامج، والاضطلاع بدور التبصير والتوجيه والإرشاد.

وعلى غرار أجهزة الإعلام الدولية، **نسجّل بارتياح انخراط الإعلام السمعي والبصري العربي، في هذه الجهود الاستثنائية**، إذ لم تتأخّر التلفزيونات والإذاعات عن مواكبة ما يطرأ على السياسات الوطنية الصحّية من مستجدّات للتأقلم مع الأوضاع الوبائية والتصدّي لها.

لقد تبدّل كلّ شيء بفعل الجائحة، ووجد الجميع أنفسهم أمام رهان كبير تعيّن كسبه، وهو تأمين تغطيات إعلامية فورية ومحيّنة، مع الحرص على توخّي الشفافية والدقة والمصداقية، وتزويد الرأي العام بالمعطيات الموثوقة، دون تهويل ولا تهوين، وهو ما لم يتوفّر دائما في شبكات التواصل الاجتماعي، الأمر الذي حمل وسائل الإعلام العمومية على إعادة تفعيل خدمة متابعة الأخبار المفبركة، ومحاولة قطع الطريق أمام انتشار الأخبار الزائفة المتّصلة بالجائحة وتداعياتها.

وفي المقابل، أربكت هذه الأزمة الحادّة مسار الإنتاج الدرامي، بالنظر إلى تزامنها مع قرب حلول شهر رمضان المبارك، فتوقّفت كاميرات تصوير الأعمال الدرامية، وعصفت بأحلام المنتجين والمخرجين رياحُ التأخير، ممّا استحال معه استكمال تلك الأعمال. وعرفت القنوات التلفزيونية فراغا برامجيا رهيبًا، كان لابدّ من إيجاد الحلول لتذليله، فلجأت إلى إعادة بثّ الإنتاجات القديمة المتوفّرة في أرشيفها، واستفادت من منظومة التبادل البرامجي العربي.

وفي كلّ هذا، **كان اتحاد إذاعات الدول العربية، سندًا فاعلا لهيئاته الأعضاء، حيث سعى، بما أوتي من جهد وإمكانات متطوّرة، إلى تأمين استمرارية نشاطاته والقيام بها على أفضل الوجوه، مستخدمًا تقنيات التواصل عن بعد التي أتاحتها أنظمته الاتصالية المتقدّمة.** وسجّلت التبادلات الإخبارية اليومية قفزة كمّية ونوعية لافتة. وعقد الاتحاد الاجتماع الـ 103 لمجلسه التنفيذي، ومكتب الشؤون الطارئة، إضافة إلى التآم مجموعات العمل الهندسية، وضمان دورية صدور مجلّته الفصلية وإدراجها على الإنترنت. كما كانت للاتحاد مشاركات مهمّة في اجتماعات اللجان التابعة لجامعة الدول العربية، وفي فعالياتٍ أخرى تندرج في إطار تعاونه مع الاتحادات الإقليمية والدولية.

ومن جهتها، **لم تنفكّ أكاديميته للتدريب الإعلامي عن توفير فرص التدريب للمهنيين**، رغم الأوضاع المستجدّة، إذ استمرّت في تقديم دروس مجانية على منصّتها للتدريب عن بعد وإقامة دورات وندوات مباشرة بالاعتماد على تطبيقة Zoom.

وممّا تجدر الإشادة به، توفّق الإعلام العربي، وخاصة المرئيّ والمسموع، وبامتياز، في أن يتكيّف مع مقتضيات الأزمة الوبائية العالمية، وأن يضع الخطط المحكمة والبرامج الهادفة، فكان بحقّ في مستوى المسؤولية المنوطة بعهدته، مصغيا إلى اهتمامات المتلقّين ومستجيبا لتطلّعاتهم وانتظاراتهم.

المدخل

أ.محمد رؤوف يعيش

في سياق مواكبة المجلّة للأزمة الوبائية العالمية، يخصّص هذا العدد ملفّا عن جائحة كوفيد 19، وتداعياتها، مع التأكيد على تعاطي الإعلام السمعي البصري العربي معها، في ظلّ الظروف الاستثنائية التي يعيشها العالم، ولاسيما البلدان العربية.

عنوان الملفّ: **كورونا تربك أنظمة العمل والإنتاج في هيئات الإذاعة والتلفزيون.**

وتركّز المقالات والدراسات التي أعدّتها ثلّة من الإعلاميين الباحثين والأساتذة الجامعيين، الاهتمام على أوجه التغيير التي حدثت داخل المؤسسات الإعلامية عند ظهور الفيروس التاجي وتفشّيه، وبيان الطرق التي جابه بها المسؤولون والمهنيّون الأوضاع المستجدّة في مجالات الأخبار،والإنتاج والبرمجة.

وسنرى كيف أنّ هذه الكارثة الصحّية جعلتنا نقرأ مضمونيا، **في الدراسة التي تتصدّر الملفّ، مسار اتجاهات التغطية الإعلامية للجائحة في أدقّ جزئياتها على شاشات التلفزيون وأثير الإذاعات العربية،** وإلى أيّ مدى حوّل الفيروس غرف الأخبار إلى قاعات عمليات وطوارئ، إضافة إلى تعطّل حركة الإنتاج ، وخاصّة منه الإنتاج الدرامي الموجّه إلى شهر رمضان.

وتهدف **الورقة البحثية الموالية** إلى **استكشاف تأثيرات أزمة كوفيد 19 على القنوات التلفزيونية العمومية في الدول العربية،** من خلال التطرّق إلى هذه التأثيرات على ثلاثة مستويات هي: الممارسة الإعلامية والشبكات البرامجية واستهلاك المحتوى.وترصد الدراسة بعض الاتجاهات التي تؤسّس لنموذج إعلامي جديد، وتشكّل نقطة تحوّل إيجابية في العلاقة التي تربط المواطن بإعلام الخدمة العامة.

ويروم الملفّ من خلال **دراسة وصفية،** إبراز المنهجية التي توخّاها الإعلام المرئي والمسموع في **تناوله للجائحة، من الزوايا الاجتماعية والصحّية والنفسية، وكذلك انعكاسها على البيئة والمحيط.** ويستطلع **مقال آخر** مرحلة ما بعد كورونا: وهو بعنوان : **نكسة حداثة الغرب أمام الموت القادم من أقصى الشرق.**

ونقرأ أيضا **بحثا** وصف فيه صاحبه **الجائحة بكونها العولميّة الأولى،** باعتبار أنّ العالم يتعرّض لها في عصر الثورة الرقمية الموسومة بسرعة تدفّق المعلومات والانتشار غير المسبوق لوسائل التواصل الاجتماعي، بما جعل الأزمة الوبائية محطّ أنظار العالم بأسره.

ويتوّج الملفّ **بدراسة** حول «**أخلاقيات الاتصال زمن الرقمنة والعولمة،** تتوقّف عند قضيّة مركزية ما انفكّت تثار بإلحاح لدى المهتمّين بالشأن الاتصالي والثقافي، وهي: قضيّة الموضوعية والأمانة في مجالات الإعلام والاتصال السمعي البصري.

كورونا والشاشات العربية:
اختلال الموازين في العمل التلفزيوني

د. ناجح الميساوي
جامعي ـ خبير في الإعلام والاتصال

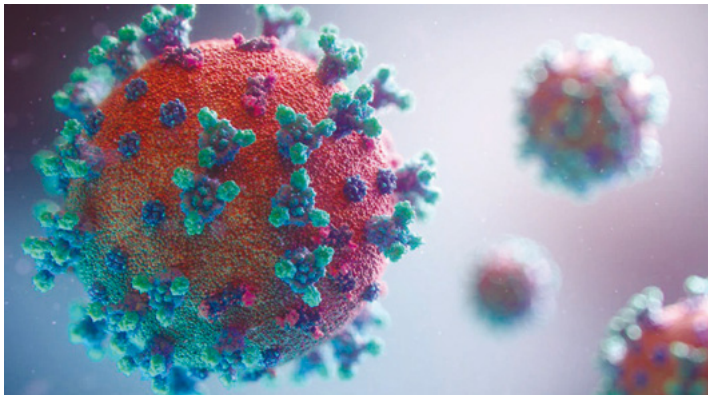

المقدمة:

بعد أول ظهور لفيروس كورونا بمدينة ووهان وسط الصين في ديسمبر 2019، وتصنيفه من قبل منظمة الصحة العالمية كـ (جائحة) في 11 مارس 2020، شهد العالم منذ تلك الفترة القصيرة أحداثا تذكّر بفترات الحروب، من إغلاق شبه كامل للحدود وللمنشآت الاجتماعية والتعليمية، مروراً بتوقّف عجلة الإنتاج ووضع الشعوب في عزل اجتماعي أدّى إلى خلوّ الشوارع وتحوّلها إلى «مدن أشباح».

وفي هذه الأزمة، ظهرت أهمّية فئات معيّنة في المجتمع، منها الأطباء والممرّضون والمسعفون الذين أصبحوا خطّ الدفاع الأول ضدّ المرض، بالإضافة إلى مقدّمي الخدمات، ومنهم الباعة وموظفو البريد.

أحد أهمّ الأدوار في أزمة كورونا قامت بها وسائل الإعلام، المرئية منها والمسموعة، فقد مثّلت المصدر الأول للمعلومة بالنسبة إلى المتلقّي، وهي التي يغامر مراسلوها كلّ يوم لنقل آخر الأخبار حول العالم.

ومع تطوّر الأزمة الوبائية ،بدأت الحكومات تتحرّك في اتجاه وضع برامجها وخططها للحفاظ على صحة مواطنيها والمقيمين على أراضيها، ووجّهت وزارات الصحة في المنطقة العربية دعواتها إلى ضرورة الالتزام بالاشتراطات الصحية، من خلال البقاء في المنزل أطول فترة زمنية ممكنة، واستخدام وسائل الوقاية مثل الكمّامات والسوائل المعقّمة وغيرها بهدف الحدّ من انتشار الفيروس، في إطار ما عُرف بإجراءات الحجر الصحي.

لم تتخلّف وسائل الإعلام المرئية والمسموعة في الوطن العربي عن مواكبة هذا التغيّر المفاجئ والطارئ في السياسات الحكومية الصحية، وفي نسق الأحداث المتسارع بمختلف البلدان التي طالها الوباء، لا سيما مع التصاعد اللافت لعدد الإصابات وتساقط الأرواح، خاصة في عدد من دول الخليج العربي وفي المنطقة الأوروبية وإفريقيا من جهة، والولايات المتحدة ودول أمريكا الجنوبية من جهة أخرى.

1. كورونا تقلب نمط العمل داخل غرف الأخبار ومواقع الإنتاج

غيّرت جائحة كورونا نسق العمل المعتاد داخل غرف الأخبار، ووجد المسؤولون عن إدارات الأخبار بالقنوات التلفزيونية والإذاعية العمومية العربية وحتى الخاصة منها، أنفسهم أمام رهان كبير وجب كسبه، وهو تأمين تغطيات فورية ومحيّنة، مع توخّي الشفافية والدقة في تقديم البيانات الطبية والمعطيات الصحية، توازيا مع الحفاظ على سلامة الطواقم الإعلامية التي تقوم بتغطية المؤتمرات الصحفية لوزارات الصحة أو الهياكل المنضوية تحتها، أو تأمين التقارير المتعلّقة بالمتابعة الميدانية في المستشفيات والمراكز والدوائر الصحية. فاحتكاك الصحافيين والمصوّرين التلفزيين بالأطباء والممرّضين والمرضى، من شأنه تعريضهم للإصابة بعدوى الفيروس الفتّاك، في صورة تجاهل الاحتياطات الوقائية وبروتوكول الحماية الموضوع من الجهات الصحية، لذلك سارعت الهيئات التلفزيونية والإذاعية إلى تركيز معدّات التعقيم داخل مقرّاتها حفاظا على موظفيها من العدوى، مثلما منحت تراخيص استثنائية بالتنسيق مع الجهات الأمنية لتنقل طواقمها الصحفية بهدف إنجاز المهامّ و الأعمال، أو في إطار تيسير ذهابها وإيّابها منه وإليه.

إزاء تسارع الأحداث، كان لزاما على القائمين على غرف الأخبار ومديري القنوات التلفزيونية تغيير جداول عمل صحفيّي الميدان والمحرّرين والمقدّمين والمصوّرين وفنّيي المونتاج والغرافيك والمخرجين وكلّ المتدخلين في إنتاج المضامين الإخبارية .

وقد اختارت عديد المؤسسات الإعلامية السمعية البصرية نظام التناوب في العمل، أي باعتماد توزيع الموارد البشرية على أسابيع دوام، وأخرى للراحة قصد ضمان جاهزية الفرق الصحفية والتقنية والإدارية.

وفي خصوص المهامّ الإدارية، تمّ التعويل في أغلب المؤسسات الإعلامية التلفزيونية العربية على نظام العمل عن بعد، خاصة في ظلّ تطبيق إجراء حظر الجولان خلال ساعات طويلة. لاسيما في الفترة المسائية والليلية بعد أن وجدت المؤسسات الإذاعية والتلفزيونية العربية نفسها مضطرّة إلى التكيّف مع تطوّرات الوضع الجديد وأزمة انتشار جائحة كورونا، سواء على مستويات إدارة فريق التحرير والإنتاج، أو الفرق التقنية من خلال تعديل طريقة العمل.

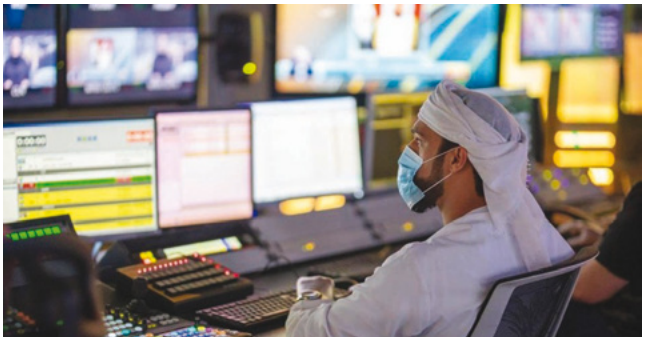

احتياطات استثنائية للطواقم التقنية والصحفية والإدارية - هيئة الشارقة للإذاعة والتلفزيون -

لم يعد صحافيّو الهيئات الإذاعية والتلفزيونية يتردّدون على مقرّات العمل، باستثناء عدد محدود من المسؤولين بهيئة التحرير. فقد فرض تفشّي فيروس كورونا على جزء كبير من الصحافيين عدم الذهاب إلى العمل، تفادياً للاتصال ولتقليل خطر العدوى لهم ولعائلاتهم داخل المقرّات والمراكز الإعلامية، إذ بادرت الكثير من إدارة التحرير بالإبقاء على الحدّ الأدنى من الصحافيين في المقرّ المركزي، من خلال رؤساء الأقسام فقط، بينما يعمل باقي الصحافيين عن بعد، حيث ينجزون تقاريرهم ويرسلونها إلى هيئة التحرير، على غرار ما تمّ أيضا في العديد من الصحف العربية، والتي توقّف الكثير منها عن الصدور جرّاء صعوبات مالية تفاقمت بسبب الجائحة.

نتيجة لذلك وتجنّبا لمخاطر التنقّل، عملت الكثير من الطواقم الإدارية انطلاقا من منازلها لإسداء الخدمات الروتينية غير المستعجلة، وهو ما ساعد عديد الهيئات على ضمان سلامة موظفيها ومنع انتقال العدوى إلى مقرّات العمل وتجنّب خضوع موظفيها لمقتضيات العزل الصحي الإجباري .

طريقة العمل عن بعد: وباء كورونا أثبت جدواها

في المقابل، ساهمت الأزمة في التقريب أكثر بين الزملاء، سواء في علاقة بالعمل أو حتى من الجانب الإنساني بسبب نوعية المعلومات والنصائح والتجارب المتبادلة.

تقديم الأخبار بالكمّامة : مشهد غير مألوف

وفي تواصل مع بروتوكولات الوقاية المعتمدة بكلّ الهيئات الإذاعية والتلفزيونية، اختارت كثير من هذه الهيئات توحيد بثّ البرامج والمواعيد الإخبارية على مختلف القنوات التابعة لها، في توجّه نحو ترشيد التصرّف في الموارد البشرية والتقنية وتفادي حضور عدد كبير من الموظفين بمقرّات الإذاعة والتلفزيون .

كما شاهدنا ببعض الشاشات العربية مقدّمي برامج وأخبار يحملون الكمّامات وقفّازات اليد الواقية في مشهدٍ لم يألفه المتلقّي من قبل.

تحدّيا للفيروس .. مذيعون يقدّمون البرامج من منازلهم

في ذروة انتشار وباء كورونا، أعلنت هيئة الشارقة للإذاعة والتليفزيون، قرارها تقديم كافة برامج قنواتها الإذاعية بنظام العمل عن بُعد من منازل مقدّمي البرامج، وذلك تماشياً مع الإجراءات الاحترازية التي تتّخذها دولة الإمارات لضمان سلامة أفراد المجتمع، والحدّ من انتشار الفيروس المستجد.

وبثّت الهيئة، خلال شهريْ مارس وأبريل 2020، عدداً من برامجها التليفزيونية والإذاعية من خارج استوديوهاتها لتتحوّل منازل مقدّميها، على غرار برنامج «الخط المباشر»، والبرنامج الإذاعي «العيادة المالية» إلى استوديوهات مركزية بكلّ ما تتطلّبه من توضيب فنّي وتقني وديكور وغيرها من العناصر الضرورية للإنتاج.

بدورها، حضّرت «إذاعة القرآن الكريم من الشارقة» كافة التجهيزات الفنية بالتعاون مع إدارة الهندسة بالهيئة للعمل عن بُعد، كلٌّ حسب تخصّصه ومهامّه الوظيفية، سواء ما يتعلّق بالإعلام الرقمي عبر استخدام أنظمة تتيح فتح الأجهزة عن بُعد للقيام بالتصميم وتركيب الصوت على الفيديو، أو ما يتعلّق بجدولة البثّ الإذاعي وأرشفتها من خلال استخدام أنظمة هندسية إلكترونية ذات مواصفات عالية.

وفي السياق ذاته، واصل فريق نشرة أخبار الدار عمله لنقل المستجدّات في إمارة الشارقة وفي البلاد عموما في ظلّ الأزمة الوبائية، ناقلة تدابير مختلف الدوائر والهيئات والجهات العاملة للتصدّى للفيروس، مع الحرص على طمأنة المشاهدين وتوعيتهم بضرورة الالتزام بالتدابير الوقائية.

2. حالة استنفار داخل غرف الأخبار

مثّلت أزمة كورونا نقطة تحوّل مفصلية في طريقة التعاطي التلفزيوني مع الأحداث، ومادة ثرية للنشرات والمواجيز والبرامج الإخبارية. منذ ظهور الإصابات الأولى بالفيروس، بدأت تتشكّل تدريجيا خلايا استنفار وأزمة داخل غرف الأخبار في مختلف القنوات التلفزيونية العربية من أجل متابعة انتشار الفيروس داخل الخارطة العربية، وتصاعد نسق الاهتمام بهذا الخطر الوبائي مع بداية ظهوره وما رافقه من خطط واستراتيجيات وطنية لمجابهة الجائحة.

وفي ظلّ تفشّي الفيروس في أنحاء العالم – الذي تمّ تغيير اسمه الطبي ب كوفيد 19- وفق منظمة الصحة العالمية - وترقّب الشعوب بشكل يومي لمعرفة أعداد المصابين والمتوفّين بسببه في بلدانهم أو البلدان التي لهم فيها أقارب أو أصدقاء، عاد إلى وكالات الأنباء الرسمية وشاشات التلفزيونات الناطقة باسم الحكومات حضورها من جديد؛ فقد باتت الأسرع في نقل المعلومة وبشكل مباشر.

فمثلا، اعتمدت القنوات الشهيرة في الخليج العربي على وكالات الأنباء الرسمية والصحف التابعة للحكومة في كلّ ما يتصل بكورونا وأعداد المصابين وأرقام الوفيات والقرارات الحينية والمتوالية التي تحمل في طياتها تفاصيل الإجراءات الاحترازية المتّبعة لمواجهة الفيروس؛ من تعليق الدراسة في المدارس والجامعات، وحظر التجوّل الجزئي، وإيقاف الرحلات الجوية والبحرية والعبور البرّي، وغلق مرافق الترفيه والمقاهي والفضاءات الثقافية والرياضية والتي أثّرت بصورة مباشرة على المواطن..

وبذلك، أصبحت كلّ القنوات التلفزيونية والصحف والإذاعات والمواقع الإلكترونية تنقل الأخبار عن وكالات الأنباء، ما أعادها إلى صدارة الإعلام الموثوق بما يخصّ تفشّي الوباء محلّيًا لدى المتابعين.

من جهة أخرى، كيّفت القنوات التلفزيونية العربية برامجها مع الوافد الجديد إلى المشهد، إذ تأخّرت الأخبار السياسية الوطنية والرياضية والأخبار الدولية، وصارت نشرات الأخبار تركّز بالكامل على تطوّرات الحالة الوبائية وأرقام الإصابات محلّيًا ودوليًا، كما عملت على نقل أخبار المبادرات المجتمعية للمساعدة في التوقّي من الفيروس والحدّ من انتشاره .

وتحوّلت البرامج، بما فيها الرياضية، إلى الحديث عن الوباء وتدابير الوقاية وملاحقة أخبار إصابات اللاعبين والمدرّبين وخاصّة المشاهير منهم. كما اهتمّت بإطلاق حملات التوعية والتحسيس، على غرار حملة جمع التبرّعات التي نظّمتها مؤسسة التلفزة التونسية تحت اسم «تيليتون كورونا» يوم 18 مارس 2020.

مذيع يمني يقدّم نشرة الأخبار بالكمّامة ويحذّر اليمنيين من كورونا

شعار حملة التبرّعات بمؤسسة التلفزة التونسية لمجابهة أزمة كورونا في البلاد

كما عملت القنوات التلفزيونية على استضافة الأطباء والمختصّين للتطرّق إلى أعراض المرض وسبل التوقّي منه وكيفية التعامل معه في صورة التأكّد من الإصابة به إثر إجراء التحاليل اللازمة، إضافةً إلى استضافة المسؤولين الحكوميين للحديث عن المستجدّات والخطط الصحية والأمنية واللوجستية الموضوعة لمحاولة تطويقه.

3. كورونا تغير الأولويات داخل غرف الأخبار

إزاء التطوّرات المتسارعة للوضع الوبائي وطنيا ودوليا، اضطرّت المؤسسات الإعلامية إلى تعديل البرامج والأولويات في تغطياتها الإخبارية التي بات الفيروس المستجد يتصدّر عناوينها.

فقد كثّفت الشاشات العربية بعد انتشاره كلّيا من اهتماماتها، حتى أنها قامت بتغطيات خاصة واستثنائية من مواقع الحدث وأمّنت مباشرة المؤتمرات الصحفية المُعدّة لعرض آخر نتائج التحاليل المخبرية لتقصّي الفيروس لدى المواطنين من أجل تقديم المعلومة الحينية للمشاهدين المتعطّشين لمثل هذه الأخبار، تزامنا مع بقائهم في المنازل.

كما كان المجال متاحا لبثّ الأخبار العاجلة بعد أن «أضحت الخدمة الإخبارية اليوم في صراع مع الزمن»، وذاك هو محور المنافسة في تقديم منتَج إعلامي متميّز للمتلقّي العربي، ممّا يمثّل ظاهرة إيجابية ينبغي الاشتغال عليها لبلوغ أقصى مراتب الجودة «وفق تعبير الأستاذ إبراهيم الصياد في مقال صادر له بمجلّة الإذاعات العربية.

عند تحليل مضمون عدد من النشرات الإخبارية على التلفزيونات العربية، نستشفّ حجم الاهتمام الذي تمّ إيلاؤه لأخبار الجائحة، حتى أنها تصدّرت المشهد الإخباري منذ ظهورها .

فقد خصّص تلفزيون دولة الكويت في نشرته الرئيسية للساعة التاسعة ليلا يوم 28مايو 2020، حيّزا زمنيا هامّا لنقل فعاليات المؤتمر الصحفي لوزير الصحة الكويتي الذي تناول فيه الإجراءات المتخذة ضمن خطة العودة التدريجية إلى الحياة الطبيعية ومراحل استئناف مختلف الأنشطة الخدماتية، والعودة إلى عدد من مواقع العمل والاشتراطات الصحية المرافقة ضمن خمس مراحل.

نشرة أخبار تلفزيون دولة الكويت

وفي تغطيات إخبارية سابقة، سلّط فريق التحرير الضوء على الإجراءات المتخذة صلب إدارة الجمارك للتوقّي من الوباء، وكذلك دور الهلال الأحمر الكويتي في القيام بحملات التوعية والتحسيس بإجراءات السلامة وما قدّمه من تدخّلات إغاثية خاصّة للمقيمين، بغية مساعدتهم على تجاوز آثار الجائحة.

وشغلت أخبار كورونا حيّزا زمنيا مهمّا من النشرة وصل إلى حدود الثلاثين دقيقة. أمّا في النشرة الاقتصادية التي بثّت إثر الأخبار المحلّية، فقد تمّ إدراج عناصر خبرية تطرّقت إلى تأثير الأزمة الصحية على المعاملات المالية والمؤشّر الرئيسي لبورصة الكويت، فضلا عن أخبار اقتصادية عالمية كان مدارها تداعيات الأزمة على اقتصاديات العالم.

من جهته، ركّز التليفزيون الأردني، في تغطياته الإخبارية على جهود المملكة الوقائية من العدوى بالفيروس، وما قامت به وزارة الصحة من أعمال بهدف توعية المواطنين بضرورة احترام الحجر المنزلي واتّباع أساليب الحماية، وخاصة في أماكن التجمّعات والمؤسسات العمومية الخدمية..

ففي النشرة الرئيسية ليوم 02 مايو 2020، والتي دامت زمنيا 26 دقيقة، من بينها 07دق و30 ثانية مخصّصة للحديث عن كوفيد 19 تمّ بدؤها بخبر عن مكالمة هاتفية بين العاهل الأردني ورئيسية المفوّضية الأوروبية، وبخبر ثان حول تصريح رئيس الوزراء بشأن رفض الحكومة الاعتداءات على رجال الأمن، ثمّ خبر حول الوضع الوبائي نشرته وزارة الصحة وأكدت فيه عدم وجود إصابة إلى حدود ذلك اليوم، باستثناء رصد حالة لسائق شحن أردني على الحدود، مع خبر قدّمه مذيع النشرة حول عمل خلية الأزمة وتعليمات الحظر ورفع العزل عن أربع بنايات في إربد من خلال روبورتاج، فضلا عن بثّ خبر حول الإجراءات الوقائية التي اعتمدتها إدارة الدفاع المدني وخبر أخير حول تجربة عقّار جديد تحت اسم ريمديسيفر في الولايات المتحدة.

وبدوره بثّ التلفزيون الجزائري عبر قناته الأولى نشرات إخبارية تضمّنت تغطيات وتقارير تخصّ جهود وزارة الصحة لمحاصرة الوباء، مع تقديم معطيات إحصائية عن حالات الوفاة والإصابة والشفاء من الفيروس بشكل يومي.

وفي نشرتها الرئيسية ليوم 02 مايو 2020، بدأت القناة الأولى التابعة للمؤسسة العمومية للتلفزيون الجزائري، موعدها الإخباري بالحديث عن خبر عقد اجتماع لمجلس الوزراء بإشراف رئيس الجمهورية، وعرض جدول أعماله والتذكير بالإجراءات الاقتصادية التي اتخذها لمجابهة الازمة، تلا هذا الموضوع خبر ثان يتعلّق بتغطية زيارة الوزير الأول الجزائري إلى قسنطينة والتدابير المتخذة للتكفّل بمرضى كورونا، وتغطية زيارة الوزير الأول إلى فرع معهد باستور بالجزائر، وزيارة أخرى إلى المستشفى الجامعي بسطيف. وتمّ بعد ذلك عرض تقرير يتضمّن تطوّر الوضع الوبائي من خلال ندوة صحفية للجنة رصد ومتابعة تفشّي الفيروس، وبثّ تقرير آخر حول إنتاج الكمّامات الواقية في مراكز التكوين المهني بقسنطينة، وروبورتاج حول مساهمة شركة «سوناتراك» في المجهود الوطني للوقاية من كورونا، وامتدّت المادة الإخبارية المتعلّقة بالأزمة الوبائية حوالي 22 دقيقة من مجمل 26 دق.

وخصّص التلفزيون العمومي برامج كانت تغلب عليها المواضيع السياسية، كبرنامج «دائرة الضوء»، وبرامج رياضية كبرنامج «دوري المحترفين»، للحديث عن الجائحة من زوايا المجهود الدولي والمخاطر المترتّبة عليه، وكذا تأثيره في المشهد الرياضي في ما يتعلّق بتوقّف الدوري المحلّي والدوريات في مختلف أنحاء العالم ، وكيفية وقاية الرياضيين من الوباء، ومدى مساهمة الرياضيين والأسماء المعروفة في حملة التوعية من الفيروس. وتولّى التلفزيون الرسمي عبر قنواته الخمس بثّ فعاليات يوم مفتوح تمّ تنظيمه لمواجهة كورونا.

وفي النشرة الرئيسية للساعة الثامنة يوم 24 مايو 2020 على القناة الأولى المصرية، والتي صادفت أول أيام عيد الفطر، تموقعت أخبار الأزمة الصحية في مقدّمة النشرة التي انطلقت ببثّ تقرير مطوّل عن هدايا قدّمها الرئيس المصري لعائلات شهداء الجيش والأمن المصريين طواقم التمريض والأطباء بمناسبة العيد .فريق الأخبار بثّ بعد ذلك تقريرا مطوّلا حول الإفراج عن أكثر من خمسة آلاف سجين في إطار عفو بمناسبة عيد الفطر. كما تمّ بثّ تقرير عن أداء صلاة العيد. إثر ذلك بثّ التلفزيون المصري في هذه النشرة تقريرا حول تأثير الفيروس وإجراءات العزل على تقاليد الاحتفال بعيد الفطر تحت عنوان «كورونا والعيد.. فرحة منقوصة ومعايدات عن بعد» في مصر وعدد من الدول العربية والإسلامية والأوروبية .

نشرة أخبار التلفزيون المصري

وقدّم التلفزيون خبرا يهمّ إعلان التحالف الدولي للّقاحات عن إجراء تجربة لقاح جديد ضد الفيروس قد يكون جاهزا في الخريف. ولم تقدّم النشرة تفاصيل بشأن الوضع الوبائي في مصر، بل تناولت تطوّر الحالة الوبائية في العالم .

القناة الأولى للتلفزيون العمومي السوداني، وفي نشرتها الرئيسية ليوم 13 أبريل 2020، تصدّرها خبر لقاء رئيس مجلس السيادة الانتقالي بوزير الشؤون الدينية والأوقاف، تناول سبل توعية المواطنين عبر المساجد ووسائل الإعلام.

وكان الموضوع الثاني وقائع المؤتمر الصحفي حول الوضع الصحي في البلاد لوزير الثقافة والإعلام، وتقديم مقتطف من مؤتمره الصحفي مرفق بخبر حول الإحصائيات الخاصة بالإصابات، وتلاه اتصال هاتفي مع وزير الثقافة والإعلام والناطق الرسمي باسم الحكومة حول فرض الحظر الكامل على ولاية الخرطوم .

نشرة أخبار التلفزيون السوداني

تمّ إثر ذلك بثّ ومضة تحسيسية أنتجتها وزارة الصحة الاتحادية تحت شعار «اعرف وورّي غيرك» حول سبل التوقّي من العدوى بالفيروس، وتقرير حول مشاركة عدد من المتطوّعين في عمليات التعقيم بالمؤسسات والشوارع. كما تمّ في النشرة إجراء اتصال هاتفي مع رئيس جمعية أخصائيي أمراض الصدر تناول معطيات بشأن أعراض الفيروس ودرجات المناعة ودورها في مقاومتها له. وامتدّت المادة الإخبارية على 31 دق من 25 دق، في إطار تغطية شاملة ومتنوّعة أولت الموضوع ما يستحقه من عناية.

بعض القنوات الدولية الناطقة باللغة العربية غيّرت نوعية تغطياتها التلفزيونية بالتركيز على القصص الإخبارية، من ذلك قناة دوتشي فيلا الألمانية التي بثّت تقريرا في برنامج «مراسلون حول العالم» بتاريخ 27 /04/ 2020 يروي قصة إنسانية لشاب سوري يدعى أ. عانى اليأس وكورونا بين تركيا واليونان.

فمع قرار السلطات التركية المتخذ في بداية الأزمة الوبائية بفتح حدودها مع الاتحاد الأوروبي، حاول شاب سوري الهروب منها. ولم تقتصر مصاعبه، عند الاقتراب من اليونان على المواجهة مع قوّات الأمن اليونانية، بل وجد نفسه بعد ذلك أمام احتمال الإصابة بفيروس كورونا رفقة 18 ألف مهاجر آخرين تجمّعوا على الحدود التركية اليونانية، إلا أنه لم يكن على علم حينها بأنه سيقع فريسة للوباء.

كما بثّت قناة cgtn الصينية الناطقة باللغة العربية تقريرا تلفزيونيا أعدّه مراسلها بتونس خلال شهر مارس 2020، وتناول فيه نظام التعليم عن بعد الذي طوّرته وزارة التربية بالمركز الوطني للتكنولوجيات في التربية، بهدف تأمين التدريس عن بعد ومساعدة طلاّب المدارس في فترة الحجر الصحي الشامل.

4. تعدّد المصادر وتضارب الأخبار، والمشاهد العربي في ذهول..

مع اجتياح الفيروس لدول مجلس التعاون الخليجي في نهاية يناير 2020، بدأ المشاهدون في هذه البلدان بتتبّع وكالات الأنباء الرسمية والتلفزيونات المحلّية بشكل أكبر، فقد بدت للمواطن وكأنها تتعاطى مع الأمر بجدّية وواقعية باعتبار أنها أزمة تمسّ الجميع؛ المواطن والحكومة.

ظهرت الجائحة وكأنها أزمة مختلفة عن الأزمات السابقة التي مرّت بالشعوب العربية، خصوصاً في منطقة الخليج العربي، التي تنشط فيها وسائل التواصل الاجتماعي مثل «تويتر» و«إنستغرام» و«سناب شات»، فضلا عن «يوتيوب» و«فايسبوك».

ونشطت كتابات الـ«هاشتاغ»، لتصبح خلال ساعات معدودات حديث الملايين، وقد يكون معظم ما يُكتب شائعات أو سخرية وغير حقيقي، فيضيع المتابع بين التغريدات والمنشورات وحقيقة ما يجري في المنطقة.

وتمّ تناقل أسماء الوكالات الرسمية في كتابات المغرّدين ومنشورات الناشطين والمدوّنين على شبكات التواصل الاجتماعي، وبحسب رصد موقع «الخليج أونلاين» فقد بدا المتابع الخليجي أكثر تناقلاً لأخبار الوكالات الرسمية ووضعها مصدراً في نهاية التغريدة أو المنشور.

ودعا المغرّدون إلى ترك الشائعات التي تكثر على تطبيقات «واتساب» وغيرها، واعتماد أخبار الوكالات الرسمية مثل القطرية والكويتية والسعودية والعُمانية والإماراتية والبحرينية...

وتنامى دور هذه الوسائل رغم أنّ الباحثين «متّفقون على أنّ تأثير التلفزيون في عصر التقنية الحديثة بالغ الخطورة على المجتمعات بسبب التحوّلات الراهنة التي جعلت وسائل الإعلام والاتصال بمثابة الجهاز العصبي لمجمل النشاطات الأخرى» وفق الباحثة الدكتورة ميّ العبد الله في كتابها بعنوان «التلفزيون وقضايا الاتصال».

وإزاء تداول بعض الأخبار الزائفة في مختلف وسائل الإعلام عن تطوّر الأوبئة، والأعداد المغلوطة للإصابات، دعت الهيئات التعديلية في بعض الدول العربية وسائل الإعلام المرئية والمسموعة إلى التقيّد بما تنشره الجهات الرسمية حول المعلومات التي تخصّ كورونا، وتفادي بثّ ما من شأنه إحباط معنويات المواطنين وإشاعة جوّ من عدم الثقة بينهم وبين مؤسسات الدولة، وخاصة السلطات الصحية، وحذّرت من التعاطي مع شبكات التواصل الاجتماعي وعدم اتخاذها مصدراً رسمياً، والاكتفاء بنشر معلومات دقيقة وموضوعية وموثوق في صحّتها، وتجنّب نشر خطابات التهويل ورسائل الترويع.

المؤتمرات الصحفية للمسؤولين بوزارات الصحة : مصدر موثوق للمعلومة

نظرًا إلى ظروف الإنتاج المعقّدة وصعوبة تنقّل الضيوف إلى الأستوديوهات بسبب حظر الجولان، اضطرّت بعض المحطات إلى بذل جهود إضافية، لإشاعة مناخ من الثقة في أوساط الجمهور وبثّ الأخبار الموثّقة والصحيحة، وطرح نقاشاته على الطاولة بحكمة وموضوعية.

وقد أوقع هذا التمشّي الكثير من المنتجين في بعض الأخطاء الناجمة عن عدم توفّر المحلّلين والمختصّين بفعل ظروف الحجر، فاضطرّوا إلى استضافة شخصيات ثانوية غير مطّلعة، ووجد البعض من غير المتخصّصين في المجال الطبي فرصتهم في الظهور الإعلامي وانبروا يتحدّثون عن الفيروس ومدّة بقائه وأضراره وطرق الوقاية منه وعلاجه بوصفات غير صحيحة وتحاليل غير مختصّة أثبتت تطوّرات الأزمة الوبائية خطأها.

حرب صامتة بين التلفزيون والإعلام البديل

لقد كشفت أزمة كورونا شدّة المنافسة بين القنوات التلفزيونية والإذاعية مع وسائل الإعلام الجديد، كالفايسبوك والواتساب وتويتر وسناب شات، فأضحت هذه الوسائل تتناقل الأخبار المتعلّقة بالحالة الوبائية بنسق سريع ومتواتر، رغم أنّ هذه الأخبار تراوحت بين الكاذبة والصحيحة. بالتوازي مع ذلك، عرّت الأزمة ظواهر إعلامية ومهنية غريبة، من ذلك بروز مَنْ يدّعون بأنهم إعلاميون. هؤلاء قدّموا مقاطع فيديو وبثّوا أخبارا أرادوا من خلالها لفت أنظار الجمهور لكسب أكبر عدد من المتابعين، بهدف الوصول إلى الانتشار، معتقدين أنّ مثل هذه الأخبار ستحقّق غايتهم، إلاّ أنّ النتيجة جاءت عكسية، فوقع البعض منهم في مخالفات، نتيجة لتهوّرهم في التصوير والتعليق، معتقدين أنّ ما يقدّمونه يتوافق والإعلام الجديد، وسقطوا في فخّ الأخبار الكاذبة وحادوا عن قواعد المهنة الصحفية وضوابطها.

وينبغي لأفراد المجتمع أن يدركوا أنّ الحصول على المعلومة الموثّقة، يأتي بالأساس من خلال قنوات رسمية تحمل كلّ المعلومات التي يحتاجون إليها، على غرار القنوات التلفزيونية الرسمية.

يحيلنا هذا التشخيص على ضرورة اعتماد مناهج التربية الإعلامية، وعلى أهمّية وعي أفراد المجتمع بأن ليس كلّ ما يأتيهم من لقطات وأقوال عبر شبكات التواصل الاجتماعي، كسناب شات وتويتر، أخبارا صحيحة وموثّقة، فمن يقدّمها مسوّقون هدفهم الحصول على أعلى عدد من المتابعين، بحثا عن الكسب المالي الذين يتقاضونه من إعلاناتهم.

ويبقى من المهمّ أيضا، على وسائل الإعلام الرسمية والهيئات التعديلية أن تركّز أكثر فأكثر على موضوع إعلام الأزمات وشرحه للمهنيين وتكوينهم في قواعده وأصوله وضوابطه من أجل تقديم مادة إعلامية احترافية .فدور الإعلام في مواجهة الأزمات مهمّ، في اتجاه خلق رأي عام واع. أمّا إن كان الإعلام فوضويا لا تحكمه ضوابط، ولا يلتزم بشرف المهنة وأخلاقياتها، ومرتكزا على الكسب المادي وخلق نزاعات وصراعات، ونشر الفزع والرعب بين أفراد المجتمع، فإنه يصنّف في خانة الإعلام الفوضوي.

فإعلام الأزمات، وإن كان تخصّصا علميا قائما بذاته، فإنّ أهمّيته تزداد خلال الفترة الحالية، ذلك أنّ المجتمع بحاجة إلى أخبار صحيحة ومعلومات دقيقة، حتى نتمكّن من طرد كلّ خبر شاذ تغيب فيه المعلومة.

5. تراجع الإنتاج البرامجي والمساحات التلفزيونية المباشرة

لم تشهد الهيئات التلفزيونية، وحتى الإذاعية، في تاريخها تراجعا في حجم المادة الإعلامية المنتجة، سواء كانت تسجيلية أو مباشرة كذلك الذي عرفته خلال أزمة كورونا، ذلك أنها عطّلت آلة الانتاج ليقتصر على البرامج الصحية التوعوية والحصص التلفزيونية ذات الاختصاص الطبي.

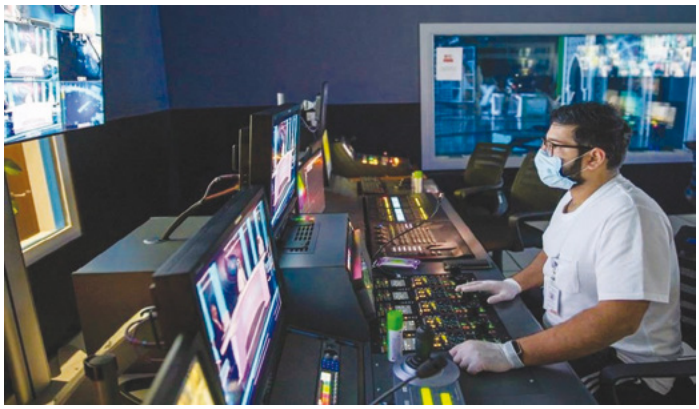

فلم يعد المشاهد العربي يرى سوى أصحاب الميدعات البيضاء ضيوفا ومتدخلين في البرامج الحوارية التي غاب عن معظمها الشأن السياسي والاقتصادي وحتى الاجتماعي، ليبقى حاضرا فقط من خلال الحديث عن التأثيرات الاجتماعية لأزمة كورونا على المواطنين، والمتغيّرات السلوكية والمجتمعية المرصودة في الشارع العربي عموما الذي غزته الكمّامات، قبل أن تتسلّل إلى البرامج التلفزيونية ليحملها المقدّمون كما الضيوف، فتصبح مألوفة لدى المشاهد، حتى أننا تابعنا في عديد النشرات الإخبارية على الشاشات العربية مذيعين بقفّازات واقية تنفيذا لإجراءات السلامة والوقاية من الوباء. وركّزت الهيئات التلفزيونية والإذاعية معدّات التعقيم داخل مقرّاتها حفاظا على موظّفيها من العدوى، مثلما منحت تراخيص استثنائية بالتنسيق مع الجهات الأمنية لتنقّل طواقمها الصحفية بغية إنجاز المهامّ والأعمال، أو في إطار تيسير ذهابها وإيابها منه وإليه.

قبل الأزمة كان المشاهد العربي متابعا وفيّا للبرامج الحوارية المباشرة التي تتطرّق إلى الشواغل والقضايا المحلّية، وكان بثّ هذه البرامج منتظما ومستمرّا على مدار السنة، مثل برامج المنوّعات الفنية والمسابقات والألعاب وبرامج الأطفال والشباب، وفجأة تختفي هذه المساحات التلفزيونية التي تلقى هوًى لدى المشاهد لتترك فراغا كبيرا في الشبكات البرامجية، وتُحدث حالة من الارتباك لدى مسؤولي الإنتاج والبرمجة ناجمة عن صعوبة تعويض البرامج المباشرة، وخاصة منها القارّة والدورية في ظرف قياسي، وفي ظلّ نقص في الإمكانيات التقنية والمادية والبشرية .إزاء هذه الوضعية المعقّدة، اضطرّ القائمون على البرمجة إلى الاستنجاد برصيد البرامج الوثائقية المخزّنة في أرشيف الهيئات التلفزيونية،

مثلما كانت المسلسلات القديمة المنتَجة محلّيا، أو تلك التي تمّ اقتناؤها من شركات الإنتاج السمعي البصري خير ملجأ لملء الفراغات والثغرات، حتى أنّ المشاهد وجد فيها أفضل مادة يستأنس بها، باعتبار حنينه إلى المخزون الثقافي والحضاري وذكريات الماضي المنسابة بين ثنايا حلقات وفصول هذه المسلسلات التي يعود تصوير بعضها إلى أكثر من ثلاثين سنة.

غياب الجمهور عن البرامج

حتّمت تدابير التوقّي من العدوى بفيروس كورونا منع الجمهور من الحضور في البرامج التلفزيونية المباشرة والمسجّلة منها، واقتصرت هذه البرامج على المقدّم والضيوف، فيما التجأت عديد المحطات التلفزيونية إلى استخدام تقنيات الربط عبر التكنولوجيات الحديثة لتأمين مداخلات الخبراء والمحلّلين والمراسلين، من ذلك توظيف تطبيقة سكايب بكثافة نظرا إلى مجانيتها وجودة الصورة والصوت التي توفّرهما.

إنّ لحضور الجمهور دورا مهمّا في تأثيث البرامج والمنوّعات، لما يُدخله من حركية على نسق المنتَج التلفزيوني المقدّم للمشاهد، علاوة على كونه يمثّل عنصر ديكور ثريّا، وأحيانا وسيلة للتفاعل مع بعض الحاضرين، من خلال رصد آرائهم مباشرة. وبسبب التباعد الاجتماعي المفروض، افتقدت هذه البرامج حيويّتها، ما جعلها باهتة ومنقوصة من الجانب التفاعلي.

6. كورونا تطفيء كاميرات تصوير الدراما

في ظلّ تفشّي الوباء في شتى أنحاء العالم، طالت إجراءات التصدّي له سير عمليات تصوير مسلسلات رمضان في المنطقة العربية ككلّ. وفرضت بعض دولها قيودا مشدّدة في إطار ما عُرف بإجراء الحجر الصحّي، الأمر الذي دفع بالعديد من أستديوهات التصوير إلى إغلاق أبوابها، أو العمل في ظلّ تدابير حماية ووقاية صارمة، وذلك قبل بداية شهر رمضان.

ففي تونس، مثلا، قرّرت المحكمة الإدارية، في 14 أبريل 2020، تأجيل تنفيذ قرار وزارة الشؤون الثقافية القاضي بالسماح لشركات الإنتاج السمعي البصري والقنوات التلفزيونية التونسية التي تحصّلت سابقًا على تراخيص تصوير، تمّ تعليق مفعولها باستئناف إنجاز المسلسلات والأعمال الرمضانية، التي شُرع فيها، إلى حين البتّ في مطلب توقيف التنفيذ.

لقد عصفت أزمة انتشار الفيروس بالمسلسلات العربية في الموسم الدرامي الرمضاني، وأوقفت تصوير أغلب الأعمال الدرامية المحلّية، وأجبرت المحطات والفضائيات على تعديل خارطاتها البرامجية والدرامية خلال الشهر الكريم، ليفسح المجال للتركيز على المسلسلات التي تمَّ الانتهاء منها قبل الأزمة الصحية، مع زيادة جرعة البرامج./.سيدتي./

بسبب كورونا.. المشاهد العربي يفتقد قصص الحب والحركة والتاريخ...

واجهت المسلسلات الرمضانية المحبّبة إلى قلوب المشاهدين في الوطن العربي، خاصة خلال شهر رمضان صعوبة في إكمال تصوير مشاهدها قبل ثلاثة أسابيع من بداية الموسم الديني، ما حرم ملايين المشاهدين من متابعة مسلسلات ألفوها بعد الإفطار، وضاعف الضغوط على القنوات التلفزيونية لإيجاد البدائل من أجل تقديم محتوى غنيّ بنسق متواصل.

فمسلسلات رمضان التي تجتمع أفراد العائلة حولها، وتنوّعت مواضيعها، من حروب العصابات في القرى النائية إلى الفنتازيا التاريخية، إلى روايات الحب والعشق وقصص الخيانة وفصول الفكاهة وغيرها، شكّلت مادة ثريّة ومُغرية للمنافسة المحتدمة بين القنوات الحكومية والخاصة، لاستقطاب المشاهدين، إلى جانب المنافسة التي تخوضها تلك القنوات مع تطبيقات على الإنترنت، مثل نتفليكس وستارز بلاي.

المسلسلات الرمضانية...فسحة فنية للعائلات العربية

وقد أثّرت أزمة كوفيد 19 دون شك في نسب المشاهدة للقنوات العربية في شهر رمضان نتيجة تراجع الإنتاج الدرامي، مثلما قلّصت في تواتر الإعلانات على شاشاتها، وهي التي تشهد كلّ عام منسوبا مرتفعا من عا ئدات الإشهار خلال فترات ذروة المشاهدة، وخاصة عند الإفطار وأثناء السهرة وحتّى لحظات الإمساك.

كورونا تقلب الموازين الدرامية...

عديدة هي المسلسلات التي خرجت من سباق الموسم الدرامي الرمضاني؛ حيث اضطرّ منتجوها إلى إيقاف التصوير؛ عملًا بالإجراءات الاحترازية التي اتخذتها الحكومات لمواجهة تفشّي الفيروس، وذلك بعد الانتهاء من تصوير بضع حلقات فقط، فيما تمّ تأجيل تصوير باقي العمل إلى ما بعد انتهاء الأزمة الراهنة!..

وقد كان توقّف الرحلات الجوية وصعوبة العمل في هذه المحنة الدولية وتخوّف الممثّلين من العدوى، من أبرز العوامل التي أجبرت شركات الإنتاج على إيقاف تصوير الأعمال الدرامية، التي يتقاسم عدد من النجوم أدوار البطولة فيها.

المنتجون الخواص يقدّمون الحلول للفضائيات العمومية

بعض شبكات قنوات التلفزيون العربية التي اشتهرت ببثّها للأفلام والمسلسلات، على غرار شبكة تلفزيون أبو ظبي وشبكة قنوات mbc انفردت بالأعمال الدرامية الرمضانية الخليجية والسورية والمصرية الحصرية، بعد أن قدّم لها بعض المنتجين الحلّ للقنوات، مثلما عرض هؤلاء المنتجون أعمالهم الدرامية على الفضائيات العمومية، لسدّ العجز في تصوير وإنتاج المسلسلات، والكاميرا الخفية وغيرها من المواد الإبداعية الرمضانية بسبب كورونا، وتغطية ساعات البثّ في شهر رمضان. وقد اضطرّت عدّة قنوات إلى العودة لإنتاج مجموعة من البرامج المباشرة التي بثّت في الليالي الرمضانية، كخطّة بديلة وفعّالة لمواجهة الأزمة، مع التركيز على مسلسلين أو ثلاثة على أقصى تقدير، بعد أن تمّ تجهيزها للعرض.

الخاتمة :

إنّ وباء كورونا الذي أحدث أزمة اقتصادية غير مسبوقة في مختلف أرجاء المعمورة، غيّر أيضا معايير التعاطي الإعلامي، ولاسيما في اختصاصيْ الإذاعة والتلفزيون مع الأزمات، فوجّه جهود مسؤولي الإدارة والإنتاج والأخبار والتقنية في هذه الهيئات نحو استنباط حلول بديلة وسريعة لتأمين التغطيات الإخبارية والإنتاجات البرامجية وقلب نظام العمل والتصرّف الناجع في الموارد البشرية لتكون الأزمة بمثابة الاختبار الحقيقي للمهنية والكفاءة والقدرة على التفاعل مع التطوّرات، وخاصة إذا كانت عالمية، على غرار هذا الوباء المستجد الذي مازال العالم يرزح تحت تأثيراته وتداعياته.

الهوامش

العبد الله (مي) : التلفزيون وقضايا الاتصال في عالم متغيّر، دار النهضة العربية، بيروت 2006، ص175.

الصيّاد (إبراهيم) : آليات اتخاذ القرار في غرفة الأخبار، مجلة الإذاعات العربية، عدد 1 لسنة 2013، ص 64.

الموقع الرسمي لجريدة العربي الجديد -مقال بتاريخ 27 مارس 2020 الرابط/https://www.alaraby.co.uk/

موقع الرؤية https://www.alroeya.com

موقع «صحافة نات» اليمن https://sahafahnet.net/

موقع مجلة «سيدتي » https://www.sayidaty.net/

الموقع الرسمي لقناة دوتشي فيلا https://www.dw.com/ar/-

الموقع الرسمي لقناة فرنسا https://www.france24.com/ar/24

موقع يوتيوب :

https://www.youtube.com/watch?v=Llpep-zXIS8

https://www.youtube.com/watch?v=68syYiPNCzg

https://www.youtube.com/watch?v=W1qhd31XX6g

تأثيرات أزمة «كوفيد 19»
على القنوات التلفزيونية العمومية بالدول العربية

أ. شيماء باحسين
باحثة جامعية: جامعة ابن زهر
-أكادير، المغرب

ظهر فيروس كوفيد 19 في ديسمبر 2019 بووهان، قبل أن يتعدّى حدود الصين ومعها حدود القارّة الآسيوية برمّتها، ليتمّ تصنيفه بسرعة جائحة عالمية، من قبل منظمة الصحة العالمية.

ولأنّ الوباء مجهول غيرُ مسبوق، حصد عشرات الآلاف من الأرواح، وشكّل هزّة عنيفة لأنظمة الرعاية الصحية والاقتصادات العالمية، فقد فرض نفسه تدريجيا في صدارة الأجندات الإعلامية. كلّما اتسعت رقعته وزاد ضحاياه وامتدت تداعياته، زاد اهتمامُ الإعلام به، ما جعل من الممارسة الإعلامية في زمن جائحة كوفيد19 تشهد ثلاثة انعطافات رئيسة، بدءا بـ«اهتمام عابر»، ثمّ «اهتمام مركّز»، وصولا إلى «مرحلة التعبئة القوية والشاملة».

هذه الأزمة لا تشبه سابقاتها، فقد اضطرّت معها هيئات التحرير إلى تبنّي نموذج عمل جديد، وإدخال تغييرات طارئة على الشبكات البرامجية، فضلا عن أنها أعادت رسم العلاقة بين المتلقّين وإعلام الخدمة العمومية، معزّزة الثقة بين الطرفين، بعد أن كانت قد سجّلت تراجعا خلال السنوات الأخيرة يُعزى إلى الطفرة التكنولوجية، ما يدفعنا إلى طرح سؤال مركزي :

كيف واكبت القنوات التلفزيونية العمومية في الدول العربية هذه الجائحة المستجدّة؟

البحث عن جواب، اعتمادا على منهج استكشافي يقوم على جمع معلومات تفصيلية، يقودنا ضرورة إلى دراسة تأثير الجائحة على الممارسة الإعلامية اليومية وصناعة المحتوى والاستهلاك.

1 - وباء كوفيد 19 يعيد رسم العلاقة بين المواطن والإعلام التلفزيوني العمومي

بحكم الأزمة الصحية العالمية غير المسبوقة، نشهد تدفقا كبيرا للأخبار، بينها ما هو صائب وما هو زائف. هذا المعطى دفع بعدد من المحطات الإذاعية والقنوات التلفزيونية إلى إدراج فقرات خاصة ضمن شبكاتها البرامجية، تهدف إلى التمييز بين الخطأ والصواب في ما يروّج من أنباء عن جائحة كوفيد 19.

وتؤكد الأرقام الرسمية ضرورة هذا التوجّه في زمن الوباء، فهي توثّق لترويج قرابة مائتي خبر زائف، منذ بدء سريان حالة الطوارئ الصحية في المغرب بتاريخ 20 مارس 2020 وإلى حدود 11 مايو 2020، أي بمتوسط أربعة أخبار زائفة في اليوم1، وهو وضع أفضى إلى فتح أزيد من مائة بحث قضائي2.

صرامة تتعامل بها أيضا الجزائر مع ناشري المعلومات المضلّلة، فقد دعت رئاسة الجمهورية الحكومة في أكثر من مناسبة، إلى ملاحقة ناشري الأخبار المغلوطة المرتبطة بالوضع الوبائي في البلاد، لما يسهم فيه ذلك من «زرع البلبلة والإبقاء على المواطن دائما في حالة قلق ورعب»3، وتقديمهم أمام العدالة. نسوق مثالا آخر من مصر، حيث إنّ النيابة العامة أعلنت، في مارس 2020، أنها ستعاقب بالحبس والغرامة كلّ من يروّج خبرا كاذبا حول الحالة الوبائية المرتبطة بفيروس كوفيد 19 المستجد.

https://urlz.fr/cOiY

رغم ما أثير من نقاش حول إمكانية استغلال الأزمة الصحية لضرب حرّية الرأي والتعبير في العالم العربي، إلاّ أنّ ترويج معلومات مضلّلة يبقى حقيقة يتعيّن معها على السلطات اعتبار وسائل الإعلام حليفا في الحرب على الأخبار الزائفة، لأنّ الإدارة الإعلامية هي جزء أساسي من الإدارة الشاملة لكلّ أزمة.

من هذا المنطلق، تمّ في تونس إعادة تفعيل خدمة متابعة الأخبار الكاذبة من قبل وسائل الإعلام الرسمية، في خطوة ترمي تقديم معلومات صحيحة ورسمية للمواطن، لتقطع بذلك الطريق أمام الأخبار المفبركة.

استنادا إلى كلّ ذلك، نخلص إلى أنه أمام سيل الأخبار الزائفة، على مواقع التواصل الاجتماعي وتطبيقات التراسل الفوري والمواقع الإخبارية الإلكترونية الباحثة عن الإثارة، هناك توجّه ملحوظ للمواطن نحو إعلام القطب العمومي كمصدر موثوق به، يستقي معلوماته من مصادر رسمية، وفي حال زاغ عن طريقه تكون له بالمرصاد هيئات ضبط الاتصال السمعي البصري.

للتدليل على هذا الاهتمام الذي يستأثر به الإعلام التقليدي في زمن الأزمة الوبائية، توثّق معطيات صادرة عن مؤسسة «ماروك متري»، ارتفاعا في مدة المشاهدة اليومية للتلفزة في المغرب، بالنسبة إلى الشخص، كما يبين الجدول أسفله 4:

فترة الرصد	مدّة المشاهدة اليومية
من 26 فبراير إلى 10 مارس 2020	04 ساعات
من 11 إلى 17 مارس 2020	04 ساعات و34 دقيقة
من 18 إلى 24 مارس 2020	05 ساعات و59 دقيقة
من فاتح إلى 07 أبريل 2020	06 ساعات و07 دقائق

من خلال هذه الأرقام، نسجّل ارتفاعا ملحوظا لمدّة المشاهدة اليومية للتلفزة بالنسبة إلى المغاربة، ففي أقلّ من شهرين زادت المدة بساعتين و07 دقائق، ما يمكن تفسيره بتعطّش المتلقّي للأخبار حول الجائحة من مصادر ذات موثوقية، وتمتّعه بوقت فراغ أكبر من الماضي تتيحه حالة الطوارئ الصحية.

في تونس، أعاد وباء كوفيد19- التراتب في سلّم القنوات الأكثر مشاهدة خلال شهر مارس 2020، إذ تظهر معطيات صادرة عن شركة «سيغما كونساي» لسبر الآراء وقياس نسب الاستماع والمشاهدة، أنّ التلفزيون الرسمي حلّ في المرتبة الأولى،5 وأنّ نشرة أخبار الثامنة مساء كانت الأكثر متابعة، بحصة بلغت 3 ملايين و257 ألف مشاهد. واللافت للانتباه هنا أنّ هذه الحصة لم تحققها نشرةُ الثامنة مساء على شاشة القناة الوطنية الأولى منذ ثورة يناير عام 2011 6.

نستشفّ أنّ الأزمة الصحية أعادت رسم العلاقة بين المواطن والإعلام السمعي البصري العمومي. هذا الأخير، لعبت لصالحه موجة الأخبار الزائفة والمعلومات المضلّلة، ليستعيد نتاجا لذلك اهتمام المواطن وثقته. في هذا السياق، نستحضر شهادة الإعلامي المغربي يونس دافقير لدى استضافته في برنامج حواري على «إذاعة البحر الأبيض المتوسط الدولية»، جاء فيها أنه في سياق الأزمة الوبائية «انتقلنا إلى المفهوم الكلاسيكي جدّا لإعلام الخدمة العمومية وإعلام المصلحة العامة بمعناها شديد التدقيق والمحفوف بمحاذير أخلاقية وقانونية (...) تراجعت نزعات الشعبوية والعدمية والبحث عن الفرجة والإمتاع لصالح العقلانية والمسؤولية والتوعية والتثقيف»7.

https://urlz.fr/cOjd

« تراجعت نزعات الشعبوية والعدمية والبحث عن الفرجة والإمتاع لصالح العقلانية والمسؤولية والتوعية والتثقيف »

في ظلّ تزايد الاهتمام بها، كيف تواكب القنوات التلفزيونية جائحة كوفيد 19؟

2 - التلفزيون العمومي: من «اهتمام عابر» بفيروس كوفيد 19 إلى «تعبئة قوية وشاملة»

بإجراء مسح على النشرات الإخبارية المفصّلة لعدد من القنوات التلفزيونية، يظهر جليّا أنّ التناول الإعلامي لفيروس كوفيد 19، شهد تحوّلا مع كلّ انعطافة جغرافية للفيروس، وهذا يعدّ أمرا طبيعيا بالاستناد إلى قانون القرب الذي يعتبر محرارا يقيس مدى أهمّية الخبر بالنسبة إلى المتلقّي.

في مرحلة ظهور فيروس كوفيد 19 وتفشّيه في الصين، كانت القنوات التلفزيونية العمومية في المنطقة العربية تكتفي بإدراج المستجدّات المتعلّقة به داخل الشقّ الدولي لنشراتها الإخبارية، على شكل تقرير أو خبر مختصر، وأحيانا لا تتطرّق إليه البتّة، وهو ما يمكن أن نطلق عليه مرحلة «الاهتمام العابر».

لكن بعد أن تجاوز الفيروس حدود الصين، تنامى الاهتمام الإعلامي به تدريجيا، لاسيما لدى بلوغه القارّة الأوروبية، حيث تقيم نسب مهمّة من الجاليات العربية. ويُعزى هذا الاهتمام أيضا إلى الروابط الاقتصادية والثقافية بين البلدان العربية والأوروبية، فضلا عن أنّ بلوغ الفيروس أوروبا يعني اقترابه جغرافيا، وهنا بدأت مرحلة «الاهتمام المركّز»، تليها مرحلة «التعبئة القوية والشاملة».

فبمجرّد إعلان الإصابات المؤكّدة بالفيروس محليا، اتخذت المعالجة الإعلامية مسارا مغايرا، ارتقى فيه الوباء إلى صدارة النشرات الإخبارية، كما يلاحظ أنّ الإعلام السمعي البصري العمومي أفرد له حيّزا زمنيا أكبر لدى إعلان الحجر الصحي.

https://urlz.fr/cOjr

فعلى سبيل المثال، تغيّر اهتمام القناة الثانية المغربية «دوزيم» بالفيروس وانتشاره عبر العالم مابين 02 مارس 2020، تاريخ إعلان أوّل إصابة مؤكّدة بفيروس كوفيد 19 في المغرب، و20 مارس 2020، تاريخ دخول حالة الطوارئ الصحية حيّز التنفيذ.

ففي النشرة المسائية ليوم 02 مارس، حلّ النشاط الملكي أولا، متبوعا بالوضع الوبائي الذي أفردت له النشرة 06 دقائق و10 ثوان، من أصل 27 دقيقة و58 ثانية، المدة الإجمالية للنشرة. وفي الأيام الموالية، كان النبأ المتعلّق بالفيروس يتصدّر نشرات القناة الثانية، غير أنه اعتبارا من 06 مارس، بدأ الاهتمام الإعلامي بالوباء يتراجع. في النشرة المسائية ليومئذ، حلّ في الصدارة تفكيك خلية إرهابية. وفي مسائية 07 مارس، أعطيت الأولوية لكرة القدم بعد بلوغ فريق الرجاء البيضاوي نصفَ نهائي رابطة الأبطال الإفريقية. وفي 08 مارس، كانت النشرات مخصّصة بشكل شبه كامل لليوم العالمي للمرأة، ففي نشرة الظهيرة، التي امتدت لأكثر من 40 دقيقة آنذاك، خصّص للوضع الوبائي دقيقتان و03 ثوان فقط.

https://urlz.fr/cOjB

عاد الوباء، يوم 10 مارس، ليتصدّر مجدّدا النشرات الإخبارية للقناة الثانية، مع إعلان تسجيل أولى وفياته في المغرب. وفي 15 مارس، خصّصت له أول نشرة مسائية بالكامل بلغت مدتها الإجمالية 16 دقيقة و23 ثانية، أعقبتها في المساء ذاته نشرة استثنائية استفاضت في الوضع الوبائي باللغتين العربية والفرنسية، وشغلت حيّزا زمنيا بلغ ساعتين و26 دقيقة و07 ثوان.

بحساب المدد الزمنية التي أفردتها القناة الثانية لتغطية الجائحة في نشرات الظهيرة والمسائية ما بين 02 و20 مارس، يتبيّن أنّ الأنباء المتعلّقة بوباء كوفيد19 في المغرب وعبر العالم، شغلت أكثر من 50% من إجمالي الحيّز الزمني للنشرات8.

الملاحظة ذاتها على تلفزيون لبنان. فخلال الفترة ما بين 21 فبراير و15 مارس، خصّصت النشرات المسائية على شاشة «تلفزيون لبنان» حيّزا زمنيا يقدر بـ06 ساعات و09 ثوان لمستجدات فيروس كوفيد 19 في لبنان والعالم، من أصل حيّز بثّ إجمالي بلغ 11 ساعة و50 دقيقة و40 ثانية.

إذ يلاحظ من خلال تتبّع النشرات الإخبارية على مدى أيام متتالية، تزايد الاهتمام بالجائحة، فقد انتقل الحيّز الزمني المخصّص لفيروس كوفيد 19 من 05 دقائق و56 ثانية في مسائية 21 فبراير، ليبلغ 44 دقيقة و39 ثانية في النشرة المسائية ليوم 15 مارس، وهي أول نشرة تخصّص بالكامل لتناول الوضع الوبائي في لبنان وعبر العالم، إذا ما استثنينا خبرا واحدا مختصرا أدرج فيها لم تكن له صلة بالجائحة.

اللافت للانتباه في حالة «تلفزيون لبنان» هو أنّ الاهتمام بفيروس كوفيد 19 كان يضاهي الاهتمام بالأزمة الاقتصادية والمالية الضاغطة التي تمرّ منها البلاد، وأحيانا كانت الأنباء المتصلة بمحاولات التعافي الاقتصادي تستأثر باهتمام أكبر مقارنة بتلك المرتبطة بالوضع الوبائي.

الصورة لـ«وكالة الأنباء الفرنسية» من توقيع «باتريك باز» https://urlz.fr/cOjL

« الافت للانتباه في حالة «تلفزيون لبنان» هو أنّ الاهتمام بفيروس كوفيد 19 كان يضاهي الاهتمام بالأزمة الاقتصادية والمالية الضاغطة التي تمر منها البلاد »

3 - فيروس كوفيد 19 فرض تغييرات على الشبكات البرامجية

فرض تفشّي فيروس كوفيد 19 محلّيا إدخال تغييرات طارئة على الشبكات البرامجية للمحطات الإذاعية والقنوات التلفزيونية تواكب الظرفية الاستثنائية، بتوصية وتأطير من الهيئات التنظيمية للقطاع، كما هو الحال بالنسبة إلى «سلطة ضبط السمعي البصري» في الجزائر، التي أوصت بـ«توجيه البرامج نحو التحسيس والتوعية من قبل كلّ واحد ومن قبل الجميع بخطورة الوضع (...) دون الدخول في الهلع والرعب»9. هذا ما ذهبت إليه أيضا «الهيأة العليا للاتصال السمعي البصري» بالمغرب، مؤكدة ضرورة الإبقاء على البرامج الثقافية والترفيهية لدورها «في خفض منسوب الضغط النفسي على المواطن والترويح عنه»10.

بناء على ذلك، يكون عنوان المرحلة هو التوعية، ممّا يفضي إلى تغييرات طارئة لمواكبة الظرفية الاستثنائية اقتضت بثّ ومضات تحسيسية بمخاطر وباء يهدّد الصحة العامة وطرق الوقاية منه. لما تكتسيه من أهمّية، عمدت قنوات «الحوار التونسي» و«التاسعة» و«الوطنية1» و«حنبعل» التونسية، إلى بثّ ما مجموعه 1116 ومضة تحسيسية، خلال الفترة ما بين يوم 16 و29 مارس، من السادسة صباحا وحتى منتصف الليل11.

وبحسب معطيات «الهيئة العليا المستقلة للاتصال السمعي البصري» في تونس، فقد انتقل الحيّز الزمني للومضات التحسيسية من 09 ساعات و09 دقائق و13 ثانية خلال الأسبوع الثالث من مارس، إلى 11 ساعة و16 دقيقة و24 ثانية في الأسبوع الرابع من الشهر ذاته، وهي زيادة تسجّل بالتزامن مع ارتفاع عدد إصابات كوفيد 19، وبدء سريان الحجر الصحي العام اعتبارا من 22 مارس.

https://urlz.fr/cOjU

ووفقا للمصدر ذاته، فإنّ فيروس كوفيد 19 فرض نفسه في القنوات التلفزيونية سالفة الذكر موضوعا رئيسا على مختلف البرامج، بما يشمل المجلات الإخبارية والبرامج الحوارية والاستقصائية والترفيهية والرياضية، كما أنّ من بين المحطات الإذاعية والقنوات التلفزيونية مَنْ قامت بخلق برامج مرحلية تتناول حصرا مستجدّات الأزمة الوبائية. نستحضر أمثلة منها في الجدول التالي :

الإذاعة/ التلفزيون	البرنامج	وتيرة بثّه	طبيعته
القناة الوطنية الأولى التونسية	الوطنية تعطيك الصحيح	استثنائي	برنامج تفاعلي من حلقة واحدة امتدت لخمس ساعات وخصّصت للإجابة عن مختلف تساؤلات المواطنين المرتبطة بالأزمة الوبائية.
القناة الثانية المغربية	أسئلة كورونا	يبثّ من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة	برنامج ينقل لأولي الاختصاص استفسارات المواطنين بشأن أزمة كوفيد 19 وما رافقها من إجراءات لإبطاء انتشار الفيروس.
القناة الجزائرية الثالثة	خبايا كوفيد19		برنامج حواري يتناول بالتحليل مستجدات الوضعية الوبائية، تتخلّله تقارير ميدانية وشهادات للمواطنين.
قناة الموريتانية	قصص من زمن كورونا		برنامج تحسيسي بمخاطر وتداعيات جائحة كوفيد19، على شكل مسلسل تلفزيوني يحضر فيه الجانبان الاجتماعي والفكاهي.
تلفزيون لبنان	عن قرب.. عن بعد		برنامج مخصّص لدعم تعلّم الطلاب ومتابعة الأهل والأساتذة في ظلّ جائحة كوفيد 19.
قناة العراقية الإخبارية	وعيكم		برنامج حواري يتناول الأزمة الوبائية من زوايا متعددة، من خلال استضافة العديد من المتدخلين في بلاطو التصوير ينتمون إلى مجالات الأمن والاقتصاد والتجارة والدين والصحة وغيرها...

تلفزيون الإمارات	ظرف طارئ	يبثّ يوميا	برنامج يستمدّ موضوعاته من واقع الحالة الوبائية وتطوّراتها وتداعياتها، وفي كلّ حلقة يتمّ بثّ مقتطف من خطب وليّ عهد أبو ظبي، التي تحثّ المواطن على التضامن لتجاوز الأزمة.
القناة الأولى الكويتية	معاكم		برنامج يرصد الجهود الحكومية لاحتواء فيروس كوفيد 19 من خلال تقارير ميدانية وحوارات مباشرة ورسومات إنفوجرافيك تحسيسية.
تلفزيون سلطنة عمان	عن بعد	يبثّ يوميا	مجلة تتناول مستجدّات الفيروس على المستوى المحلّي وتقدّم للمشاهد مجموعة نصائح وإرشادات حول كيفية تجنّب عدوى فيروس كوفيد 19.
تلفزيون وإذاعة قطر	المسافة الاجتماعية	يبثّ يوميا	يخوض البرنامج في مختلف الجوانب المرتبطة بالأزمة الصحية عبر ربط الاتصال بمتدخلين معنيّين بتدبير الأزمة، ومتخصّصين كلّ في مجاله، من أجل قراءات في تداعيات الجائحة.
تلفزيون البحرين	مجتمع واعي	يبثّ يوميا	برنامج يسلّط الضوء على مجموع القرارات المتخذة من أجل احتواء الفيروس من خلال تقارير ميدانية، ونقل توضيحات أولي الاختصاص، كما يتضمّن فقرة هي عبارة عن مسابقة تخصّص مكافأة لكلّ مواطن يثبت لدى الاتصال به هاتفيا أنه ملتزم بالحجز المنزلي.

» التعبئة دفعت بعدد من وسائل الإعلام إلى إطلاق أكثر من برنامج دفعة واحدة، كلّ منها يتناول جانبا محددا في الأزمة الوبائية «

أثناء عملية رصد التحوّلات الطارئة على الشبكات البرامجية لعدد من المحطات الإذاعية والقنوات التلفزيونية العربية، يلاحظ أنّ التعبئة دفعت بعدد من وسائل الإعلام إلى إطلاق أكثر من برنامج دفعة واحدة، كلّ منها يتناول جانبا محدّدا في الأزمة الوبائية، كما هو الحال بالنسبة إلى «تلفزيون الإمارات»، الذي أطلق ستة برامج جديدة محورها الأزمة الوبائية، بينها برنامج «ظرف طارئ» سالف الذكر، فيما البقية هي كالآتي:

البرنامج	وتيرة البثّ	طبيعته
الإمارات وطن الإنسانية	برنامج يومي	يستعرض الجهود الحكومية المبذولة داخليا من أجل التصدّي للوباء، كما يسلّط الضوء على تضامن الإمارات مع دول أخرى في ظلّ الجائحة.
معًا نحن بخير	برنامج أسبوعي	هو بمثابة حملة خيرية يخصّص ريعها لمبادرات تضامنية، بالنظر إلى الأثر السلبي الاقتصادي والاجتماعي للجائحة.
د. عمر - كورونا كوفيد 19	يبث كلّ اثنين وخميس مع إعادة يوم الجمعة	يقدّم الطبيب عمر النصائح والتوجيهات للمشاهدين، بما قد يساعدهم على تجنّب عدوى الفيروس.
دين الرحمة	يبثّ كل جمعة	يجمع ثلّة من علماء الهيئة الإسلامية والأوقاف من أجل شرح الموقف الشرعي من الأزمة وسبل الوقاية من الفيروس.
الإمارات تتطوّع	يبثّ كل يوم سبت	يلقي الضوء على المبادرات التضامنية الشبابية التي برزت في خضمّ الجائحة، من أجل التخفيف من حدتها وتداعياتها.

تؤكّد الأرقام أهمّية البرامج المرحلية في مواكبة الجائحة، نذكر هنا برنامج «أسئلة كورونا» الذي يبثّ على شاشة القناة الثانية المغربية «دوزيم»، وحظي، خلال شهر مارس، بحصة مشاهدة بلغت 07 مليون و212 ألف مشاهد يوم 29 منه، ليأخذ بذلك مكانه في الرتبة الثالثة ضمن قائمة البرامج العشرة الأولى الأكثر مشاهدة على شاشة «دوزيم»12، مستفيدا من استعماله لغة تعطي الأولوية للدارجة المغربية، تجسيما لمبدأ القرب اللغوي، إضافة إلى كونه يبثّ في وقت ذروة، عند التاسعة مساء و52 دقيقة.

https://urlz.fr/cOk3

وعموما نستنتج أنّ القنوات التلفزيونية العمومية لم تول كثيرا من الأهمّية للفيروس، إلاّ في مرحلة ما بعد تسجيل أول وفاة ناجمة عنه محليا وإعلانه جائحة من قبل منظمة الصحة العالمية. هذا المنحى الذي اتخذه الوضع الوبائي في المغرب وعبر العالم، اضطر «دوزيم» لاحقا إلى إجراء تعديلات مهمّة على شبكتها البرامجية.

وبمقارنة الشبكات البرامجية لعدد القنوات التلفزيونية العمومية، نستنتج أنّ أبرز التعديلات تتمثّل في التغطية الشاملة لمستجدّات فيروس كوفيد 19 محليا ودوليا، إضافة إلى النقل المباشر للّقاءات التواصلية اليومية لمسؤولي وزارات الصحة، وبثّ ومضات تحسيسية وتوعوية، إضافة إلى دروس التعلّم عن بعد، التي أضحت بدورها تشكّل جزءا من البرامج المرحلية. ومن الدول مَنْ ذهبت حدّ إطلاق قناة جديدة لمواكبة المرحلة، كما هو الحال بالنسبة إلى المملكة العربية السعودية، التي أطلقت قناة «ذكريات» الخاصة بإعادة عرض برامج تلفزيونية كانت تحظى باهتمام وإعجاب المواطن، الذي هو ملزم بالبقاء في بيته في ظلّ الجائحة 13، وكذلك إطلاق التلفزة التونسية قناة الوطنية التربوية.

4 - الوضع الوبائي يخلق نموذجا جديدا للعمل الإعلامي

للأزمة الوبائية أثر عميق في الممارسة الإعلامية اليومية أفضى إلى قيام نموذج عمل جديد 14 امتثالا لما تقتضيه قواعد التباعد الاجتماعي، فقد تمّ تخفيف أعداد العاملين بشكل غير مسبوق داخل غرف التحرير، مقابل تقليص عدد ساعات العمل والسماح لعدد مهمّ من الموارد البشرية بالعمل من بيوتها، وإن كان الأمر يتطلّب توفير إمكانات لوجستية مهمّة، من أجل جودة صوت وصورة مماثلة لتلك التي تتحقق داخل مقرّات العمل.

https://urlz.fr/cOkq

لقد أحدثت التكنولوجيا الرقمية ثورة داخل غرف التحرير بمفهومها التقليدي، ربما لم نكن لنلمس ثمارها كافة دون حدوث أزمة من حجم جائحة كوفيد 19. أمام الوضع الجديد، وجد كثير من الإعلاميين أنفسهم مضطرّين إلى الخوض في أمور تقنية هي جزء من دورة عمل ذكية، يعود فيها الفضل

إلى الطفرة التكنولوجية، التي سهّلت أيضا القيام بتغطيات ميدانية عن بعد، اعتمادا على تطبيقات وبرامج التراسل الفوري، وهو ما كان إلى حد قريب يعدّ خطّا أحمر بالنسبة إلى لإعلام التقليدي، لكونه يخالف القواعد المتعارف عليها دوليا والمؤسسة للممارسة الإعلامية.

وفي خضمّ الجائحة، فضّلت العديد من المحطات الإذاعية والقنوات التلفزيونية الاقتصار على اعتماد هذه التطبيقات والبرامج من أجل ربط الاتصال بمختلف المتدخّلين، بدلا من استقبالهم في بلاطوهات البرامج أو النشرات الإخبارية.

على صعيد آخر، استفادت وسائل الإعلام التقليدية من مواقع التواصل الاجتماعي، التي شهدت بدورها تزايدا في نشاط المستخدمين، باعتبارها بيئة مشبعة بالقصص المرتبطة بوباء كوفيد 19، تتيح استمرارية العثور على زوايا معالجة جديدة، دونما اعتبار للحدود الجغرافية. كما أنّ وسائل الإعلام التقليدية وجدت في الأزمة فرصة لتحقيق حضور قوي ومنتظم على المواقع الاجتماعية، عبر استعمال وسائط متعدّدة تجمع بين النص والصوت والصور الثابتة ومقاطع الفيديو والبثّ المباشر والخرائط التفاعلية والإنفوجرافيك والكاريكاتير وغيرها، بالإضافة إلى تركيزها على خدمة الإشعارات لإخبار المتلقّين بمستجدّات الفيروس.

وفي خطوة ترويجية، تروم زيادة التفاعل بين روّاد المواقع الاجتماعية والرفع من مستوى التعبئة، عديدة هي القنوات التلفزيونية العمومية التي لجأت إلى استخدام الهاشتاغ في توعية وتحسيس المشاهدين بأهمّية احترام الحجر الصحي لمجابهة الجائحة، وذلك عبر تثبيته على الشاشة طيلة اليوم، بمحاذاة لوغو القناة أو في الجانب المقابل له.

نخلص إلى أنّ التعبئة القوية والشاملة ما كانت لتتحقّق دون تعزيز الحضور الإلكتروني للإعلام التلفزيوني التقليدي، كما أنّ التغطية التلفزيونية المرتبطة بالأزمة الوبائية ما كانت لتبلغ هذا المستوى كمّا وكيفا، في غياب مرونة تكنولوجية وهيكلية.

خاتمة:

ترسم التغطية التلفزيونية العمومية للوضعية الوبائية ملامح مرحلة جديدة تقطع مع الماضي وتؤسس لنموذج عمل تلفزيوني أكثر مرونة، معه يتعيّن على مسيّري القنوات التلفزيونية تدارك التأخّر الحاصل على مستوى المعرفة التقنية، عبر الاستثمار في التكوين المستمر، حتى يكون مهنيّو التلفزيون جزءا من دورة عمل أكثر ذكاء.

ولأنّ هذه الأزمة لعبت لصالح القنوات العمومية، سيكون من المفيد استثمار نقاطها الإيجابية في البرهنة للمتلقّي على كون التلفزيون التقليدي قادرا على مواكبة الطفرة التكنولوجية، من خلال خلق مواد إعلامية تلفزيونية خاصة بالبثّ على المواقع الاجتماعية.

من دون شك، تعتبر أزمة كوفيد 19 نقطة تحوّل إيجابية في العلاقة بين الإعلام العمومي والمتلقّي، لذا يتعيّن الحفاظ على هذا المكتسب لتعزيز الثقة وتقديم منتَجات إعلامية في مستوى تطلّعات المواطن، ترقى بذوقه العام، وتوطّد العلاقة به تأسيسًا لمرحلة الوفاء، حتى لا يكون الاهتمام الذي ظهر مع فيروس كوفيد 19 مرحليا مرتبطا بزمن الأزمات فقط.

هكذا فإنّ أزمة كوفيد 19 تعدّ اختبارا حقيقيا للمجتمعات العربية، وجب إشراك الإعلام التلفزيوني فيها باعتباره حليفا، لما له من دور في التوعية والتصدّي للشائعات، التي يظلّ أساس محاربتها تكوين جمهور ناقد ووسائل إعلام مسؤولة وذات موثوقية.

« تعتبر أزمة كوفيد 19 نقطة تحول إيجابية في العلاقة بين الإعلام العمومي والمتلقّي، لذا يتعين الحفاظ على هذا المكتسب لتعزيز الثقة وتقديم منتجات إعلامية في مستوى تطلّعات المواطن، ترقى بذوقه العام، وتوطّد العلاقة به تأسيسا لمرحلة الوفاء... »

المراجع:

1 أطلقت «وكالة المغرب العربي للأنباء» خدمة لرصد الأخبار الزائفة المرتبطة بجائحة كوفيد19، تحت عنوان: «SOSfakenews».

2 بلاغ رئاسة النيابة العامة عن جهود التصدّي للأخبار الزائفة، صدر بتاريخ 08 ماي 2020.

3 إسلام.ب : الوضع تحت السيطرة»، الخبر، 17 مارس 2020، الجزائر العاصمة، يمكن تصفّح المقال على هذا الرابط: https://urlz.fr/cKkM.

4 وردت هذه المعطيات في بلاغات أسبوعية متتالية لمؤسسة «ماروك متري» لقياس نسب مشاهدة القنوات التلفزيونية المغربية.

5 معمري، محمد: «تونس: التلفزيون الرسمي يحصد أعلى المشاهدات خلال الحجر»؛ 04 أبريل 2020، لندن، يمكن تصفّح المقال كاملا على هذا الرابط: https://urlz.fr/cKuY.

6 بورقعة، ليلى: «التلفزة التونسية تحتلّ صدارة نسبة المشاهدة: القناة الأم تستعيد جمهورها بفضل نشرة الأنباء»، 04 أبريل 2020، تونس، https://urlz.fr/cKvd.

7 ضيف التحرير، ما الذي غيّرته الجائحة في الإعلام المغربي؟، رضا كريفي، إذاعة البحر الأبيض المتوسط الدولية، طنجة، 03 ماي 2020، الساعة 18:10، رابط الحلقة: https://urlz.fr/cKlh.

8 نشير هنا إلى أنه لم يتمّ احتساب 7 نشرات إخبارية، موزّعة بين الظهيرة والمسائية، نظرا إلى عدم توفّرها على موقع www.2m.ma، كما أنّ احتساب المدد الزمنية لم يشمل عناوين النشرات، لعدم توفرها كاملة في الأشرطة.

9 وكالة الأنباء الجزائرية: «سلطة ضبط السمعي البصري تدعو وسائل الإعلام إلى تكييف برامجها مع الوضع الراهن»، 20 مارس 2020، الجزائر العاصمة، يمكن تصفّح القصاصة على هذا الرابط: https://urlz.fr/cNDi.

10 الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري (الهاكا): «التعبئة الوطنية للحدّ من تفشي فيروس كورونا المستجد كوفيد19، تقرير تركيبي عن إسهام الخدمات الإذاعية والتلفزية المغربية»، 10 أبريل 2020، الرباط.

11 الهيئة العليا المستقلة للاتصال السمعي البصري التونسية (هايكا)، تقرير حول «التغطية الإعلامية والومضات التحسيسية المتعلقة بفيروس كورونا، 18 أبريل 2020، تونس.

12 «ماروك متري»: البلاغ الصحفي الشهري عن الأرقام المفاتيح للتلفزة، من 02 إلى 29 مارس 2020.

13 وزارة الإعلام السعودية: «المملكة تواجه كورونا: تقرير يلخّص الجهود الحكومية في مكافحة انتشار فيروس كورونا المستجد كوفيد19»، النسخة الثانية، ماي 2020، الرياض.

14 عبد العزيز، ياسر: «أثر كورونا في الإعلام جوهري»، الشرق الأوسط، 30 مارس 2020، لندن، يمكن تصفّح المقال على هذا الرابط : https://urlz.fr/cMs4.

التناول الاعلامي لجائحة كورونا وتداعياتها الصحية والاجتماعية والنفسية والبيئية

د. عبدالرزاق الدليمي
خبير الدعاية الإعلامية - الأردن

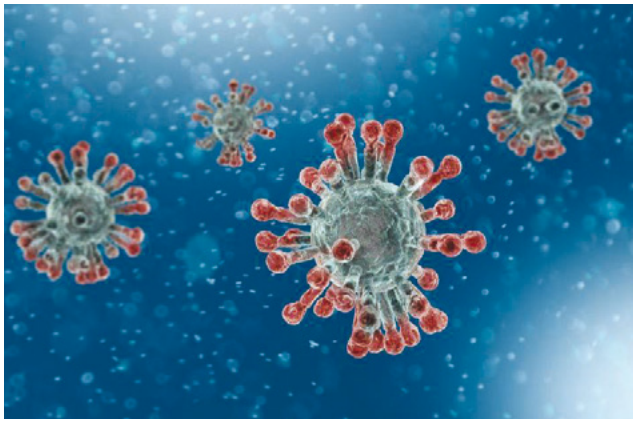

أدى تفشّي الفيروس التاجي من ووهان (الصين) وانتشاره إلى حدوث كوارث عالمية، الأمر الذي أجبر منظمة الصحة العالمية على إعلان حالة الطوارئ الصحية، ممّا ولّد قلقا دوليا غير مسبوق نتيجة جذب هذه الأزمة اهتمامًا إعلاميًا مكثّفًا، صاحبتها تغطيات غير متوازنة قامت بها بعض وسائل الإعلام، كتسمية الفيروس التاجي بشكل غير لائق حسب العرق، باستخدام عناوين مثل «فوضى الفيروسات الصينية» بل واقتراح «أنّ على أطفال الصين البقاء في المنزل». أثارت التغطية المتحيّزة المقدّمة من بعض القنوات الإعلامية الغربية الغضب في كافة أنحاء المجتمع الصيني، ووضعت ضغطًا نفسيا على الأفراد الصينيين الذين يعيشون خارج بلادهم، ناهيك عن الآثار المحتملة للتغطيات الإعلامية المضلّلة على الصحة العقلية لهؤلاء.

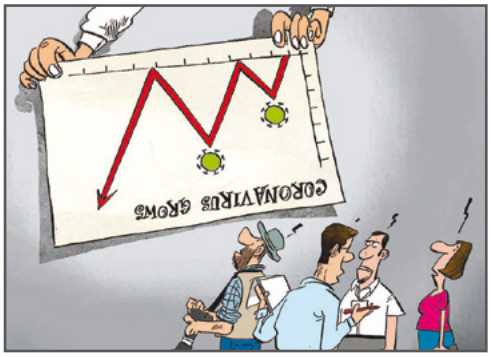

يعتبر هذا العمل الإعلامي نوعا من التميز العنصري المدرك الناشئ عن فيروس كورونا الذي انتهى به الأمر كأزمة للصحة العامة عالميا، وما قد ينتج عنه لاحقا من آثار قد تنعكس على جوانب كثيرة تتعلّق بمستقبل الاقتصاد الصيني، وتحوّله من اقتصاد جاذب إلى غير جاذب.

إنّ الأزمة التي تسبّبت فيها جائحة كوفيد 19 عرّضت العالم إلى تحديات كثيرة. حينما تمّ غلق الحدود وتحرّكت الحكومات أكثر من أيّ وقت مضى نحو إعلان حالة الطوارئ الوطنية، تَرافَق كلّ ذلك مع قيام وسائل الإعلام بالتعاطي مع هذه الأزمات بطرق وأساليب وأجندات متباينة في جميع أنحاء المعمورة، سواء في البلدان التي تتمتّع بحرّية الصحافة، أو في تلك التي يتمّ فيها تقييد حرّية الإعلام .

كورونا: الأزمة والكارثة

هذه هي المرّة الأولى التي يعاني فيها الجيل الحالي من جائحة بهذا الحجم، وقد بدأنا أخيرا في فهم الدور النهائي الذي يمكن أن تؤدّيه وسائل الاتصال الاجتماعية سيما في المراحل القادمة، وسيكون هذا النوع من الفهم العلمي بمثابة دراسة وضعية دقيقة بشكل مميّز لمعرفة الطرق التي يستجيب بها الجمهور والشركات وردود أفعالهم، سواء لمثل هذا الحدث العالمي أو ما يستجدّ من أمثاله؟! وكيف تؤثّر هذه الاستجابات على منصّة عامة، ليس فقط على سلوك الأفراد، وإنما على الشركات والحكومات (والمستقبل القريب ينبيء بمفاجآت ربما قد تكون غير سارّة).

تصنّف الأزمات والكوارث حسب معالجتها إلى صنفين، **الأول** : لا دخل للإنسان بحدوثها، كالزلازل والبراكين، واستطاعت التكنولوجيا المتطوّرة أن تمكّن البشر من معرفة متى تقع وتساعدهم في معالجة الآثار بعد حدوثها، أمّا **الصنف الثاني** من الكوارث الطبيعية فيكون الإنسان هو الطرف المستفزّ والمهيّج للبيئة ضده، وهنا لا بدّ من إجراءات مضادّة ومدروسة سلفا، مع بداية تفكير الإنسان في التعامل مع البيئة (وتعتقد أطراف كثيرة أنّ كوفيد 19 هو من فعل فاعل بشري) .

يبقى علم إدارة الأزمات مطلبا جوهريا، ليس لأصحاب القرار وحدهم، وإنما للأجيال القادمة بغية التدريب على التفكير المنطقي عند تناول أيّ معضلة، واحتساب العواقب سلفا لمواجهة الصعاب بدراية إنْ حصلت .وكارثة كورونا هي موقف لا نستطيع وصفه بالطارئ، خلق ارتباكا في تسلسل الأحداث اليومية للبشرية وأدّى إلى سلسلة من التفاعلات نجمت عنها تهديدات ومخاطر مادية ومعنوية للمصالح الأساسية للمجتمعات الإنسانية، ممّا استلزم اتخاذ قرارات سريعة في وقت محدّد، وفي ظروف يسودها التوتر نتيجةً لنقص المعلومات، وحالة عدم التيقّن التي تحيط بالأحداث التي ترافقها .

الإعلام في مواجهة كوفيد 19

تعدّ وسائل الإعلام طريقة مجدية للأفراد والمجتمعات للبقاء على التواصل حتى أثناء الانفصال المكاني. خلال جائحة إنفلونزا عام 1918، التي قدّرت مراكز مكافحة الأمراض والوقاية خلالها إصابة ثلث سكان العالم ، لم يكن لدى الناس حينها نفس مصادر الاتصال التي لدينا الآن لمشاركة الآخرين الأخبار والمعلومات بسرعة. وعلى سبيل المثال لا الحصر أظهر تقرير الصحة العامة حول استجابة سكان مدينة مينيابوليس الأمريكية لأنفلونزا عام 1918 أنّ المعلومات المهمّة المتعلّقة بالفيروس قد تمّ استقاؤها في المقام الأول عن طريق عمّال البريد والكشافة والمعلّمين.

مع زيادة انتشار وسائل التواصل الاجتماعي في القرن الحادي والعشرين، بات لزاما على المواطن الواعي، ليس تعلّم آخر التحديثات الإخبارية فحسب، بل أن يستخدم منصّات مثل Facebook و Twitter لتحديث معلوماته الشخصية والتجارية بالنسبة إلى الشركات، هذا يعني إمكانية الاستفادة من وسائل التواصل الاجتماعي لدعم الموظفين والعملاء (الحرفاء) وبشكل لم يحدث من قبل. أمّا بالنسبة إلى الحكومات المستنيرة، فهذا يعني بذل قصارى جهدها لتبادل المعلومات الواقعية والجديدة بكفاءة مع مجتمعاتها ومع كلّ الاطراف المعنيّة.

وإذا ألقينا نظرة على كيفية قيام الأفراد والشركات والوكالات الحكومية بمشاركة المعلومات والتفاعل مع الآخرين عبر وسائل الاعلام، ومنها شبكات التواصل الاجتماعي في فترات انتشار جائحة كوفيد 19 ، تبرز أمامنا أربعة أدوار رئيسية :

1 - مصدر المعلومات (والمعلومات الخاطئة)

لم تتوفّر لدينا كمّية مناسبة من المعلومات في الوقت الحاضر عن مواجهة حدث عالمي كما في جائحة كوفيد 19، والتي يمكن أن تساعد في الحفاظ على سلامتنا، وتزويدنا بفهم أفضل لما يحدث، وكيف يمكن أن تؤثّر هذه الجائحة علينا وعلى من نحبّهم. ومع هذه الميزة الإيجابية فإنّ وسائل التواصل الاجتماعي يمكن أيضًا أن تبثّ الأكاذيب والشائعات، بما في ذلك التدابير الوقائية المعجزة، والمزاعم الكاذبة حول تطبيق الأحكام العرفية، ونظريات المؤامرة. ورغم ادّعاء شركات هذه الوسائل حرصها على مكافحة المعلومات الخاطئة عن الجائحة، يتسابق الكثير منّا للوصول إلى أكبر قدر من المعلومات التي يمكننا الحصول عليها،

وهنا أضحى الجمهور هدفا سهلا للمزاعم الخاطئة والخطيرة في بعض الأحيان، والتي يتمّ نقلها بعد ذلك إلى الآخرين. على سبيل المثال ووفقًا لتقرير جديد لمركز بيو للأبحاث، قال نصف الأمريكيين تقريبًا إنهم رأوا أخبارًا مختلقة عن الفيروس التاجي عبر المنصّات التالية :

(Microsoft YouTube وFacebook وGoogle وLinkedIn وReddit وTwitter)

ويمكن هنا أن نوضّح إمكانية التمييز بين المصادر الموثوقة وغير الموثوقة على وسائل التواصل الاجتماعي... إنّ أفضل قاعدة أساسية للتأكّد من دقة المعلومات هي التحقّق من المصادر الأصلية، والتأكّد من أنّ تلك المصادر جديرة بالثقة بالفعل. كما يجب التأكّد أنّ عملية نقل المعلومات قد تمّت بدقة. فمثلا لا ينبغي الوثوق بادّعاء شخصٍ ما أنه حصل على معلومة من مصدر موثوق بالنسبة إليه بأنه ينقلها إلى غيره بدقة. لذلك يتعيّن على الشخص الذي يقدّم المعلومات، سواء نيابةً عن شركة أو حسابه الشخصي، الاستشهاد بمصادره والتحقّق منها. وعليه الحذر من استخدام المعلومات المثيرة للقلق أو المطلقة. وذلك لأنه لا يزال هناك الكثير من الأشياء المجهولة حول هذا الفيروس، ولا أحد يعرف ما الذي تحمله الأسابيع والأشهر المقبلة. ومن الأفضل دائمًا أن يدرك الجميع هذا الإشكال ويتجنّبوا العبارات المثيرة للقلق وغير الضرورية.

2 - التأثير على استجابة الجمهور

وفّرت منصّات التواصل الاجتماعي لبلايين الأشخاص في الأشهر القليلة الماضية حرّية المشاركة بآرائهم علنًا بخصوص هذا الوباء المستجدّ، ونشط كثير من الأفراد والمؤسسات لنشر الوعي، بالإضافة إلى الإجراءات العامة التي يمكن اتخاذها بشأنها عبر وسائل التواصل الاجتماعي،

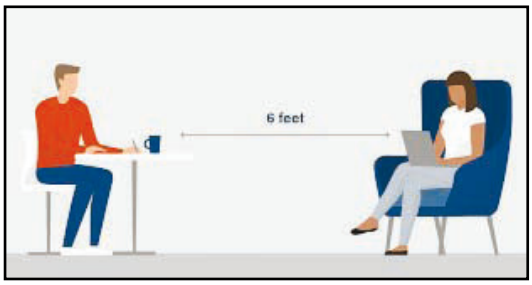

ومن أهمّ الطرق المتميّزة لتأثير وسائل التواصل الاجتماعي على الجمهور منذ أن بلغ الفيروس مستويات الجائحة ظهر ما يلي :

التباعد الاجتماعي والحجر الصحي المنزلي : لم يسمع الكثير عن «التباعد الاجتماعي»، الذي يشير إلى البقاء على مسافة ستة أقدام على الأقل بعيدًا عن الآخرين للمساعدة في منع انتشار العدوى إلاّ إثر تفشّي الجائحة بشكل عالمي. أمّا الآن، فهناك حملات يقوم بها مستخدمو وسائل التواصل الاجتماعي، مع الأصدقاء والعائلة وباتجاه المشاهير والحكومات، بضرورة الالتزام بانتظام بالتباعد الاجتماعي.

انتشار الذعر والشراء : توسّعت بين الكثير من الناس ظاهرة الشراء المفرط للسلع المنزلية ومنتَجات التعقيم والطعام خوفًا من اختفائه - تمامًا كما يفعلون عندما يكون هناك إعصار أو بعض الكوارث الطبيعية الأخرى.

العواطف والإعلام في التعامل مع (كورونا)

بإمكان وسائل الإعلام المختلفة، لاسيما أثناء الأزمات والكوارث، أن تكون أداة توعية وتثقيف، مثلما يمكن أن تكون سبيلاً لإثارة العواطف والمشاعر. إنّ تكريس الوعي ونشر المعرفة بحاجة إلى أدوات وعوامل وجهود ذهنية وعضلية مع سجلّ حافل بالتجارب الثرية، حتى يُصار إلى تحقيق عملية ثقافية من خلال وسائل الإعلام، وهذا قد يستغرق زمناً، ربما يطول أو يقصر. بينما الإثارة، لن تكون بحاجة سوى إلى قرار من إدارة أيّ وسيلة إعلامية، لإثارة هذه القضية الإنسانية أو تلك، نظراً إلى وجود أصل المادة الإعلامية الجاهزة في الساحة، متمثّلة في الأزمات والمشاكل التي تعيشها سائر المجتمعات الإنسانية. ثمّ هنالك اتجاهان في مسألة إثارة العواطف والمشاعر الإنسانية : الأول : يكون سلبيًا، والآخر إيجابيًا، **فالاتجاه الأول**، يحمل الإنسان على التوتر والاضطراب. ولعلّ أبرز الأمثلة، إثارة الغريزة الجنسية أو النزعة العنصرية أو الطائفية، ممّا يطلق عليه أحيانًا بـ "الإثارة الرخيصة". أمّا **الاتجاه الثاني**، فهو على العكس تمامًا، يحمل الإنسان إلى حيث التحابب والتعايش والشعور بالمسؤولية إزاء الآخرين، إنّ دور الإعلام في إثارة العواطف، سيما في تغطية الكوارث والأزمات يعتبر أمرًا حيويًا لحواراتنا المشتركة ويؤدي دورًا رئيسيًا في تنظيم عواطفنا، بما في ذلك السيطرة على الخوف.

في حين أن الخوف هو عاطفة نعيشها كثيرًا كأفراد ، فإنه يمكن أيضًا أن يكون عاطفة مشتركة واجتماعية، تنتشر عبر المجموعات والمجتمعات وتتشكّل ردود أفعالنا بالخوف إزاء الأحداث الجارية، مثل العواطف الأخرى، وبنسق مُعدٍ ويمكن أن ينتشر بسرعة. إنّ نوع وشكل ومضامين التغطية الإعلامية يحدّد من خلال أجندة الوسيلة الإعلامية نفسها. ويمكن ملاحظة كيف أنّ الأخبار لا تهتمّ بالضرورة لمساعدتنا بما ينبغي التفكير فيه، فإنها تخبرنا بما تعتقد وفق أجندتها بما يجب التفكير فيه. وبذلك، لا تشير الأخبار إلى كلّ القضايا التي تستحقّ اهتمامنا، فقد أظهرت الأبحاث بصورة مستمرّة أنه عندما تحظى بعض القضايا بتغطية إعلامية واسعة (كما هو الحال مع تغطيات فيروس كورونا) وتكون بارزة في أجندة الأخبار، فإنها تصبح أيضًا أكثر أهمّية من قبل أفراد الجمهور.

كان التركيز في التغطيات الإعلامية في وسائل الاتصال على الإطلاق لتفشّي الجائحة المستجدّة غير مسبوق ولا يشبه التغطية الإعلامية عن الأوبئة الأخرى ، بما في ذلك الإيبولا. على سبيل المثال، أظهرت دراسة أجرتها

مجلة Time Magazine أنّ كان هناك 23 زيادة في المقالات والأخبار المطبوعة باللغة الإنجليزية تغطّي تفشّي الفيروس التاجي في شهره الأول، مقارنة بالفترة الزمنية نفسها لوباء الإيبولا في 2018.

أدّى الخوف دورًا حيويًا بصفة خاصة في تغطية تفشّي الوباء. فمنذ أن بدأت التقارير تظهر لأوّل مرّة عن المرض الغامض الجديد في 12 يناير، وحتى 13 فبراير 2020، استخدمت كبريات الصحف العالمية باللغة الإنجليزية، قاعدة بيانات LexisNexis في المملكة المتحدة، وشمل ذلك ما يقارب المائة صحيفة نشرت بشكل جماعي 9387 قصة حول تفشّي المرض. من بين هذه المقالات، ركّزت 1066 مقالة على «الخوف» أو الكلمات ذات الصلة به. ولوحظ أنّ تلك القصص غالبًا ما استخدمت لغة مخيفة أخرى (استخدمت خمسين مقالة عبارة «الفيروس القاتل»).

كما تمّ ملاحظة أنّ صحف التابلويد مثل The Sun و The Daily Mailكانت أكثر وضوحا في استخدام اللغة التي تثير الخوف. على سبيل المثال لا الحصر، تشير مدوّنة Live Sun Virus Avon Coronavirus Live بشكل روتيني إلى الفيروس على أنه «مرض قاتل» .... كذلك قدّمت العديد من القصص زوايا محلّية من خلال تسليط الضوء على المخاوف في المناطق المتضرّرة من انتشار المرض. فكانت الحوارات حول استخدام الزجاجات الصغيرة الخاصة بمطهّر اليدين المضاد للبكتيريا بعيدًا عن الاستخدامات في المطعم أثناء الغداء. وهذا هو أحد مصادر القلق بشأن الفيروس التاجي الذي اعترف به السكان المحلّيون في The Grenadier in Hove لتغيير إجراءات غسل اليدين.

ربما بالغ الرئيس الأمريكي الأسبق روزفلت في قضية الخوف عندما قال كلامه المشهور «الشيء الوحيد الذي يجب أن نخافه هو الخوف نفسه»، في هذا الوقت المليء بالمعلومات الخاطئة والأخبار المزيّفة وبنظريات المؤامرة، يستوجب الأمر التنبّه إلى مخاطر هذه المشاعر الذائعة في مواجهة عدم التيقّن، سيما بما يتمّ تناوله في شبكات التواصل الاجتماعي.

واهتمّت تقارير أخرى بتعزيز قصص أخرى من خلال مناقشة محاولات التأثير على الشركات المملوكة للصينيين. حيث ذكرت صحيفة مانشستر إيفننج نيوز: «إنّ الخوف من الفيروس التاجي يصيب تلك الشركات بشدّة، الأمر الذي أدّى إلى انخفاض عمّالها بنسبة 50%، وعبّر المالكون الصينيون عن معاناتهم من زيادة الإساءات العرقية.

وعلى النقيض من ذلك ،كانت هناك مواقف إعلامية أخرى، إذ سعى أصحابها إلى نشر عدد من القصص الداعية إلى تهدئة المخاوف وتوفير الطمأنينة. وهنا نقتبس ما قاله رئيس الوزراء السنغافوري على نطاق واسع في تحذيره من الذعر :(يمكن للخوف أن يجعلنا نشعر بالذعر، أو القيام بأشياء تزيد الأمور سوءً، مثل تداول الشائعات عبر الإنترنت، أو إخفاء أقنعة الوجه أو الطعام، أو إلقاء اللوم على مجموعات معيّنة في تفشّي المرض).

أظهرت الأبحاث التي تخصّ التغطية الإعلامية لتفشّي الجائحة تأكيدًا على أهمّية انتشار الخوف. فمثلا في حالة وباء السارس عام 2003، أثبتت دراسة أجراها كلّ من المؤرّخ باتريك واليس واللغوي بريجيت نيرليش أنّ «المجاز المفاهيمي الرئيسي المستخدم هو السارس كقاتل».وعلى نفس المنوال، قام عالما الإعلام بيتر ناسترمان ونيل رويجروك بفحص تغطية وباء H1N1 في هولندا، ووجدوا أنّ النغمة «المقلقة» في تلك التغطية اتسمت مثل الفيروس التاجي، بعدم اليقين وتكاثر الخوف والذعر.

كورونا والتأثير النفسي والاجتماعي

إنّ أغلب سلوكياتنا هي ردود أفعال لما ينتابنا من مشاعر ودوافع وأحاسيس في العالم كلّه، وخلال جائحة كورونا توحّدت المشاعر وردود الأفعال، فكلّ الناس تعاني من الخوف، القلق المجهول وضبابية الموقف، ممّا جعل سلوك الإنسان بعيدا عن المتوقع منه .إنّ التزاحم على الأسواق المركزية والجمعيات، والتهافت على اقتناء السلع الغذائية والماء، إنما يتمّ بدافع الهلع والخوف، وأيضا نتيجةً للشعور بعدم الثقة في القادم من الأيام، وتوقيت الخروج من الأزمة وتنفّس حرّية التصرّف. فالغموض الذي يكتنف أسباب تفشّي الفيروس، وأيضا عدم وجود الدواء والعلاج، وزيادة أعداد العدوى والوفيات، كلّها عوامل تزيد من فقدان شعور الإنسان بالسيطرة على ظروف حياته، ممّا يدفعه إلى القيام بسلوكيات مثل التدافع والزحام والإفراط في الشراء، حتى يشعر الشخص بأنه قد بذل ما بوسعه لتهدئة مخاوفه.

هناك أكثر من رؤية وتفسير لهذا السلوك منها :

- الخوف من ضياع الفرصة والشعور بالكآبة والإحباط، أنه قد ضيّع على نفسه فرصة متاحة لتوفير حاجاته .
- الإنسان بطبعه يحتاج إلى أن يقوم بخطوات احترازية واستعدادات متناسبة مع حجم الحدث أو الخطر والشراء والتخزين والذي يعطيه شعور الاستعداد والسيطرة.
- إنّ الشراء بدافع المخاوف وزيادة القلق يعتبر حيلة دفاعية نفسية للتعامل مع مشاعر الخوف، وإنّ الإنسان يمتلك السيطرة على الموقف .
- الناس تُقلّد بعضها وتَحكمها عقلية القطيع، عندما يتحدّث الناس عن سلعةٍ ما، وإنها سوف تنتهي من السوق، يتدافعون لشرائها، كما حدث في بداية أزمة كورونا، حين تدافع الناس لشراء الكمّامات ومواد التعقيم حتى شحّت من السوق والصيدليات وارتفعت أسعارها. ثمّ بعدها التدافع لشراء البصل وكأنه سيختفي من الوجود، وحوّلوه إلى سلعة استفزازية غير متوفّرة ونادرة، ممّا أدى أيضا إلى رفع سعره.

- سلوك الإنسان دائمًا معبّر عن أفكاره وما يحمله بداخله من أفكار ومشاعر، لذلك تأتي استجاباته للمواقف بشكلٍ عاطفي.

وهكذا يجب التعامل مع الإنسان بالشفافية، والتأكيد على أنّ حاجاته باختلافها هي من اهتمامات الحكومة وصنّاع القرار، وأيضًا توفير المعلومات والطرق التي تسهّل حصول المواطن على كلّ احتياجاته في الغذاء والدواء والعلاج، وكلّ ما يحتاجه للشعور بالأمن النفسي والاجتماعي.

وسائل التواصل الاجتماعي والأوقات الصعبة

تسلّط هذه الأزمة الصحية الضوء على نقاط القوّة الخاصة لوسائل التواصل الاجتماعية في كيفية استخدامها في الدعم المجتمعي والعاطفي.كما رأينا مع أزمات مثل الزلازل و تسونامي الذي تسبّب في الكارثة النووية في اليابان عام 2011، نرى أنّ الناس في جميع أنحاء العالم يتواصلون بعضهم البعض - قريبًا وبعيدًا - من خلال تلك الوسائل لفهم ما يحدث.

ذاعت العديد من مقاطع الفيديو المضحكة حول كيفية تعامل الناس بشكل إبداعي، من خلال مجموعات Facebook التي تحاول الترفيه وتقديم الدعم العملي لمساعدة الجيران الذين يحتاجونها في تسوّق البقالة أو رعاية الأطفال، وارتفعت درجات استخدام الناس للتطبيقات التي تسمح بالدردشة الحيّة وجلسات الفيديو مع عدّة أشخاص. فتحوّلت حاجة الناس إلى وسائل التواصل الاجتماعية، ليس فقط للدعم والترفيه، ولكن كمصدر للمعلومات وأيضا نشر الأخبار الكاذبة. هذا هو الجانب المظلم في تلك الوسائل بالنظر إلى دورها في نشر الأخبار المزيّفة. كانت المنصّات متأخّرة في الاعتراف بمسؤوليتها في مساعدة مستخدميها على التمييز بين الأخبار المزيّفة عن الحقائق ، لكنهم مع ذلك اتخذوا خطوات في الاتجاه الصحيح. فمثلا أعلن إنستغرام عن تخصيص قسم للمنشورات والقصص ذات الصلة بـ COVID-19 التي تنشرها المنظّمات الصحية الرسمية. ومع ذلك يجب على مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي التحقّق من المعلومات التي يحصلون عليها ويقارنونها مع اثنين من مصادر المعلومات الأخرى على الأقل، مثل المواقع الحكومية ووسائل الإعلام رفيعة الجودة. وهناك نواحٍ إيجابية اعتمدها بعض الناشرين الأكاديميين عبر الإنترنت مجانًا لدعم المعلّمين والطلاّب في جميع أنحاء العالم من خلال التعلّم عن بعد. كما بدأ بيلاتيس في HEC Paris قناة على YouTube ، حيث يبثّ مقاطع فيديو بشأن كيفية الحفاظ على لياقتنا أثناء احتجازنا في المنزل.

كورونا وحرب الشائعات والأخبار الكاذبة

صاحبت تفشّي الوباء، موجة معلومات خاطئة وشائعات، وفقًا لمنظمة الصحة العالمية. في 3 فبراير 2020، بعد وقت قصير من إعلان المنظمة أنّ الفيروس التاجي أصبح حالة طوارئ صحية عالمية، بدأ حساب "غامض" الهويّة على موقع تويتر من موسكو بإعادة تغريد مدوّنة أميركية. كان الحساب يحاول الترويج لفكرة أنّ فيروس كورونا "سلاح جرثومي مصمّم لتعجيز الأشخاص وقتلهم".وفي إحدى التغريدات قال القائمون على الحساب إنّ هناك أدلة دامغة غير قابلة للجدل بأنّ الفيروس عبارة عن سلاح جرثومي، بالرغم من أنّ كبار العلماء قد فضحوا هذا الادعاء وأعلنوا أنّ الفيروس الجديد طبيعي.

كورونا وأزمات الصحة النفسية

إنّ أثر الجائحة على الصحة النفسية للناس يُمثّل بالفعل مصدراً كبيراً للقلق. فقد زادت وطأة العزلة الاجتماعية، والخوف من العدوى، وفقدان أفراد من الأسرة، بفعل القلق الناجم عن فقدان الدخل، بل وفقدان العمل في كثير من الأحيان. فقد أشارت دراسة أُجريت بأثيوبيا في أبريل 2020، إلى زيادة معدّل انتشار أعراض الاكتئاب بثلاثة أضعاف على المعدّلات المقدّرة في هذا البلد قبل الوباء. وتتعرّض مجموعات سكانية معيّنة بصفة خاصة لمخاطر الكرب النفسي الناجم عن كوفيد19-. فالعاملون في الخطوط الأمامية للرعاية الصحية الذين يواجهون أعباء العمل الثقيلة والقرارات المتعلّقة بالحياة أو الموت ومخاطر العدوى، يتضرّرون تضرّراً شديداً. وأثناء تعرّض الصين للجائحة، سُجّلت معدّلات مرتفعة للاكتئاب (50 في المائة) والقلق (45 في المائة) والأرق (34 في المائة) في صفوف العاملين في الرعاية الصحية. وفي كندا أفاد 47٪ من العاملين في الرعاية الصحية بحاجتهم إلى الدعم النفسي.

ويتعرّض الأطفال والمراهقون أيضاً للمخاطر. فقد أفاد الآباء والأمهات في إيطاليا وإسبانيا بأنّ أطفالهم يجدون صعوبة في التركيز ويعانون من سرعة الانفعال، والتململ، والعصبية. وأفضت التدابير الخاصة بالبقاء في المنزل إلى زيادة مشاهدة الأطفال للعنف وسوء المعاملة أو تعرّضهم لهما. ويُعدّ الأطفال ذوو الإعاقة، والأطفال في الأماكن المزدحمة وأولئك الذين يعيشون ويعملون في الشوارع الأسرع تأثّراً. وتتمثّل الجماعات الأخرى الشديدة التعرّض للمخاطر في النساء، ولاسيما النساء اللواتي يحاولن الموازنة بين التعليم المنزلي لأطفالهن والعمل من البيت والأعمال المنزلية، وكبار السنّ والأشخاص الذين يعانون بالفعل من الحالات الصحية النفسية. فقد وجدت دراسة أُجريت مع الشباب ممّن يعيشون في المملكة المتحدة وسبق لهم الاحتياج إلى الرعاية الصحية النفسية، أنّ 32 في المائة منهم يوافقون على أنّ الجائحة تسبّبت في تدهور صحتهم النفسية تدهورًا كبيرًا.

وتشكّل زيادة استهلاك الكحول مصدراً آخر لقلق خبراء الصحة النفسية، فقد أشارت الإحصائيات في كندا إلى زيادة استهلاك بين 20 في المائة من الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و49 عامًا أثناء الجائحة. مع زيادة عدد الأشخاص الذين يحتاجون إلى خدمات الصحة النفسية أو الدعم النفسي الاجتماعي، استفحل الأمر جرّاء تعطّل خدمات الصحة البدنية والنفسية في الكثير من الأقطار. ففضلاً عن تحويل مرافق الصحة النفسية إلى مرافق لرعاية الأشخاص المصابين بكوفيد19-، تضرّرت نُظم الرعاية من إصابة العاملين في الصحة النفسية بالفيروس ومن إغلاق المرافق التي تقدّم الخدمات وجهاً لوجه. وعجز القائمون على الخدمات المجتمعية، مثل مجموعات المساعدة الذاتية المعنية بالاعتماد على الكحول والأدوية، عن الاجتماع طوال أشهر كثيرة في عدّة بلدان. لقد اتضح الآن بجلاء أنّ الاحتياجات المتعلّقة بالصحة النفسية ينبغي أن تُعالج بوصفها عنصراً أساسياً من عناصر استجابتنا لجائحة كوفيد19- وتعافينا منها. ويُعدّ ذلك مسؤولية جماعية تتحمّلها الحكومات والمجتمع المدني بدعم من منظمة الأمم المتحدة بأكملها، فإنْ لم تؤخذ السلامة النفسية للناس على محمل الجد، ستتكبّد المجتمعات تكلفة اجتماعية واقتصادية طويلة الأجل.

كورونا والبيئة

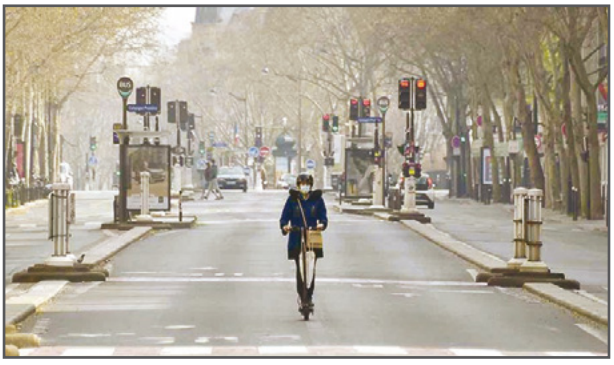

تشير صور الأقمار الصناعية والتقارير الصادرة من كافة أنحاء المعمورة إلى أنّ العالم يشهد مستويات أقلّ من التلوّث. ووفقاً للبيانات التي نشرتها وكالة الفضاء الأوروبية، فإنّ مستوى تلوّث الهواء في الصين أخذ في الانخفاض، كما تمّ رصد مستويات انخفاض مشابهة للانبعاثات في أوروبا بسبب التباطؤ الاقتصادي الناجم عن «كوفيد- 19».

إذ تـثبت منظمة الصحة العالمية أنّ تلوّث الهواء يقتل حوالي سبعة ملايين شخص في كافة أرجاء العالم سنويًا، ممّا يضع في الاعتبار الفوائد الصحية لانخفاض معدلات تلوّث الهواء الذي يتمّ رصدها حالياً. أفادت التقارير الواردة من الهند أنّ وقف العمل التام في البلاد أدى إلى تخفيف مستويات تلوّث الهواء، وبالتالي أصبح بالاستطاعة رؤية جبال الهيمالايا من على بعد أكثر من مائة ميل في ولاية البنجاب شمال الهند للمرّة الأولى منذ عقود.

وتكرّرت نفس القصة عن انخفاض تلوّث الهواء المرتبط بإجراءات الإغلاق في إسبانيا وإيطاليا والولايات المتحدة والمملكة المتحدة وبلدان ومدن كبرى أخرى. وأشار «سكوت كوليس»، عالم الغلاف الجوي في مختبر «أرجون» الوطني، إلى دراساتٍ تظهر انخفاضاً في الملوّثات، مثل أكسيد النيتروز وأوّل أكسيد الكربون، في نيويورك

بسبب انخفاض حركة المرور. وانخفضت مستويات التلوّث في نيويورك بنسبة 50٪ تقريباً بسبب إجراءات احتواء الفيروس عمّا كانت عليه، مقارنةً بالوقت نفسه من العام الماضي.

أستراليا تتعافى والكوالا تعود إلى الطبيعة بعد حرائق الغابات فيها، أستراليا والشعب المرجانية في هاواي تعود إلى طبيعتها الخلاّبة، والقنوات المائية في مدينة فانسيا Venise الإيطالية أصبحت نظيفة بطريقة غير مسبوقة فى الذاكرة الحديثة، حيث عادت الأسماك والكائنات البحرية أثناء إغلاق المدينة وعزوف الناس عن الشوارع.

واستفادت الحيوانات في مناطق كثيرة من العالم، سيما البرّية، من استمرار عمليات الإغلاق. ففي حديقة كروجر الوطنية الشهيرة بجنوب إفريقيا مثلا، تمّ تصوير الأسود وهي تنام على قارعة الطرق الفارغة، كما شوهدت الكلاب البرّية ترتع في ملاعب الغولف. وفي مدينة برشلونة الإسبانية، تمّ رصد الخنازير البرّية تسرح في وسط المدينة بمجرّد بدء الإغلاق. وأصبحت «أديلايد»، إحدى أكبر المدن الأسترالية، هادئةً لدرجة أنّ حيوانات الكنغر شوهدت تقفز عبر شوارعها المهجورة وسط المدينة. وبدأت غزلان «السيكا»، التي تعيش عادةً في حديقة نارا اليابانية، تتجوّل في المدن المجاورة. أمّا في «ويلز»، فقد شوهد قطيع من الماعز الذي يقطن «غريت أورم»، يتجوّل في بلدة «لاندودنو» الساحلية.

لقد حقّق تعليق العمل في المصانع وتراجع معدّلات حركة السيارات في البلدان التي أصابها فيروس كورونا فوائد بيئية، جعلت من كوكب الأرض المُستفيد الأوّل، فللمرّة الأولى منذ عقود يعلن خبراء في وكالة الفضاء (ناسا) ووكالة الفضاء الأوروبية أنّ ثقب الأوزون الضخم فوق القطب الشمالي انغلق أواسط أبريل 2020.

أفادت دراسة حديثة بأنّ طبقة الأوزون مستمرّة في التعافي، ولديها قدرة على التعافي بشكل كامل، وبحسب ورقة علمية نُشِرت في مجلّة Nature العلمية، ظهرت علامة على نجاح نادر في عكس الضرر البيئي، وتبيّن أنّ العمل الدولي المنسّق يمكن أن يُحدث فارقا. علما بأنّ مساحة ثقب الأوزون فوق القطب الشمالي تجاوز

مليون كيلومتر مربع، ويعتقد علماء مركز الفضاء الأوروبي أنّ سبب نشوء هذا الثقب هو ظروف جوية غير طبيعية، بالإضافة إلى انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون الهائلة وارتفاع درجة حرارة الأرض، هو ما أدّى إلى انخفاض حادّ في مستوى الأوزون.ويتوقع العلماء أنّ انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون ستنخفض خلال العام 2020 بنسبة نحو 5%، وهو أكبر معدل منذ الحرب العالمية الثانية، وهذا بسبب فيروس كورونا الذي أفضى إلى توقّف النشاط الاقتصادي تقريباً.

وتُمثّل هذه التوقعات بارقة أمل وسط أزمة مناخية قد تعصف بالعالم، حيث حذّر العلماء مراراً الحكومات من أنّ الانبعاثات يجب أن تبدأ في الانخفاض بحلول العام الجاري، وذلك لتجنّب أسوإ آثار تغيّر المناخ على الكرة الأرضية. ويُحذّر الخبراء من أنه بدون تغيير حقيقي، فإنّ انخفاض الانبعاثات الناتج عن تفشّي فيروس كورونا يمكن أن يكون قصير الأجل، ولن يكون له تأثير يُذكر على تركيزات غاز ثاني أكسيد الكربون التي تراكمت في الغلاف الجوّي على مدى عقود.

وتوقّع الباحثون بمركز أبحاث الطقس والبيئة الدولي في أوسلو انخفاض الانبعاثات العالمية في عام 2020 بنسبة 0.3 في المائة، وقد لا تعود إلى معدّلاتها السابقة، في حال ركّزت جهود دفع عجلة النموّ الاقتصادي على قطاعات الطاقة النظيفة، كما أنّ تغيّرات سلوكيات الناس بسبب جائحة كورونا قد تساهم أيضا في الحدّ من انبعاثات الكربون.

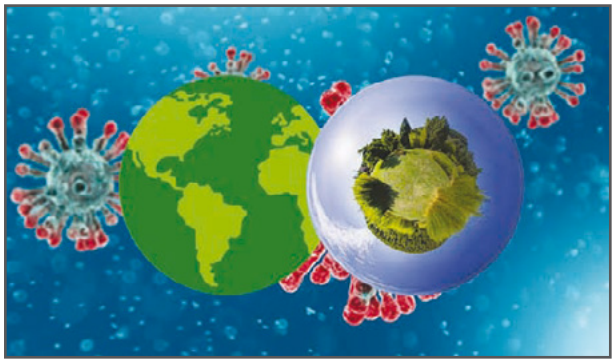

وفي دراسة لخبير الموارد البيئية "مارشال بورك" حول انخفاض التلوّث بالصين قدّر بورك عدد الأرواح التي نجت نتيجة لشهرين من الحدّ من التلوّث، بـ 4000 طفل دون سنّ الخامسة، و73 ألف بالغ فوق سنّ الـ 70 في الصين. بالطبع فإنّ هذا العدد أكبر بكثير من عدد الوفيات العالمي الحالي من الفيروس نفسه، وبهذا خلص بورك إلى أنّ هذا الانخفاض في معدّل تلوّث الهواء سينقذ حياة أشخاص بمقدار يعادل 20 ضعفا من عدد الوفيات الناتج عن كورونا....لقد أظهر هذا الفيروس أنّ الاستجابة العالمية السريعة للقضايا البيئية أمر بالإمكان تحقيقه.

«ما بعد كورونا»:
نكسة حداثة الغرب أمام الموت القادم من أقصى الشرق
قراءة سوسيواتصالية في أبعاد «ما بعد حقيقة» كوفيد 19

د. صابر فريحه،
باحث أكاديمي في علم اجتماع
الاتصال والميديا

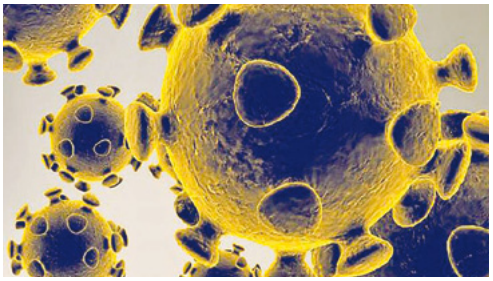

لقد تنبّهت السوسيولوجيا منذ ابن خلدون وماركس ودوركايم وفيبير.. إلى المآزق والأزمات التي يمكن أن تعصف بالمجتمعات لتترك أثرا غائرا في السلوكات والبُنى العلائقية، على اعتبار وجهيْ العملة المميّزين للسوسيولوجيين، بوصفهم في ذات الأوان مشاركين في المجتمع ومراقبين لـه، وذلك مردّ تيقّظ علماء الاجتماع المعاصرين، أمثال الألماني أولريخ بيك (Ulrich Beck) (1944 – 2015) في كتابه «مجتمع المخاطرة»، الذي حذّر من المخاطر المحيقة بالبشرية خلال الألفية الثالثة، والناجمة عن السياسات والممارسات النيوليبيرالية للدول الصناعية الكبرى على غرار إشعاع النووي، والتلوّث، والفيروسات المتّسمة بالقوّة الفاتكة بحياة البشرية والمدمّرة لمجتمعات، دون تفريق بين الأغنياء والفقراء والمحدقة بدول العالم متقدّمها ومتخلّفها على حدّ سواء.

ولعلّ تسرّب فيروس كوفيد 19 في شكل جائحة كورونا وبشكل عولمي وفي زمن قياسي إلى أرجاء عالم بلا حدود وفّرت له وسائل الإعلام الجماهيرية التقليدية والميديا الجديدة والاجتماعية منصّات الترويج له، رهبة وترهيبا بل وإرهابا بيولوجيا حتى في واحدة من مياسم وعلامات «العالم المنفلت» حسب توصيف عالم الاجتماع البريطاني أنتوني غدنز Anthony Giddens، مع ما سلّطته تلك المحامل الرقمية ومنصّات الميديا من عنف رمزي على جمهورها كما توقّع الفرنسي بيير بورديو(Pierre Bourdieu 1930 - 2002) قبل بروزها وآثارها للعيان.

في البدء كانت الجائحة

مثّلت بداية سنة 2020 صدمة فاجعة لجماهير العالم، وهي تستقبل العام الجديد على وقع كارثة استهدفت بالبشرية وبقاءها واستقرار حياتها الطبيعية وسلوكاتها وأنماط عيشها الاعتيادية. بمدينة ووهان الصينية بظهور فيروس إنساني قاتل هو الأخطر في حقبة الثورات التكنولوجية وتطوّراتها العلمية المتسارعة وعلومها العميقة وتكنولوجياتها الدقيقة، ولينتشر وباءٌ فتاك هو الأخطر في تاريخنا الراهن حول العالم، ويسري في بقاع متباعدة جغرافيا ويستشري في غضون أسابيع وجيزة.. أطلق على الفيروس المخيف اسم كورونا، وعلميا يعرف بـ كوفيد 19 . وضع عالميّ جديد رجّح معه تقسيما زمنيا جديدا للعالم ما قبل كورونا وما بعده، كما ذهب إلى ذلك المحلّل السياسي الأمريكي الشهير توماس فريدمان في مقال مرجعيّ نشر له بصحيفة نيويورك تايمز الأمريكية.

انتكاسة مركزية الإنسان

بدا أنّ الوقائع الكورونية كجائحة عالمية ليست سوى استجابة عملية للنظرية المالتوسية المقرّة بأنّ الأوبئة والحروب ضرورية للمعمورة من أجل استرجاع توازناتها الطبيعية والديمغرافية. فقد عاشت البشرية تاريخا مؤلما ومأسويا طويلا من الأوبئة العالمية أو ما يطلق عليه بالجوائح العالمية Pandémies التي حصدت مئات الآلاف والملايين من الأرواح زمن انتشارها، مع ما نجم عنها من انقلابات ديموغرافية ومتغيّرات اجتماعية وتحوّلات اقتصادية واتجاهات سياسية جديدة وقتئذ بالدول المنكوبة وفي واقع السياسات العالمية التي غيّرت مجرى التاريخ. لا شكّ أنّ للجوائح العالمية أبعادا سوسيولوجية وفلسفية أعمق في تحديد علاقة الإنسان بنفسه وبالطبيعة وببني جنسه، ذلك أنّ هذا الكائن المجهري أسقط «السيادة الديكارتية» للإنسان على الطبيعة، ومركزيّته في الكون «كسيّد للطبيعة ومالك لها» .. وهو ما تؤكّده تاريخية الجوائح.

فعلى غرار الطاعون الذي تفشّى في القرنين 14 و16، وكوليرا في الشرق الأوسط والهند وأوروبا الذي استمرّ بين سنتيْ (1881) و(1896)، ثمّ جائحة الأنفلونزا في بداية القرن العشرين سنتيْ (1917 - 1918)، التي بلغ تعداد ضحاياه حوالي (50) مليون شخصي على سبيل الذكر، وفي ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين،

وتتالت موفّى القرن العشرين وبداية الألفيات أوبئة سارية ومُعدية، مثل نقص المناعة المكتسبة (السيدا-الإيدز)، ووباء إيبولا ما بين عامي (2014 - 2016)، وسارس وأنفلوانزا الطيور وأنفلوانزا الخنازير، ناهيك عن ظهور وأخيرا انتشار فيروس كوفيد Covid 19 المسمّاة بجائحة كورونا. على أنّ أيّا من تلك الجوائح، رغم القواسم المشتركة بينها في انبعاث رائحة الموت وأزمة النهاية الفاجعة، فإنّ هذا الوباء ودون شك بسبب خصوصياته كجائحة مبهمة الأسباب والنتائج وغلب الشك على اليقين لسياقات ظهورها ومن يقف وراءها في زمن ما بعد الحقيقة، ورغم استمرارها فإنها سوف يكون منتهاها انبجاس أنساق قيميّة ومعنوية ورمزية أخرى، وأنماط عيش مغايرة، ربما لاعتبار آثارها على سلوك المجموعات البشرية وتصرّفاتهم ونفسياتهم وطبائعهم وعاداتهم المتأقلمة مع هذا النوع من النكبات البشرية التي تكاد تكون دورية في التاريخ البشري.

عقدة الحجر وعقيدة الخوف

يُذكر أنّ الإجراء الوقائي الاحترازي تجاه مخاوف تفشّي الأوبئة وانتشار الجوائح بشكل عام يبقى هو الحجر الصحي، وتحتفظ الذاكرة البشرية في هذا الصدد بالتوجيه النبوي القائل: (إذا كان الطاعون بأرض قوم فلا تدخلوها وإن كنتم بها فلا تخرجوا منها)، وعلى ذلك درجت منظمة الصحة العالمية على إطلاق نفس نداءات الحجر في بداية مثل تلك الأزمات بمناطق العالم، بوصفها الهيكل الصحي الأممي المعنيّ برصد الحالة الوبائية في العالم وتوجيه التدخلات العاجلة للتوقّي من سرعة انتشاره وسريانه. الحجر الصحي المنزلي(confinement)، والتباعد الاجتماعي (distanciation sociale) يبقى الإجراء الاحتياطي الآمن في تعاطي البشرية مع مثل هذه الآفات، في غياب المعلومات الطبية الدقيقة عن طبيعته الوبائية وخصائصه الانتشارية، وغياب الدواء أو اللقاح أو المضادات الطبية لعلاجه. ولعلّ ذلك هو حالنا مع كورونا في غياب الحلول الوقائية التلقيحية والطبية العلاجية السريعة، ما جعل المجتمعات البشرية على اختلاف ثقافاتها تلتزم الخوف من الفيروس والرهبة من كلّ ما يؤدي إلى عدواه وسريانه. لقد أصبح الخوف بهذا المفهوم ظاهرة ثقافية وحالة إنسانية، لا مجرّد حالة وبائية عرضية عابرة بطابعها البيولوجي الصحي، ولقد تعدّدت تمظهرات الخوف غير الاعتيادي، فلأوّل مرّة تتجاوز درجات خوف الإنسان من الآخر الإنسان، عتبات الغيرية والآخرية المبنية على الاختلاف الإثنولوجي والأنثروبولوجي والأيديولوجي ليبلغ الخوف الروابط الأسرية

والأواصر القرابية لدواعي التباعد الاجتماعي ودواعي مسافات الأمان الجغرافي أو الاختلاط المطلوبة بين الفرد والآخر، إلى حدود المتر كحدّ أدنى ، ناهيك عن الموانع الحميمية والودية المعتادة، كالمصافحة اليدوية أو المعانقة والتقبيل، ومقاطعة ذوي القربى والتزاور وصلة الرحم وغيرها من الارتباطات والعلاقات الأسرية والقرابية مهما كانت طبيعة العادات والقرب العلائقي في سائر المجتمعات حيثما كانوا، هذه الحالة من «الخوف السيّال» الذي طبع الحداثة الغربية التي باتت توزّع المخاوف الكبرى على تفاصيل حيواتنا اليومية.. بحسب توصيف عالم اجتماع «السيولة›› المخضرم البولوني البريطاني زيجمونت باومان (1925 - 2017) (Zygmunt Bauman)، فهو يعبّر عن حالة الخوف الحداثي الشامل «بالخوف السائل» ومؤدّى ذلك الخوف « أنه لا يمكنك الشعور بالأمان طوال الوقت، حتى مع أقرب الناس إليك» 2

تلك هي سيولة الخوف التي أفرزت تتالي الحِيطات المفرطة من جانب الأشخاص والجماعات، وإلى توالي الإجراءات الوقائية المطبوعة بالخوف والتخويف من تبعات شتى أشكال التجمهر والاجتماع للحاجة البشرية والأدوار المجتمعية بأماكن العمل، ومراكز الدراسة والتعلّم والبحث بالمدارس والجامعات، والفضاءات الثقافية والتثقيفية والترفيهية والرياضية وغيرها.. وبلغت درجات الخوف والتخويف اتخاذ إجراءات زجرية وعقابية تتراوح بين العزل الإجباري والإقامة الجبرية والمراقبة الإدارية والخطايا المالية والاحتجاز المؤقّت، بل وحتى السجن.. تستند جميعها إلى القوانين العادية والتشريعات الاستثنائية التي يحتّمها بروتوكول العزل الصحي وإجراءات الحجر ومنع الجولان الذي طبّقته معظم دول العالم ومرحليا وبتدرّج، وفق توصيات أمميّة وتدابير وطنية وسياسات محلّية داخلية. بناء على هذا الواقع من الخوف التلقائي والذاتي، أصبحنا نرى الأفراد والمجموعات يلتزمون طواعية المكوث في بيوتهم، لا فقط التزاما بتعليمات حكوماتهم وانقيادًا لدواعي الإرشاد الطبّي والتوجيه الإعلامي، بل خوفًا وتوقّيًا من عدوى لا مُتوقّعة في ظلّ هول الفيروس وهوَس سرعة انتقاله، رغم طول مدّة الحجر الأولى وتمديدها إلى زهاء الثلاثة أشهر في بعض البلدان(موفّى أبريل/بداية مايو).

كورونا الأنانية والجهل المقدس

تواصلا مع أزمة الحداثة وما أفردته من سيولات، يربط باومان (Bauman) ظاهرة الخوف السائل بتراجع منسوب العقلانية. «فالخوف يمحو المعالم الأساسية للحياة المتحضّرة في لحظة، وفي ظلّ كلّ هذا الخوف السائل من كلّ شيء، والذي يستبيح كلّ شيء، يشعر الفرد بأنّ مواجهة التهديدات والمخاطر مهمّته الشخصية وتجربته الفردية›› وحينذاك نتوقّع انحسار كلّ قيمة للعقل وفهم العوالم والطبيعة، كيف نفسّر حالات الهلع ومظاهر الارتباك المجتمعي التي تناقلتها مختلف القنوات التلفزيونية في العالم، وحالات

الجشع ولهفة شراء المواد الاستهلاكية بكمّيات لاعقلانية مخافة اختفائها من المتاجر والمغازات العامة والأسواق، لا بل رأينا حالات انفلات ونهب للمتاجر الكبرى تماما بالولايات المتحدة الأمريكية، بل بذات الكيفية والمشهديّة التي تناقلتها عدسات الأخبار من واقع بلدان إفريقية وغيرها.

أثبتت جائحة كورونا في ذات الصدد أنه لا يمكن تمييز مجتمع عن غيره، بإعلاء قيم العقل والتزام سلوك التحضّر والمدنية إزاء متغيّرات الواقع الاجتماعي مع حلول هذه الكارثة القاتلة، وأضحت تجربة العقل تجربة ذاتية، خاصة فيما يتصل بطرق التعاطي الطبّي والاستطبابي في علاقته بالمعتقدات الروحية والقناعات الدينية، والعودة حتى إلى أساطير التأسيس في علاقة بالبحث عن علاج وقائي أو نهائي للفيروس التاجي سيّئ الذكر. حيث نشطت عبر مواقع الميديا الاجتماعية في بلاد الشرق فيديوهات وصفات العلاج البدائية والتقليدية اليقينية التي يجزم مروّجوها بتماثل من جرّبوها أو جُرّبت عليهم من المصابين بالفيروس إلى الشفاء التام، سواء من خلال تجارب ذاتية أو تناقل الروايات التي تشخّص لها العقول والأبصار، ويتهافت العقل شرقا وغربا تحت عناوين مقدّسة وغيبية، مثل الاعتقادات الشيعية القائلة بأنّ مراقد الأئمّة الشيعة وأسماءهم المقدّسة لا يتطرّق إليها فيروس كورونا، ومثل ذلك المعتقدات البراهمانية والهندوسية بأنّ شرب أبوال البقر المقدّس عندهم، يقي ويشفي من فيروس كورونا لخصائصه العلاجية في معتقداتهم، ولا يبعد ذلك عن طلسمات السحرة والمشعوذين الأفارقة الذين تعاطوا بدورهم بهممهم الوثنية مع المسألة.. لقد فضحت الجائحة هشاشة المجتمعات البشرية في وعيها، بل بلا وعيها بمخاطر النهايات عبر تجارب الخوف والقلق والهوس الصحي واللّهفة إلى ما يضمن غريزة البقاء..

طباعٌ أنانيّة غذّت ثنائيات الوجود والعدم والثبوت والنفي في أشكال صراعات الأنا مع الآخر، والمجتمع ضدّ الدولة، وصراع التمايز الطبقي والتوتر بين الاجتماعي، وتباين اختلافات الإثنيات العرقية والطائفية الدينية، وتصاعد التمييز بين المتضادّات الجندرية للنوع الاجتماعي بين الذكور والإناث، وقد تجلّت هذه المتضادّات خلال الأزمة في مختلف المجتمعات العالمية، تحت حصار الحجر الصحي في درجات متفاوتة من التوتر والعنف المادي و/أو الرمزي. وهوما جعل الأمين العام للأمم المتحدة يطلق صيحة فزع لارتفاع منسوب العنف الأسري على النوع الاجتماعي في ظلّ الحجر الصحي. تجلّت الرِّدّة العقلانية للغرب في الخطاب السياسي بأبعاده الأنانيّة مختلفة:

إذ ما معنى أن يتحدّث الرئيس الأمريكي ترامب عن مساعي دولته لتوفير لقاح للأمريكيين فقط؟ بل ومساعي إدارته للاستحواذ على لقاح ألماني ضدّ كورونا وحصره على الأمريكيين؟. ثمّ ما معنى أن يتخلّى الغرب والأوروبيون عن واحدة من أهمّ حلفائهم المنكوبة بفيروس كورونا مثل إيطاليا وإسبانيا دون إمدادات دوائية ووقائية في خطوة مخالفة لمعاني التضامن الإنساني في الأزمات والنكبات والفواجع والكوارث؟ وما معنى أن تخذل أمريكا العالم في جهود مقاومة انتشار الفيروس بعد قرار رئيس البيت الأبيض بتعليق دفع المساهمة المالية للولايات المتحدة في منظمة الصحة العالمية بتعلّة سوء إدارتها لأزمة تفشّي فيروس كورونا وانحيازها للصين، في وقت تتصدّى فيه تلك المنظمة الأممية لجهود تطويق انتشار الفيروس التاجي في العالم، وبخاصة الدول الفقيرة ؟ هكذا إذن تؤكّد «سيولة الخوف» الغريب في أوروبا وأمريكا كيف وقفت عقلانية الغرب «مرتجفة» أمام هذه الأزمة، مقارنة بدول آسيوية بدت أكثر رصانة ونجاعة في تضييق الخناق عليها وفي وقت قياسي، على غرار الصين وكوريا...

ما بعد كورونا.. ما بعد الحقيقة [3]

باكتسابها صفة الجائحة، تجاوزت كورونا صفة الوباء الفيروسي المتداول في المؤتمرات والمختبرات الطبية والتوصيفات الاستشفائية المعتادة، بما يعني تحوّلها بامتياز إلى ظاهرة اجتماعية وأزمة إنسانية وقضية سياسية عالمية تثير اهتمام الجماهير وتهيب بشعوب العالم ودوله ولأوّل مرّة على قدم المساواة والتكافؤ ودونما تمييز أو تفوّق أو فقر أو تخلّف.. فالعالم على عتبات الموت المحقّق، إن لم تفلح البشرية في اكتشاف لقاح وقائي ودواء علاجي ناجع وكفيل بتغيير الواقع الانتشاري للوباء السّاري بسرعة عدواه غير المسبوقة.. ففي غياب السوابق الوبائية المشابهة، وقف العالم مذهولا مشدوها أمام صور الموت المنتشرة التي رصدتها كاميراهات المراقبة في شوارع مدينة ووهان الصينية المنكوبة أوّلا بهذا الفيروس الفتّاك، وما أفلح بعض ناشطي الميديا الاجتماعية في تسريبه عبر منصّاتهم من داخل المدينة المحاصرة. صور فتحت أبواب التأويل والتخمين والتهويل والإشاعة على مصارعها عبر تداولات الميديا الاجتماعية، في تجلٍّ واضح لمفهوم «ما بعد الحقيقة»، «post-truth» وهو صفة «ترتبط أو تشير إلى ظروف تكون الحقائق الموضوعية فيها أقلّ تأثيرًا في تشكيل الرأي العام من التوجّه إلى العاطفة والإيمان الشخصي». حيث ساد منذ عام 2016 خطاب سياسي واجتماعي مشحون، وانتزع في سياقه مصطلح «ما بعد الحقيقة» موقعًا له في اللّغة، بعد فترة من صعود شبكات التواصل الاجتماعي لتصبح من أهمّ مصادر الأخبار، في ظلّ انعدام الثقة المتزايد بالحقائق التي تقدّمها مؤسسة الحكم التقليدية والميديا الرسمية›› 4.. وقد تعدّدت مظاهر ذلك وأبعاده في أزمة كورونا، من ذلك :

- **تصاعد تأويلات نظرية المؤامرة** في تحديد الأسباب الحقيقية والعلمية لظهور الفيروس وسرعة انتشاره المذهلة، وتعدّد الاتهامات وتحميل المسؤولية في هذا الوضع الإنساني الطارئ للصين أو لأميركا أو لفرنسا أو بلدان أخرى موالية لهذه الدولة أو تلك بإنتاج الفيروس التّاجي وتخليقه مخبريًّا وهندسته جينيًّا أو برمجته للتخلّص من كبار السنّ، أو من حاملي جينات محدّدة أو من ذوي انتماءات عرقية معيّنة، ممّن يتعارض وجودهم أو بقاؤهم مع متطلّبات النظام العالمي «ما بعد كرونا» !!.

- **تصاعد منسوب التهويل** الميتافيزيقي والخرافي المغلّف بتأويلات وتفسيرات وروايات دينية وأحداث تاريخية لمخاطر كورونا، عبر التبشير بنهاية الكون بقرب يوم الحساب وانتصار المستضعفين والـمسحوقين والـمُعدمين والمُهمَّشين على الـمُتسلّطين والـمتغطرسين والرأسماليين وإظهار الشماتة بهم بعد زوال كلّ الفروق القائمة التي طالما تحصّنوا بها في ظلّ تماثل ظروف الاستسلام إلى الموت القريب.. ولا نستغرب التّساوي في هذه التأويلات المتعلّمون والجاهلون والمتديّنون والملحدون والماضويون والحداثيون والتقدّميون ومُحيُو العقل ومناوئوه..

- **تصاعد مقاربات النظام العالمي الجديد ما بعد كورونا** والنهايات الاستراتيجية لقطبية العالم الأوحد المتوارثة عن انهيار الاتحاد السوفياتي، والتبشير برحيل الديمقراطية والرأسمالية وصراعات أضداد النيوليبرالية على نحوٍ متشفٍّ، تماما كتشفّي الغرب بتفكّك الكتلة الشرقية وانهيار حلف فارصو.. وذلك بتمجيد عودة الكُليانية والشُّمولية التي أثبتت نجاحها في التخلّص من محن الأزمات الرأسمالية العالمية، مثل الصين وروسيا وكوبا، والتي بدت أكثر إنسانية وعملية في دعم شعوب العالم وتمثّلها للتضامن الإنساني والدولي، في وقت تنكّر الغرب لبلدان منكوبة من الحلف الأطلسي ذاته، مثل إيطاليا وإسبانيا اللتين تركتا لمصيرهما بسبب سياسيات البراغماتية والنفعية الغربية التي جسّمتها السياسات والقرارات الأمريكية.

- **تصاعد الشعوبيات الشُّعبوية والدِّعيات القومية والنزعات الشُّوفينية الجديدة** وخطابات الكراهية والعداء للأجانب، مثل القول بأنّ المستشفيات الفرنسية هي أوّلاً للفرنسيين من أصول فرنسية قبل مجنّسي ومقيمي المستعمرات بفرنسا، أو خطاب الرابطة اللّمباردية في إيطاليا خاصة في عمق أزمة كورونا، أو خطابات «ما بعد الحقيقة».. خطابات نارية محافظة تؤجّج سياسات الانغلاق والانعزال والتشدد والمعاداة للأجانب والمجنّسين.. وسط مؤشّرات بتوقّعات بانتصارات غير مفاجئة للمحافظين والشعبويين الجدد في أوروبا والغرب «ما بعد كورونا» 5.

بين الميديا التقليدية والاجتماعية: هندسة المغالطات وقصف الشائعات

شكّلت جائحة كورونا أرضية خصبة للشائعات والمغالطات والمعلومات الزائفة، على اعتبار أنّ الشائعات هي أخبار غير مؤكّدة يتداولها الناس وقت الأزمات والتوترات، فتنتشر بسرعة لتؤثّر في العواطف أو تبرّر أو تفسّر الواقع وتستشرف الوقائع عبر وسائل مختلفة كالصحافة التقليدية ووسائل الاتصال الجماهيري والميديا الاجتماعية في شكل أخبار أو معلومات نصّية وبيانات أو صور أو فيديوهات.. ويقع تداولها دون تحرٍّ أو نقدٍ أو تفحّصٍ لموثوقيّة مصادرها، أي دون تثبّت في صدقيّتها أو زيفها ودونما استفسارٍ عمّن له مصلحة في نشرها وتعميمها، ممّا يجعلها حقيقةً وواقعًا يَطمئنُّ لورودها الجمهور 6. وقد بادر عالما النفس الأمريكيان غوردن البورت (Gordon Willard Allport 1897-1967) وليو بوستمان (Leo Postman 1918- 2004) في كتابهما «علم نفس الشائعة»، بعد تنبّههما لاستشراء الشائعات والشائعات المضادّة خلال الحرب العالمية الثانية، بوضع معادلة ضابطها القياسي الجبري كما يلي : (قوّة انتشار الشائعة تساوي أهمّية موضوعها، مضروباً بمدى الغموض حول الموضوع) : (شدّة الشائعة) =[الأهمّية x الغموض]. ذلك أنّ الإنسان يَعْمَد إلى تكرار روايات وأفكار تؤكّد شكوكه وتستجيب لمخاوفه، ويقتنع بصدقها عند سماع تكرار روايتها. ففي ظلّ غياب المعلومة العلمية الدقيقة، سرت عبر الميديا الاجتماعية نماذج لا حصرية من وإمَّا الشائعات التي تسلك الجائحة في سياقات الحروب البيولوجية المفتعلة بين المعسكرات الجديدة، في نموذج آخر جديد للحرب الباردة من أهمّها :

- تداول وسائل الإعلام الجماهيرية الغربية تقارير إخبارية ترجّح مسؤولية الصين الشعبية عن تخليق كوفيد19- وتطويره كسلاح بيولوجي ضدّ خصومها الغربيين، بدواعي محاولتهم تعطيل نسق تطوّرها نحو السيادة العالمية في الدور الجديد.

- تناولت تقارير إخبارية مناوئة للغرب في سياق حملة إعلامية مضادّة عبر قنوات إخبارية صينية ومواقع شبكية صينية رسمية لاتهامات مسؤولين صينيين للولايات المتحدة بمسؤولية تسريب الفيروس القاتل إلى العمق الصيني بالمدينة التكنولوجية الصينية «ووهان» في إطار الصراع الاقتصادي الخفيّ بين البلدين.

- تطوّر شائعات الميديا الاجتماعية وتخمينات الميديا الجماهيرية إلى اتهامات صريحة على مستوى القيادات، في سياق حرب التصريحات والاتهامات الرسمية بين الرئيس الأمريكي ترامب الذي أسمى «كوفيد- 19» بالفيروس الصيني والمسؤولين الصينين الذين اتهموا أمريكا بأنها تخوض ضدّهم حربا بيولوجية.

- ورود تقارير إخبارية أوروبية ترجّح أنَّ الفيروس تمّ تصنيعه أوروبيا من قبل مختبرات فرنسية في الصين لغرض منع خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.

- بينما تحدّثت تقارير أخرى عاضدتها شائعات أكثر خطورة ترجّح أنّ الهدف من وراء تخليق الفيروس التاجي القاتل هو تخليص دول الغرب من عبء ارتفاع مؤمّل الحياة الذي أدى إلى تهرّم المثلّث الديمغرافي بأوروبا القديمة وأمريكا، وبالتالي التخلّص من المسنّين والمتقاعدين الذين يعطّلون حسابيا محاولات التحليق التنموي المادي لدول الغرب.

- على الصعيد الشعبي، تصاعدت الشائعات في ظلّ الحجر المنزلي الإجباري، والاختياري حيث كانت شبكات الميديا الاجتماعية فضاء افتراضيا يقينيا لتبادل كمّ هائل من التدوينات الخبرية والصور ومقاطع الفيديو حول أسباب المرض وعوامل انتشاره السريع وطرق التوقّي منه وتجارب المرضى والمتعافين من ضحايا الفيروس، وأخبار الوفيات، وتداعيات الفيروس على مستقبل الإنسانية، بما أنه يمثّل تهديدا وجوديا للجنس البشري، ما أدّى إلى تنامي الأزمات النفسية وحالات الاكتئاب والعنف المادي والرمزي.

- عربيا أنجز «مرصد مصداقية الإعلام الأردني» [أكيد / Akeed] عملا مسحيّا ميدانيا لتتبّع حركة نشوء الشّائعات خلال ستة أيام فقط، بين(17 و22 مارس/آذار)، حيث رصد 14 شائعة سجّلت خلال الفترة التي سبقت تخفيف إجراءات الحجر المنزلي، وتفاوتت تلك الشائعات بين معلومات مضلّلة حول الفيروس وتأثيراته على المصابين، وبين تسجيلات صوتية ومقاطع مصوّرة مكذوبة المضامين حول إصابات جديدة بالفيروس. ولتبلغ الشائعات حسب المرصد 67 شائعة خلال شهر مارس، يتصدّرها فيروس «كورونا» بنسبة 64%. أمّا خلال شهر أبريل فقد سجّل المرصد 49 شائعة، 38 منها فبركتها وروّجت لها الميديا الاجتماعية 7.

ورغم إقراره بالدور الذي لعبته الميديا الاجتماعية في ظهور ما يُعرف بالصحافة المواطنية أو التشاركية، يرجّح الباحث المصري ممدوح السيد عبد الهادي شتلة في دراسته حول الشائعات في منصّات وشبكات التواصل الاجتماعي، فإنه يحمّلها المسؤولية الجسيمة في ترويج الشائعات والأخبار المضلّلة وتعميم الاعتقاد بصحّتها وبناء مواقف وحشد رأي عام في ضوء تداولها، معدّدا عيوبها مثل: عدم توثيق الأخبار، وصعوبة التحقّق من صحتها، وصعوبة التأكّد من سلامة مصدرها.. وأثبتت الدراسة النتائج التالية :

خلفيات نشر الإشاعات في البيئة المصرية	النسبة%
مجرّد العبث والتسلية	45.4%
أهداف وأجندات خارجية	38.8%
اختلالات وأمراض نفسية	15.8%

هذه النتائج وغيرها، حدت بجهات رسمية وإعلامية ومدنية إلى بعث مؤسسات حكومية ومستقلّة وأهلية من أجل مزيد التحرّي في معلومات الميديا الاجتماعية والميديا الجديدة، ورصد الأخطاء المهنية والأخلاقية ومختلف الإخلالات في استقاء المعلومة وتكييفها وترويجها، على غرار منصّة هيئة مكافحة الإشاعات، وهي منصّة غير رسمية أطلقها مهندس الشبكات السعودي ريان عادل في البدء على منصّات تويتر، ثمّ على بقية شبكات التواصل الاجتماعي في شكل حملة تحت شعار«لا للإشاعات» وقد وجدت تفاعلا جماهيريا كبيرا بغاية تمييز الصحيح من المزيّف، في شكل موقع إلكتروني خاص بالهيئة، مع تصدّيها للإشاعات والأخبار الزائفة (fake news)، وقد تكفّلت الهيئة أيضا بفضح ناشري الأخبار الكاذبة، والموقع مستقلّ ولا يتبع لأيّ جهة حكومية بل يتكوّن من مجموعة من المتخصّصين في مجالات مختلفة من دول عربية مختلفة، غير أنّ عديد الوزارات من بلدان عربية تتعاون مع الهيئة في سياق مكافحة الشائعات8. ومن التجارب الدولية في سياق حماية الجمهور من التضليل الإعلامي، قامت مؤسسات إعلامية بمبادرات لكشف الأغاليط وتصويب المعلومات على غرار«دليل لوموند الفرنسية حول كورونا» لتمييز الإشاعات الزائفة عن الحقائق، وما إلى ذلك من المبادرات.

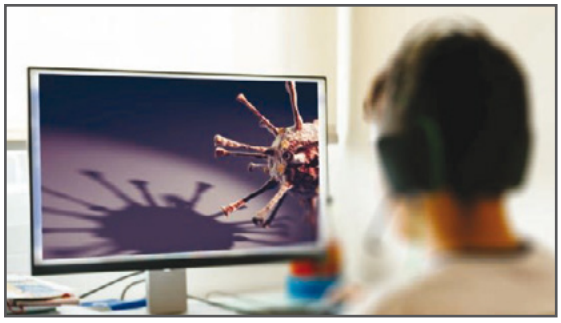

الموقع الرسمي لمرصد مصداقية الإعلام الأردني، /https://akeed.jo/ar/post/2482

إنّ موجة تفشّي فيروس كورونا على نحو ما قدّمنا يمكن أن ترجّح اتجاه «توماس فريدمان» الذي سبق ذكره نشأة الثقافة السياسية الجديدة تستبعد منظومة ما بعد الحرب الكونية الثانية القائمة على الاستقطابات والأحلاف العسكرية والمنظومات الاقتصادية بين سوقي ليبرالي والآخر اشتراكي موجّه، وإلى تقسيم الباحثة الأمريكية بجامعة ماريلاند «ميشيل غلفاند» Michele Gelfand 9 ، للمجتمعات إلى «صارمة» و«متساهلة»، حسب أولويات وحدود الحرّية أو الخضوع للقواعد. فبينما تتميّز «المجتمعات الصارمة»، على غرار الصين وسنغافورة والنمسا.. بنظام عريض من القواعد والعقوبات المتشدّدة ضبطا للسلوك الاجتماعي، ما يجعل مواطنيها على مستوى عالٍ من الرقابة الذاتية والقانونية المنمّية للسّلوكات الجيّدة في تصرّفاتهم الفردية والجماعية، حيث ترتبط صرامة منظومة الضبط تاريخيا بهذه الدول حسب «غالفاند» بما عانته عبر تاريخها من نكبات وأحداث مؤلمة، كالمجاعات والحروب والكوارث الطبيعية وتفشّي الأوبئة والجوائح. بيد أنّ الثقافات المتساهلة في دول مثل الولايات المتحدة وإيطاليا والبرازيل، يبدو نظام القواعد فيها متسامحا وأكثر ضعفا، لأنها في واقع الأمر لم تواجه تاريخا كبيرا من الفواجع والمخاطر برفاهية النظام المتساهل. ولعلّ ثقافة التساهل القانوني تقف وراء ارتفاع ضحايا كورونا مثل إيطاليا والولايات المتحدة، بينما كانت سنغافورة وهونغ كونغ أكثر فاعلية وصرامة في التعاطي مع الجائحة، لذلك يبقى مسار فيروس كورونا الفتّاك رهين الممارسات الثقافية القائمة في كلّ بلد.

الهوامش

- الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019

-2 زيجموند باومان، (Zygmunt Bauman)، الخوف السائل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان 2017، ص، 137.

3 - فريحه (صابر)، النشء المتعلّم وظاهرة إدمان الشاشة في تونس، الإدمان التلفزي مثالا، أطروحة دكتوراه علم اجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس، 2016 - 2017. ص 04.

4 - فقد تبنّى قاموس أوكسفورد الإلكتروني عبر موقع قواميس أوكسفورد، الذي تديره جامعة أوكسفورد مصطلح «ما بعد الحقيقة»«post-truth » معتبرا إياها المفردة السياسية للعام 2016، بعد أن ارتفع استخدامه بنحو 2000% مقارنة بعام 2015، ويعرّف المعجم الإنجليزي «ما بعد الحقيقة»، «post-truth» أنه صفة «ترتبط أو تشير إلى ظروف تكون الحقائق الموضوعية فيها أقل تأثيرًا في تشكيل الرأي العام من التوجّه إلى العاطفة والإيمان الشخصي».، وقال رئيس موقع قواميس أوكسفورد، «كاسبر غراثوول» إنّ العام 2016 اتسم بسيادة خطاب سياسي واجتماعي مشحون، وانتزع مصطلح «ما بعد الحقيقة» موقعًا له في اللغة، بعد فترة من صعود شبكات التواصل الاجتماعي لتكون من أهمّ مصادر الأخبار، وانعدام الثقة المتزايد بالحقائق التي تقدّمها مؤسسة الحكم التقليدية».

5 - الشعبوية : مدخل قصير جدا، https://global.oup.com/academic/pro-duct/populism-a-very-short-introduction، Populism: A Very Short Introduction

6 - شتلة (ممدوح السيّد عبد الهادي)، الشائعات في مواقع التواصل الاجتماعي ودورها في إحداث العنف والصراع السياسي بين الشباب الجامعي: دراسة ميدانية، مجلة بحوث العلاقات العامة الشرق الأوسط، السنة الخامسة - العدد 16 - يوليو / سبتمبر 2017، .

7 - الموقع الرسمي لمرصد مصداقية الإعلام الأردني، https://akeed.jo/ar/post/2482/

8 - موقع شبكة الصحفيين الدوليين https://ijnet.org/ar/story ، ijnet/، هيئة مكافحة الإشاعات : الواتساب مصدر 80% من الشائعات: رابط موقع «هيئة مكافحة الشائعات على تويتر، « @no_rumors »

9 - ميشيل غلفاند (Michele Gelfand)، «اتباع القوانين أو التغاضي عنها: كيف تشبك الثقافات الصارمة والمتساهلة عالمنا؟»، عن دار سكيبنر، 2018.

كوفيد 19: الجائحة «العولمية» الأولى!

أ. محمود بوناب
خبير في الإعلام والاتصال

تعرّض الإنسان منذ ظهوره على كوكب الأرض، لأصناف شتى من الجوائح والأوبئة والأمراض والكوارث الطبيعية، منها ما أفنى أمما وحضارات بأكملها، ومنها ما غيّر مجريات التاريخ وموازين القوى بين الأمم وبين الناس.

لكن تلك الجوائح والكوارث، ورغم ما ألحقته بالبشرية من خسائر فادحة في الأرواح، وتعطيل نُظم العمل والإنتاج والتواصل بين الناس والتنقّل من منطقة إلى أخرى، قد ساهمت بنسب متفاوتة في تقدّم الحضارة الإنسانية في مجالات الأبحاث والاكتشافات العلمية والطبية والتكنولوجية.. وفي تحرير الإنسان من قيود العبودية والقهر والاستغلال، حيث إنها ساعدت في ظهور أنماط جديدة من العلاقات الاجتماعية وعلاقات العمل، سيما وأنّ تلك الأوبئة والأمراض، ورغم انتشارها على نطاق أوسع بين الفئات الاجتماعية الأكثر فقرا وتهميشا، فإنّ تفشّيها في التجمّعات البشرية لا يُميّز بين الغنيّ والفقير، بين القويّ والضعيف أو بين الحاكم والمحكوم.

ومنذ أن بدأت ذاكرة التاريخ تسجّل الأحداث والوقائع بالدقة التي تجعلها الأقرب إلى الحقيقة، نَقَلَ المؤرّخون تعرّض الإنسانية في مناطق شتّى من العالم إلى عشرات الجوائح والأوبئة والأمراض، منها ما هو محدود في المكان والمساحة، ومنها ما انتشر على نطاق كوني، وكانت كلّها متفاوتة الأضرار والخطورة بين مختلف مناطق العالم.

ولعلّ آخر هذه الجوائح وأكثرها فتكا ببني البشر، ما أسماه الباحثون «الإنفلونزا الإسبانية» التي ظهرت مع نهاية الحرب العالمية الأولى، التي تُعتَبر أكثر الحروب عنفا وضراوة في تاريخ الإنسانية، إذ أوقعتْ أكثر من 23 مليون قتيل بين عسكري ومدني، وحوالي 30 مليون جريح معظمهم في القارّة الأوروبية.

فَلَمْ يكد العالم يلتقط أنفاسه مع قرب نهاية الحرب، حتى ظهرت جائحة «الإنفلونزا الإسبانية»، التي استمرّت على مدى أكثر من سنتين من 1918 إلى 1920، وأصابت، حسب الإحصائيات المسجّلة عن تلك الحقبة من تاريخ العالم، حواليْ 500 مليون شخص، من الصين إلى الولايات المتحدة إلى القارّتين الإفريقية والأوروبية، وأوقعت ما بين 50 و 100 مليون قتيل.

وقد زاد تفشّي الوباء على أنقاض حرب عالمية مدمّرة في انتشار المجاعة وتردّي الأوضاع الاقتصادية العالمية، وكانت السنوات العشرون التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الثانية عام 1939 من أسوإ ما عرفت الإنسانية من توتّر وجهامة وضنك العيش في كافة بلدان العالم.

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945، تعرّض العالم إلى جائحتيْن خطيرتين سُمّيت الأولى «إنفلونزا الخنازير» وكانت ناجمة عن ظهور سلالة جديدة من فيروس 1H1N بالمكسيك في ربيع عام 2009 قبل أن تنتشر إلى بقية العالم. وحسب تقديرات المركز الأمريكي للوقاية ومراقبة الأمراض (CDC, Center For Disease Control and Prevention)، وهو أحد أبرز المراكز الحكومية المتخصّصة في مراقبة الأوبئة والأمراض المعدية في العالم، أصاب هذا الفيروس ما بين 700 مليون ومليار و400 مليون نسمة عبر العالم، وقتل ما بين 150 ألف و570 ألف شخص وذلك في ظرف عام واحد فقط !

وقد أثّر هذا الفيروس بشكل أساسي على الأطفال والشباب. وما لفت انتباه الخبراء والباحثين في انتشاره أنّ نحو 80% من الوفيات بسببه سُجّلت بين الأشخاص الذين تقلّ أعمارهم عن 65 عامًا. وهذا أمرٌ غير معتاد في انتشار مثل هذه الأوبئة، سيما إذا ما أخذنا في الاعتبار أنّ معظم فيروسات الأنفلونزا، بما في ذلك الفيروسات الموسمية، تتسبّب في أعلى نسبة وفاة بين الأشخاص الذين تتجاوز أعمارهم 65 عامًا، إلاّ أنه في حالة أنفلونزا الخنازير، بدا وكأنّ المتقدّمين في العمر قد كوَّنوا مناعة كافية ضد الفيروسات التي ينتمي إليها 1H1N ولم يتأثّروا كثيرًا بانتشاره.

أمّا الوباء الأخير الذي سبق ظهور جائحة «كوفد 19»، فقد حصل في غرب القارّة الإفريقية في موفّى عام 2013 عندما اجتاح فيروس «إيبولا»، كلاّ من غينيا وليبيريا وسيراليون، وامتدّ إلى نيجيريا ومالي والسنغال، ثمّ ظهرت عام 2015 بعض الإصابات بالفيروس في الولايات المتحدة وبعض البلدان الأوروبية.

وحسب المراكز المختصّة في مراقبة الأمراض والأوبئة، فإنّ فيروس «إيبولا» الذي يتسبّب في الإصابة بمرض «الحمّى النزفية» الفتّاك، وسُمّيَ على نهر «إيبولا» الواقع بجمهورية الكونغو الديمقراطية التي ظهر فيها هذا المرض أوّل مرّة عام 1976، ينتقل إلى الإنسان من الحيوانات البرّية، وينتشر بين صفوف التجمّعات البشرية عن طريق سريانه من إنسان إلى آخر، وقد أصاب الفيروس في آخر انتشار له أكثر من 30 ألف شخص وفَتَكَ بنحو 12 ألف ضحية، ولم يتوفّر إلى يومنا هذا لقاح أو علاج لاحتواء هذا الوباء الخطير والحدّ من خطورته.

كوفيد 19 : جائحة عالمية في أقلّ من ثلاثة أشهر!

لم تمض سوى خمس سنوات على خفوت وباء إيبولا. وبينما كانت دول العالم تستعدّ للاحتفال بحلول العام الجديد 2020، صدمت الصين المجموعة الدولية يوم 31 ديسمبر 2019 بالإعلان عبر منظمة الصحة العالمية عن ظهور فيروس غير معهود سريع العدوى والانتشار، من سلالة فيروسات كورونا، بمدينة «ووهان»، وهي مدينة جامعية ضخمة مساحتها العمرانية 8,5 ألف كلم مربع وعدد سكانها 11 مليون نسمة، وبها أكثر من 20 جامعة ومركزا للدراسات الأكاديمية، وبها أيضا أحد أكبر مراكز الدراسات الجرثومية في العالم WUHAN INSTITUTE OF VIROLOGY

وتنتمي سلالة فيروسات كورونا المعروفة للأطباء والباحثين ومراكز مراقبة الأمراض إلى فصيلة من الفيروسات التي تُصيب الحيوان والإنسان على حدّ سواء. ويُعرَفُ عن هذه السلالة أنها تتسبّب لدى البشر في إصابات الجهاز التنفّسي، تتراوح حدَّتُها بين نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشدّ فتكا وانتشارا، مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفّسيــة (MERS) والمتلازمة التنفّسية الحادّة (SARS).

غير أنّ ما حيَّر الأطباء والباحثين، هو أنّ الفيروس المُكتَشَف في الصين، والذي أطلقت عليه منظمة الصحة العالمية مسمّى «كوفيد 19»، بحكم ظهوره عام 2019، ورغم أنه ينتمي إلى سلالة فيروسات كورونا، لم يكن أحد يعلم بوجوده وبنوعية الأمراض التي يتسبّب فيها للإنسان قبل تفشّيه بمدينة ووهان في نهاية عام 2019، وانتشاره انتشار النار في الهشيم في العديد من دول العالم.

ونقلاً عن منظمة الصحة العالمية، فإنّ الأعراض الأكثر انتشارا بين المصابين بهذا الفيروس تتمثّل في الحمّى والإرهاق والسعال الجاف. كما يتسبّب الفيروس في حدوث أعراض أخرى مثل آلام المفاصل، والأوجاع، واحتقان الأنف، والصداع الشديد، والتهاب الحلق، والإسهال، وفقدان حاسة الذوق أو الشم، وظهور طفح جلدي أو تغيّر لون أصابع اليدين أو القدمين... وعادة ما تكون هذه الأعراض خفيفة في بداية الإصابة، ثمّ تزداد حدّة في ظرف أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع.

غير أنّ اللافت في الإصابة بفيروس كوفيد 19، أنّ بعض الناس يصابون بالعدوى دون أن يشعروا بأية أعراض، أو أنهم يشعرون بأعراض خفيفة جداً لا تختلف عن أعراض نزلات البرد العادية.

وأمام الغموض والضبابية اللذيْن أحاطا بالإعلان الصيني عن اكتشاف الفيروس الجديد، لم تُبْدِ العديد من دول العالم،

وعلى رأسها الدول الكبرى، مثل الولايات المتحدة وبلدان الاتحاد الأوروبي وروسيا واليابان...اهتماما كبيرا بالتحذيرات الصينية من خطورة هذا الفيروس غير المسبوق وسرعة انتشاره وخطورة العدوى التي ينشرها بين الناس...

فبينما فرضت الصين منذ 23 يناير 2020 حجرا صحيا شاملا، و تباعدا اجتماعيا صارما بين الناس، وحصارا مطبّقا على مدينة ووهان والمناطق المجاورة لها، ومنعت التنقل منها وإليها وبين مختلف جهاتها، تعاملت العديد من الدول الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة وعدة دول أوروبية، بشيء من الاستخفاف مع ظهور الفيروس وبداية انتشاره، واعتبرت أنّ هذا المرض سينتهي في غضون أيام قليلة، سيما إدارة الرئيس دونالد ترامب الذي وصف كورونا بـ «الفيروس الصيني»، وكان يقول في بداية ظهور الوباء إنّ الإصابة بالفيروس لا تختلف كثيرا عن الإصابة بنزلات الزكام التي يعرفها الناس، وأنّ الأمر برمّته سيعود إلى طبيعته وسيزول المرض مع خروج فصل الشتاء وارتفاع درجات الحرارة، مع حلول فصل الربيع وفصل الصيف!

جائحة «معولمة» في عصر الثورة الرقمية!

وبما أنّ جائحة كورونا هي الأولى التي يتعرّض لها العالم في عصر الثورة الرقمية وسرعة تدفّق المعلومات والانتشار غير المسبوق في تاريخ الإنسانية لوسائل التواصل الاجتماعي، فقد حظي انتشار فيروس كوفيد 19 بتغطية إعلامية مكثّفة على مستوى العالم، حيث ركّزت وسائل الإعلام في معظم البلدان على التوعية بطبيعة الوباء والحدّ من كلّ ما من شأنه أن يثير الخوف والهلع بين الناس.

كما أنها كثّفَت من نقل الأخبار المتعلّقة بانتشار الفيروس ومدى خطورته والسبل المتاحة للوقاية منه والسياسات والخطط التي وضعتها الحكومات لاحتواء انتشار الوباء، ومعالجة الأضرار الجسيمة التي لحقت بالعديد من الفئات الاجتماعية، والناجمة عن إجراءات الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي، وتعطيل عجلة الإنتاج وتوقّف العديد من الأنشطة الاقتصادية.

وفي سابقة إعلامية تحدث لأوّل مرّة في تاريخ الإنسانية بفضل الثورة الرقمية، أصبح بوسع كلّ إنسان مرتبط بشبكة الإنترنت في أيّ مكان من العالم، أن يتابع عبر هاتفه الجوّال انتشار جائحة كوفيد 19 من حيث عدد الإصابات وعدد الوفيات والأشخاص الذين شفوا من المرض ونسبة التلقيح بين السكان، إلى غير ذلك من المعلومات الآنيّة التي تَنْقُلُ تفشّي الوباء وآثاره في بثّ يومي مباشر يشْمل حوالي 210 من الدول والأراضي والمستعمرات.

وقد كشفت تلك الإحصائيات للمجتمع الدولي، ولاسيما للأطباء والباحثين ومراكز مراقبة الأوبئة، وقائع غريبة ومروّعة حول طبيعة هذا الوباء وكيفية انتشاره، ولماذا تضرّرت منه دول ومجتمعات أكثر من غيرها،

وفوق كلّ ذلك ما هي الأسباب وراء انتشار العدوى بالفيروس بشكل وبائي في أكثر دول العالم ثراءً وقوّة عسكرية واقتصادية وتقدّما في الطب والخدمات الصحية والبحث العلمي والتكنولوجي؟

غير أنّ خبراء الإحصاء والباحثين في تفشّي الأمراض المنقولة وانتشار الأوبئة يُقِرُّون أنّ تلك الإحصائيات لا يمكن أن تكون إلاّ تقريبية، سواء كانت صادرة عن منظمة الصحة العالمية أو عن مراكز أكاديمية مرموقة، مثل جامعة جون هوبكنز الأمريكية أو غيرها من المواقع، ويعتبرون أنه من غير المنطقي أن تكون ذات دقّة حسابية وإحصائية تجسّد على أرض الواقع الحقائق المروّعة التي كبّلت العالم وحاصرت الناس ونشرت الرعب والموت بينهم في ظرف زمني وجيز لا يتجاوز بضعة أسابيع، سيما في الولايات المتحدة والعديد من الدول الأوروبية الكبرى، وذلك بالنظر إلى التفاوت الكبير في الإمكانيات المتوفرة لدول العالم و نوعية الاختبارات والفحوصات المتاحة التي تجريها على سكانها لتحديد حجم الإصابات ومدى انتشار الوباء في مجتمعاتها...

فضلا عن ذلك، فإنّ هناك العديد من الأسئلة المحيّرة حول كيفية انتشار الفيروس، ولماذا أصابت الجائحة منذ ظهورها دولا أكثر من أخرى، ولماذا تركّزت جلّ الأضرار البشرية في دول قليلة لا يتجاوز عددها 30 بلدا من مجموع الـ 210 التي يجري إحصاؤها؟

غير أنّ بعض تلك التساؤلات ما زالت مستعصية على الإجابة، حتى بالنسبة إلى كبار المختصّين والخبراء، مثل الدكتور Anthony Fauci مدير المعهد الوطني الأمريكي لأمراض الحساسية والأوبئة، وهو قمّة عالمية في مجال اختصاصه، والذي لم يتردّد في التأكيد في شهادته أمام مجلس الشيوخ يوم 12 مايو 2020 عندما قال «إننا ما زلنا لا نعرف الكثير عن طبيعة هذا الفيروس، ومن غير المأمول إيجاد لقاح له على المدى القريب».

واستنادا إلى الأرقام الصادرة عن جامعة جون هوبكنز، فإنّ عدد الإصابات في الدول الثلاثين التي تتصدّر قائمة الدول والأراضي التي يجري إحصاؤها والتي تتصدّرها الولايات المتحدة وتتذيّلها العراق حاليا (بتاريخ 30 يونيو)، وتضمّ حوالي ثُلُثَيْ سكان العالم (زهاء 5 مليار نسمة) وأكثر بلدان العالم قوّة عسكرية وتطوّرا صناعيا وعلميا وتكنولوجيا وطبيا...، وأعلاها كثافة سكانية مثل الصين والهند والبرازيل والمكسيك وروسيا وباكستان وبنغلاديش...،فإنّ عدد الإصابات في الدول الـ30 بلغ حتى منتصف شهر يونيو أكثر من 9 ملايين إصابة، أي ما يزيد على 85% من الإصابات على مستوى العالم، في حين ناهزت حالات الوفيات فيها الـ480 ألف، أي بنسبة تفوق 90% من عدد الضحايا في العالم !

ولو ركّزنا، في نفس التاريخ المذكور، أي بعد مضيّ 6 أشهر فقط على اكتشاف الفيروس في الصين، على تفشّي الوباء في الدول العشر (10) التي تتصدّر القائمة (بتاريخ 30 يونيو 2020)، وانتشر فيها الوباء أكثر من أيّ مكان آخر في العالم، وألحق بمجتمعاتها أضرارا بشرية واقتصادية فادحة، وهي حاليا حسب الترتيب في عدد الإصابات بالفيروس وعدد الوفيات (الولايات المتحدة، البرازيل، روسيا، الهند، إسبانيا، البيرو، تشيلي، بريطانيا، إيطاليا والمكسيك)، لوجدنا أنّ عدد الإصابات فيهايفوق الـ 7 ملايين إصابة من إجمالي حوالي 11 مليون إصابة على مستوى العالم، أي بنسبة تتجاوز 70%.

أما بالنسبة إلى الوفيات، فقد سجّلت البلدان الـعشرة مجتمعة بتاريخ اليوم المذكور أعلاه أكثر من 375 ألف وفاة من مجموع حوالي 520 ألف حالة وفاة على مستوى العالم، أي بنسبة تتجاوز هي الأخرى 70%.

ولا يمكن المرور على هذه الإحصائيات دون الإشارة إلى أنّ عدد سكان البلدان العشرة المذكورة آنفا يناهز المليارين و350 مليون نسمة، (أقلّ من 30% من عدد سكان العالم)، وأنّ من بين البلدان العشرة نجد جمهورية الهند التي يتجاوز عدد سكانها مليار و300 ألف نسمة (حوالي 20% من سكان العالم)، لكن عدد الإصابات المُعْلنة فيها بفيروس كورونا لا يتجاوز 650 ألف إصابة وعدد الوفيات 18 ألف حالة!

أما بالنسبة إلى الولايات المتحدة التي سجّلت أعلى نسبة إصابات ووفيات بين جميع دول العالم، فإنّ عدد الإصابات بفيروس كوفيد 19 ناهز بتاريخ 30 يونيو 2020 مليونيْن و800 ألف حالة، أي بنسبة تتجاوز 28% من عدد الإصابات على مستوى العالم، وبلغ عدد الوفيات في نفس اليوم حوالي 130 ألف حالة، أي بنسبة تقارب هي الأخرى 28%، علما بأنّ سكان الولايات المتحدة يمثّلون أقلّ من 4% من إجمالي سكان العالم.

مع الإشارة المهمّة هنا إلى أنّ أول إصابة بفيروس كوفيد 19 تمّ تسجيلها بالولايات المتحدة كانت بتاريخ 20 يناير 2020 بولاية واشنطن لرَجُلٍ عائد من مدينة ووهان الصينية، وأنّ عدد الوفيات بين الأمريكيين بسبب كورونا لم يكن يتجاوز بتاريخ 1 مارس الماضي 150 ضحية على مستوى البلاد بأكملها! وهذا يعني أنه على مدى الـ 120يوما الماضية، فقدت القوّة الاقتصادية والمالية والعسكرية الأعظم في العالم معدلا من الضحايا يفوق 1100 شخص يوميا، في حين تجاوز عدد الإصابات اليومية بالفيروس خلال الأيام الأخيرة من شهر يونيو 50 ألف إصابة !

في المقابل، فإنّ عدد الإصابات في الصين التي ظهر فيها الفيروس وانتشر انطلاقا من أراضيها، حسبما يؤكد الخبراء والباحثون، لم يتجاوز بالتاريخ المذكور آنفا 84 ألف حالة، أي نحو 4% من عدد الإصابات المسجّلة في الولايات المتحدة وأزيد بقليل من 1% من الإصابات المسجّلة فـي العالم. أمّا عدد الوفيات، فلم يتجاوز 4650 (أربعة آلاف وستمائة وخمسين ضحية) منذ ظهور المرض.

لكن أكثر الأرقام إثارة للدهشة والانبهار، هو أنّ عدد الحالات التي تقول الصين إنها شُفيَت تماما من الإصابة بالفيروس تجاوز 78 ألف حالة، أي بنسبة «إعجازية» تناهز 90% من الإصابات وأنّ عدد حاملي

الفيروس الذين ما زالوا يخضعون للعلاج لا يتجاوز 400 حالـة (فقط 400 حالة). وما يلفت الانتباه أنّ الإحصائيات الصينية لم تتغيّر كثيرا وبقيت مستقّرة منذ أكثر من عشرة أسابيع، رغـم ظهور المرض فـي موفى شهر يونيو بإحدى ضواحـي العاصمة بكين، لكن الأمور على ما يبدو بقيت تحت السيطرة تماما ولا يبدو أن ذلك يُعَدُّ إنذارا للسلطات الصينية بعودة انتشار الوباء!

وهذا يعني أنّ فيروس كوفيد 19 الذي أعلنت الصين رسميا ظهوره لديها عشية احتفالات العالم بحلول سنة 2020 قبل أن يجتاح بقية أرجاء العالم قد تلاشى بشكل كلّي تقريبا، وتمّ تطويق انتشاره داخل الأراضي الصينية في غضون شهرين من الزمن لا غير!

لكن أحدا لم يسأل القيادة الصينية ما الذي فعلته بالتحديد، إلى جانب الإجراءات الصارمة التي اتخذتها لفرض الحجر الصحي والعزل الاجتماعي على سكانها في المنطقة الموبوءة، كي تنجح بهذه السهولة وهذه السرعة في القضاء على الفيروس الذي ظهر في بلادها وانتشر منها، بينما تتخبّط دول عظمى أخرى من أجل احتواء تفشّي العدوى ووقف دائرة الموت؟

أمّا بالنسبة إلى البلدان العربية، فإنّ ما يثير الانتباه هو أنّ هناك تفاوتا كبيرا في عدد الإصابات والوفيات بين دولة وأخرى ومنطقة وأخرى. فتونس التي يناهز عدد سكانها 12 مليون نسمة سجّلت نسقا منخفضا نسبيا في عدد الإصابات والوفيات إلى هذا اليوم، وتوفّقت حكومتها والسلطات الصحية والطبية بها في تطويق العدوى واحتواء انتشار الوباء (نحو 1180 إصابة و50 حالة وفاة)، كما أنّ المغرب والجزائر اللذيْن يتجاوز عدد سكان كلّ منهما ثلاثة أضعاف التونسيين، حافظا على نسق محدود من الإصابات (حوالي 14 ألف إصابة في الجزائر و13ألف إصابة في المغرب، و 230 حالة وفاة في المغرب، بينما نسبة الوفيات مرتفعة بعض الشيء في الجزائر بأكثر من 900 ضحية).

هذه الإحصائيات المروِّعة والمثيرة للحيرة والجزع والكثير من التساؤلات تُبين حجم الكارثة الإنسانية التي لحقت بالبلدان العشرة المذكورة التي تتصدّر حتى كتابة هذا المقال قائمة الدول الأكثر إصابة وتضرّرا بجائحة كورونا ومدى المعاناة التي تعيشها مجتمعاتها، سيما في القارّة الأمريكية.

ولا ريْب أنّ هناك أسبابا ومبرّرات موضوعية لِتَأذِّي تلك البلدان من الوباء أكثر من أيّ بلدان اخرى في العالم، سيما فيما يتعلّق بتردّد حكوماتها وتلكّئها في اتخاذ الإجراءات الصارمة للتوقّي من المرض واحتواء انتشاره على أضيق نطاق ممكن، عن طريق فرض الحجر الصحي الشامل والتباعد الاجتماعي على الناس، واتخاذ الإجراءات الملائمة لمواكبة الدورة الاقتصادية ومنظومة الإنتاج لتبعات انتشار الوباء.

نظرية المؤامرة والصراع بين القوى العظمى!

لكن تلك المبرّرات الموضوعية لا يمكن أن تفسّر وحدها الانتشار المروّع للمرض والتفاوت الكبير بين الدول والمجتمعات في الإصابة به، وهذا العدد المهول من الضحايا الذين قضوا بسببه في بلدان دون أخرى، إذ لا تزال هناك أمور كثيرة يحيطها الغموض بخصوص انتشار الوباء وتفشّيه بِنِسَبٍ مذهلة في دول دون غيرها، وستظلّ هذه الأمور مثيرة للحيرة والهلع، سيما وأنه لم تتوفّر حتى الآن معطيات علمية دامغة حول طبيعة هذا الفيروس، ومن أين أتى وكيف انتشر بين الناس وحجم المناعة من مضاعفات الإصابة به بين شخص وآخر، وربما بين مجتمع أو مجموعة سكانية وأخرى حول العالم.

ولعلّ أحد أهمّ الأسئلة التي من المشروع طرحها، هل هناك ولو احتمال ضئيل جدا (1%)، بأن يكون فيروس كورونا وليد خطإ مخبري أو ناتجا عن فقدان للسيطرة على أبحاث علمية معيّنة، مثلما أشار إلى ذلك مكتشف فيروس نقص المناعة المكتسب الحاصل على جائزة نوبل الدكتـور الفرنسي Luc Montagnier؟ وكيف نجحت الصين دون غيرها في احتواء انتشار الفيروس والسيطرة على الوباء بسرعة كبيرة وشفاء 90% من المصابين وبدأ الناس فيها يعودون إلى حياة طبيعية؟

فَعَلَى الرغم من أنّ احتمالات الحرب الجرثومية أو البيولوجية تبقى قائمة، وإن كانت ضعيفة، (لأنّ السلاح الجرثومي، وإن كان محرّما دوليا، جزء من ترسانة الأسلحة غير التقليدية المتوفرة لدى العديد من دول العالم، سيما القوى الكبرى)، وذلك بالنظر إلى تزايد مناطق النزاع وبؤر التوتر الملتهبة في عدّة مناطق من العالم، واتساع دوائر الظلم التي تسود العلاقات الدولية، وإلى اختلال التوازنات الاستراتيجية منذ نهاية الحرب الباردة، وبالنظر إلى بروز قوى عظمى جامحة تسعى إلى اكتساح مناطق نفوذ جديدة، مثل الصين والهند وروسيا والبرازيل...

وبالنظر إلى الكمّ الهائل من الأسلحة غير التقليدية المتراكمة لدى الدول الكبرى وحتى لدى الدول الفقيرة، والأخطر من ذلك، لو انتهت مثل تلك الأسلحة أو بعضها بأيدي جماعات متطرّفة...

رغم كلّ ذلك، يصعب القبول منطقيا بالنظرية القائلة إنّ انتشار فيروس كوفيد 19 هو جزء من المواجهة الاستراتيجية بين الصين والولايات المتحدة، أو أنّ هذا الفيروس الفتّاك ليس سوى صناعة مخبرية تمّ إنجازها في مختبرات مدينة ووهان ونشرها عبر الخفافيش من أجل تكريس هيمنة الصين على العالم وعلى الاقتصاد العالمي، وكسر شوكة الإمبراطورية الأمريكية وحلفائها !

ما بعد كورونا: نمط حياة مختلف!

على ضوء ما سبق، يتبيّن أنّ الأرقام المجرّدة وحدها مهما كانت صادقة، قد لا تعني الكثير ولا تفيد في شيئ سوى في قياس حجم المحنة التي ابتُلِيَتْ بها الإنسانية جرّاء هذه الجائحة التي ضربت العالم في مقتل، وستكون لها تبعات سياسية واقتصادية واجتماعية وأمنية وطبية...ملموسة على معظم البلدان. لكن المؤكّد أنها ليست الجائحة الأولى في تاريخ البشرية وسوف لن تكون الأخيرة.

لقد أصبح مؤكّدا لدول العالم وشعوبه أنه سيكون من الصعب العودة إلى حياة طبيعية بعد انحسار جائحة كورونا، بالنظر إلى السلوكيات الغريبة وغير المعهودة التي سادت حياة الناس، بداية من إغلاق حدود الدول، ووقف حركة النقل الجوي والبحري، وتقييد الحرّيات في الحركة والتنقل، وما سُمِّيَ «التباعد الاجتماعي»، وحمل الكمّامات والعمل من البيت...فضلا عن وضع نسبة كبيرة من سكان العالم في شبه إقامة جبرية بمنازلهم، مع كلّ ما ينجم عن ذلك من معاناة وصعوبات في التزوّد بضروريات الحياة من غذاء وماء ودواء.

« حسب منظمة العمل الدولية، فإنّ إجراءات الإغلاق الاقتصادي بهدف احتواء انتشار الوباء، تمثّل اليوم تهديدا لمصير 1.6 مليار شخص يعملون بالاقتصاد غير الرسمي حول العالم، وهو ما يعادل نحو نصف القوى العاملة في العالم، والتي تمثّل نحو ثلاثة مليارات نسمة. »

كما أنّ سوق الشغل الدولية شهدت تحوّلات جذرية، حيث أُجْبِرَ ملايين الأجراء والعمّال والموظفين على ترك وظائفهم، دون أن تكون لديهم أية ضمانات بالعودة إليها بسبب الصعوبات الجمّة التي واجهتها معظم المؤسسات والشركات عبر العالم وإفلاس بعضها، جرّاء إغلاقها أو توقّف نشاطها.

وتقول منظمة العمل الدولية إنّ عدد الذين سيفقدون مواطن عملهم بسبب توقّف الحركة الاقتصادية المفروض في عدّة دول كجزء من الإجراءات الوقائية لتطويق انتشار فيروس كورونا سيتجاوز 25 مليون شخص، وأنّ عدد الوظائف المفقودة جرّاء تفشّي وباء كورونا قد يصل إلى 160 مليون وظيفة على مستوى العالم.

لكن الأخطر من كلّ ذلك حسب منظمة العمل الدولية، أنّ إجراءات الإغلاق الاقتصادي بهدف احتواء انتشار الوباء، تمثّل اليوم تهديدًا لمصير 1.6 مليار شخص يعملون بالاقتصاد غير الرسمي حول العالم، وهو ما يعادل نحو نصف القوى العاملة في العالم، والتي تمثّل نحو ثلاثة مليارات نسمة.

كما كشفت جائحة كورونا سلوكيات وممارسات جديدة وغير مسبوقة في طريقة أداء الأعمال الموكولة إلى الناس وتحمّل المسؤوليات المنوطة بهم، إذ فرض عليهم «الحجر الصحي» وبقاؤهم في منازلهم أن وجدوا

أنفسهم فجأة، ودون أن يكونوا مهيّئين لذلك، مجبرين على ممارسة مختلف الواجبات والأنشطة في حياتهم اليومية دون الانتقال إلى المواقع المخصّصة لذلك، وأصبح معظم الناس ملزمين بالقيام بمهامّ وظائفهم في بيوتهم، دون أن ينتقلوا إلى المكاتب، في إطار ما يُعرف بـ«العمل عن بعد».

وعلى الرغم من أنّ هذه الصيغة في العمل معروفة منذ أمد ليس ببعيد، منذ ظهور الكمبيوتر ثمّ الإنترنت، وتمارسها العديد من المؤسسات الاقتصادية، سيما في قطاع الخدمات، إلا أنها كانت تمثّل الاستثناء وليس القاعدة. أمّا اليوم، فيبدو أنّ جائحة كورونا فرضت «العمل عن بعد» أو «العمل من المنزل» كما سُمِّيَ في الولايات المتحدة، كأسلوب دائم في أداء الواجبات المهنية والأعمال.

وقد كشفت دراسة أجرتها قناة «CNBC» الإخبارية الأمريكية في مايو الماضي، شارك فيها عدد من كبار مديري الشركات والبنوك حول العالم، تأكيد أغلبية هؤلاء المسؤولين التنفيذيين نظرية أنّ «العمل من المنزل» قد يصبح «الوضع العادي الجديد» لآلاف المديرين والموظفين، وأنّ جائحة كورونا جعلت العديد من المؤسسات الاقتصادية والمالية عبر العالم تفكّر بكلّ جدية في اعتماد نظام «العمل من المنزل» لموظّفيها، بما كلّ ما سينجرّ عن ذلك من تبعات اقتصادية واجتماعية لعلّ أكثرها غرابة اختفاء المكاتب ومواقع العمل التقليدية، ممّا قد يؤدّي على المدى المنظور إلى كساد السوق العقارية وربما انهيارها.

وحسب البنك الدولي، فإنّ الاقتصاد العالمي دخل مع انتشار جائحة كورونا في مرحلة كساد قد تتواصل إلى ما بعد انحسار الوباء وعودة الحركة الاقتصادية إلى وضع طبيعي. ويرى خبراء البنك أنّ مجال المناورة أمام واضعي السياسات، سيما في الدول النامية، ضيّق جدّا للحدّ من مضاعفات الجائحة والأضرار الجسيمة التي ألحقتها بقطاعات حيوية في الاقتصاد العالمي. فضلا عن ضرورة حرص كافة الدول على تسخير كلّ ما لديها من إمكانيات للحيلولة دون تفاقم الأزمة الصحية وتحوّلها إلى أزمة اقتصادية ومالية.

«لقد تغير العالم»!

«لقد تغيّر العالم... وأنّ الغد لن يكون مثل اليوم»، زعماء كثيرون في القارّات الخمس من بينهم الرئيس الصيني شي جين بينغ ونظيره الفرنسي إيمانويل ماكرون، أكّدوا أنّ العالم مُقبل على تغييرات جوهرية في العلاقات الدولية والتوازنات الاقتصادية والنظر إلى المصالح المتبادلة بين الدول...

وهذا يعني أنّ عالم ما بعد جائحة كورونا لن يكون كما كان عليه قبل انتشار الوباء،

إذ يرى العديد من المحلّلين والخبراء أنّ هذه الأزمة الصحية العالمية غير المسبوقة في العصر الحديث أظهرت بما لا ريب فيه فشل مفهوم العولمة في صيغتها المعروفة منذ انهيار جدار برلين وتفكّك المعسكر الشيوعي، وأثبتت مدى زيف العديد من الحجج التي كانت تُروِّجُ لفضائلها.

فمع بداية انتشار الوباء، سارعت معظم دول العالم، سيما الدول الكبرى، بما فيها دول الاتحاد الأوروبي، إلى الانغلاق على نفسها وإغلاق حدودها وتخزين الأدوية والمعدّات الطبية، دون أيّ اكتراث منها بالمعاناة التي تحدث بجوارها. وقد وجدت إيطاليا التي كانت أكثر دول الاتحاد تضرّرا من انتشار الوباء في بداية الجائحة نفسها في شبه عزلة تامّة داخل الفضاء الأوروبي.. وجاءتها المساعدات من الصين ومن روسيا ومن الدول العربية، قبل أن تأتي من شركائها في الاتحاد.

أمام هذه التغييرات الحاصلة والمنتظرة في المشهد الدولي، يعتبر المفكّر الأمريكي ناعوم تشومسكي أنّ جائحة كورونا، رغم ما أحدثته من أضرار ومعاناة، حملت معها بعض الأمور الإيجابية التي جاءت بمثابة ناقوس الإنذار للإنسانية قاطبة من الأخطار الداهمة المحدقة بها جرّاء تحكّم «فئة قليلة جدّا من أسياد النيوليبرالية» في مصير العالم.

ويرى تشومسكي أنّ أمام العالم خيارات عديدة تتراوح بين «معادلة استبدادية للغاية» تتحوّل فيها الدول، سيما القوية منها، إلى أكثر وحشية، أو خيارات أخرى أكثر عقلانية كالعودة إلى المفاهيم الإنسانية المعنية بالاحتياجات البشرية وعدم تغليب المصالح الاقتصادية النيوليبرالية الضيّقة بهدف تعزيز التضامن بين الدول من أجل تكريس قيم الحق والعدالة، والعمل على تسخير كافة الإمكانيات المتاحة للإنسانية من أجل الحدّ من الخطرين الوجوديين المحدقيْن بها، وهما الحرب النووية والتغيّرات المناخية والكوارث الناجمة عن الاحتباس الحراري.

لربّما يكون في جائحة كوفيد 19، التي ما زلنا لا نعلم الكثير عن طبيعتها وتبعاتها والمضاعفات التي ستخلّفها في بلداننا ومجتمعاتنا، جانب واحد مضيئ : وهو أنّ هذا الفيروس التافه الذي لا يُرى بالعين المجرّدة فرض على الإنسانية قاطبة وعلى كلّ دول العالم، سيما أعتاها وأكثرها قوّة ومالا وعلما وعتادا، وأحيانا أنانية وغطرسةً، مراجعة حساباتها ومكامن قوّتها وإعادة النظر في أولوياتها وأسلوب تفكيرها ومنوال تنميتها وأنظمتها الصحية وتعاملها مع بعضها البعض...للاهتمام أكثر بالإنسان، بصحة الإنسان التي هي حقّ من حقوقه الأساسية البديهية، حتى يصبح الأمن الصحي لذلك الإنسان جزءا لا يتجزّأ من الأمن القومي المشترك للدول وللشعوب...أو ما يمكن أن نطلق عليه «الأمن الصحي الإنساني».. لأنّ مثل فيروس كوفيد 19 لا يكترث لا بالحدود ولا بالقوّة العسكرية ولا بالدخل الفردي الأعلى ولا بمصالح الدول ولا بحسابات السياسة والسياسيين.

أخلاقيات الاتصال
في زمن الرقمنة والعولمة

الأستاذ رؤوف الباسطي

توطئة

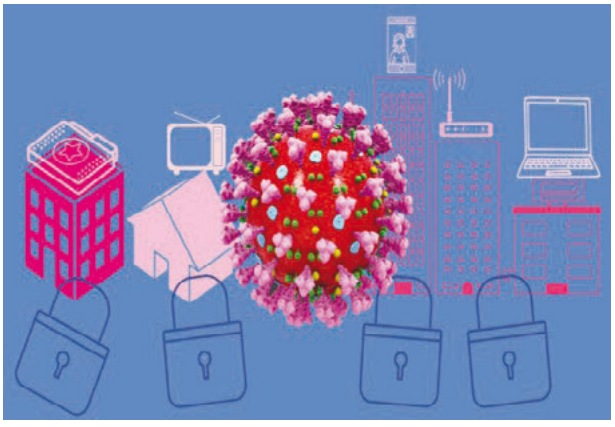

لعلّ أهمّ ما ميّز هذه العشرية الثانية من االقرن الحادي والعشرين بلوغ الثورة الرقميّة مدى، وسّع مجالات الاتصال ونوّعها تنويعًا فاقم حدّة التنافس بينها، وجعل الظاهرة الاتصالية تهيْمن على حياة المجتمعات هيمنة، بات معها امتلاك المعلومة ونقلها سلطة بالغة التأثير في الاقتصاد وفي الاجتماع وفي السياسة. ولقد كان التلازم بيّنًا بين الثورة الرقميّة الاتصالية وبين بلوغ ظاهرة العولمة مدًى أثار مخاوف الكثيرين.

ثمّ كانت الجائحة العالميّة وانتشار فيروس «كوفيد 19»، والأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي خلّفتها هذه الجائحة ومازالت تخلّفها على الصعيد الكوني ؛ والتي قد تجعل العالم بعد «الكورونا» مختلفًا عمّا كان قبلها. ذلك أنّ الجائحة، على ما فيها من سلبيات ومن مظاهر مأساويّة، تتسبّب اليوم في بداية صحوة فكريّة جعلت المجتمع الدولي وقادة الرأي فيه يطرحون عديد التساؤلات :

- حول الدور الذي لعبه الاتصال الرقمي في نقل ما يجب نقله وتداوله من حقائق ومعطيات علمية وصحيّة ووقائية بشأن الجائحة، ومدى أمانته في نقل هذه الحقائق والمعطيات، أو مدى تضخيمه لبعض الحقائق والمعطيات أو تشويهها أو إخفائها ؟
- حول المدى الذي يمكن أن تبلغهُ الثورةُ الرقميّة في تطوير حياتنا دون الوصول إلى حدّ المساس بقداسة المعطيات الشخصية، وبإنسانيّة المجتمعات البشرية، وبأساسيات حقوق الإنسان ؟
- حول ما سُمّي بأزمة الديمقراطية وأزمة الليبراليّة المتوحّشة التي أفرزتها العولمة وعلاقتها بالانفجار الاتصالي الرقمي ؟
- وحول تموقع الخدمة الاتصالية العمومية في المشهد الاتصالي الرقمي المعولم والمنافسة التي تشتدّ كلّ يوم بين هذه الخدمة وبين المنصّات الخاصة التي تتكاثر ؟ بل هي تشتدّ أحيانا بين المهنيين العاملين في الوسائط وبين جمهور «المتطوّعين» و«المتطفّلين» الذين ينشرون «الأخبار» على شبكات التواصل الاجتماعي أو يتناقلونها.

كلّ هذه التساؤلات المهمّة والخطيرة قد جعلت المهتمّين بالشأن الاتصالي والثقافي يعودون اليوم إلى الحديث بإسهاب عن قضيّة مركزية رأينا من المفيد أن نخصّص لها مقالنا هذا. وهي **قضية الموضوعية والأمانة في مجالات الإعلام والاتصال السمعي والبصري**، وتحديدًا في التقارير الإخبارية التي تبثّها هذه المحامل إلى المستمع والمشاهد.

أولا: ثنائية الحقائق والوقائع

نودّ أن نذكّر في البدْء بأنّ أهل الاختصاص قد أجمعوا منذ زمن غير قريب على اعتبار «الحقيقة» مفهومًا مجرّدًا يكتنفه الالتباس ويصعب النأي به عن النسبيّة، كما يصعب الإقرار بموضوعية الحقيقة المطلقة لدى الفلاسفة، بل إنّ أغلبهم يعتبر أنْ لا وجودَ لحقيقة موضوعية مطلقة، فحقيقتك ليست بالضرورة حقيقتي أنا، والعكس صحيح.

أمّا الحدث الواقع فيصعب الاختلاف حول وجوده وجودًا موضوعيا ملموسًا. وهذا ما جعل المختصّين في أخلاقيات المهنة الاتصالية يركّزون اهتمامهم على ضرورة الالتزام بنقل الوقائع إلى المستمع أو المشاهد بأمانة، أي بدقّة لا تُهمل الجزئيّة التي قد تكون بالغة الأهمّية، وبموضوعية أي دون ترك مجال،

مهما يكنْ ضيّقًا، للعامل الذاتي ليؤثّر في اختيار الوقائع والجزئيات التي يتمّ التركيز عليها، وبإنصاف وحياد يجعل المهنيّ ينقل الوقائع دون انحياز إلى طرف من الأطراف المعنيّة بالحدث.

ولئن كان الالتزام بنقل الوقائع على النحو المبيّن أعلاه، من أهمّ الضوابط المهنيّة والأخلاقية التي يتوجّب التقيّد بها، فإنّ الدور المتعاظم للاتصال السمعي والبصري، ومنزلته الاجتماعية في عصر الثورة الرقميّة، والضغوط التي تمارس عليه بحكم المنافسة التي تشتدّ كلّ يوم، كلّها عوامل تجعل الالتزام باحترام هذا الضابط الأساسي في أخلاقيات المهنة محلّ تساؤل في كثير من الأحيان. بل إنه يواجه كثيرًا من التعقيد الذي تنطوي عليه الممارسة الميدانية. فنحن، إنْ أخذنا مثالا من الراهن الـمَعيش في ما سمّي بجائحة «كورونا» سنرى أنّ نقل الوقائع والمعطيات الموضوعية قد طرح عديد التساؤلات في أوساط المختصّين : فأنْ تقول، مثلاً، إنّ عدد الوفيات التي سبّبتها الجائحة على الصعيد الكوني قد فاق ثلاث مائة ألف وتكتفي بذلك، هو موقف ضمني ليس بريئًا، وهو يختلف عن موقف ضمني آخر يتمثّل في كونك تنقل الرقم ذاته، لكن تضيف إليه تذكيرًا برقم آخر، وهو أنّ عدد الوفيات التي سبّبتها « الانفلونزا» في العام الماضي قد فاق ستّ مائة ألف وفاة، علمًا بأننا في الحالتين قد امتنعنا عن التعليق واكتفينا بذكر الوقائع.

هذه إذن عيّنة تبيّن أنّ نقل الوقائع يتضمّن تعقيدا في الممارسة، ويطرح عديد الإشكالات المتّصلة بمبادئ الموضوعية والأمانة والحياد.

ولـمّا كان الالتزام بهذه الأساسيات الأخلاقية ضرورة ملحّة من ضرورات البناء الديمقراطي في هذه المرحلة بالذات، وهي مرحلة أزمات مركّبة : أزمة اقتصادية واجتماعية أنتجتها العولمة والنظام الليبرالي العالمي الذي كرّس هيمنة أقلّيات تتحكّم في الأنظمة المالية الدولية لصالحها وعمّق، تبعًا لذلك، الفجوة بين الشعوب على الصعيد الكوني، وبين الفئات والطبقات على الصعيد الوطني، وزاد في نسب البطالة والفقْر على نحوٍ مُفْزع، بات يهدّد الاستقرار في العديد من مناطق العالم. وأزمة أنظمة ديمقراطية تتجاذبها قوى المال والشعبويّة، وبات العديد من قادة الرأي يتساءلون اليوم عن مدى قدرتها على إنتاج تمثيليّة مُنصفة، تفرز نخبًا حاكمة تجمع بين الشرعيّة والمشروعيّة وتكون قادرة على قيادة الشعوب نحو التقدّم والازدهار.

هذا، بالإضافة إلى وضع اتصالي كوني تميّز بتنامي ظاهرة القنوات الخاصة المنافسة للخدمة العمومية وتطوّر البثّ الفضائي والانفجار الرقمي الذي ألغى المسافات والحدود وأفضى إلى تكاثر البرامج العابرة للقارّات وتعدّد الرسائل الإعلامية على المنصّات الافتراضيّة ضمن الشبكة العنكبوتية.

كلّ هذه العوامل مجتمعة جعلت المختصّين يعتبرون أنّ قضيّة الالتزام بأخلاقيات المهنة الاتصالية، وتوخّي الموضوعية والحياد والأمانة في نقل المعلومة، قضيّة مركزية تعود اليوم وأكثر من أيّ وقت مضى إلى صدارة اهتمامات المشرّعين وأصحاب القرار والمهنيّين. ولقد نشط، تبعا لذلك، إجراء الدراسات حول التشريعات المعتمدة وطنيا وإقليميا ودوليا في هذا الشأن، وحول مدى مواكبتها للتطوّرات المتسارعة التي يشهدها قطاع الاتصال السمعي والبصري على وجه الخصوص. ومن هذه الدراسات القيّمة تقرير أصدره المرصد الأوروبي للسمعي والبصري سنة 2018 بعنوان : **«التقارير الإخبارية في وسائط الاتصال السمعية البصرية، الوقائع ولا شيء غير الوقائع».**

ثانيا: التقارير الإخبارية وأخلاقيات المهنة.

لقد جاء في مقدّمة التقرير المشار إليه أعلاه شرح للأسباب التي جعلت المرصد يهتمّ بدراسة قضيّة الدقة والموضوعية والإنصاف، ويركّز دراسته هذه على التقارير الإخبارية في الوسائط السمعية البصرية.

ويقول أصحاب التقرير في شرح هذه الأسباب إنّ تركيز البحث على مفهوم الدقة والموضوعية والإنصاف مردّه بالأساس إلى أنّ الهيئات والوسائط ومنظّمات الصحفيين ذاتها تولي أهمّية كبرى لهذه المبادئ. فالجامعة الدولية للصحافيين (FIJ) التي تضمّ في عضويّتها أكثر من 600 ألف عضو، تعتبر أنّ «أوكد واجبات الصحفي احترام الحقيقة وأنّ الصحفي لا ينبغي أن ينقل إلاّ الوقائع التي يتأكّد من مصدرها».

كما أنّ اتحاد الإذاعات الأوروبية (UER) الذي يضمّ في عضويته 73 هيئة من ستّ وخمسين (56) دولة، يُدرج الدقة والحيادية والإنصاف ضمن المبادئ التحريرية الأربعة التي يلتزم أعضاؤه باحترامها. وهو يقول في أدبياته : «إنّ الوقائع والأرقام التي يقع تقديمها ينبغي أن تكون دقيقة، ولا ينبغي أن يكون السياق الذي تندرج فيه مُثيرًا للجدل». وممّا يتصدّر أدبيات هذا الاتحاد قوله أيضا : «إننا نجتهد في تقديم المعلومة بأمانة وإنصاف ونأخذ بنظر الاعتبار تنوّع وجهات النظر واختلاف الآراء ونحترمه».

ومن الأسباب التي جعلت أصحاب التقرير يركّزون دراستهم على التقارير الإخبارية أنّ اتحاد الإذاعات الأوروبية (UER-EBU) يقول في دراسة أصدرها حول «المبادئ التي تقوم عليها رسالة وسائط الخدمة العمومية في المرحلة الرقمية» ؛ إنّ التقارير الإخبارية قد مثّلت النصيب الأوفر من إنتاج هيئات الخدمة العمومية في عام 2017.

يضاف إلى ذلك أنّ دراسات أُجريت في العديد من الدول الأوروبية مثل ألمانيا أثبتت أنّ الخدمة العمومية مازالت تمثّل المصدر الأساسي للأخبار، وتحظى بثقة الغالبية العظمى من الجمهور رغم تكاثر المنصّات الرقمية وتنوّعها.

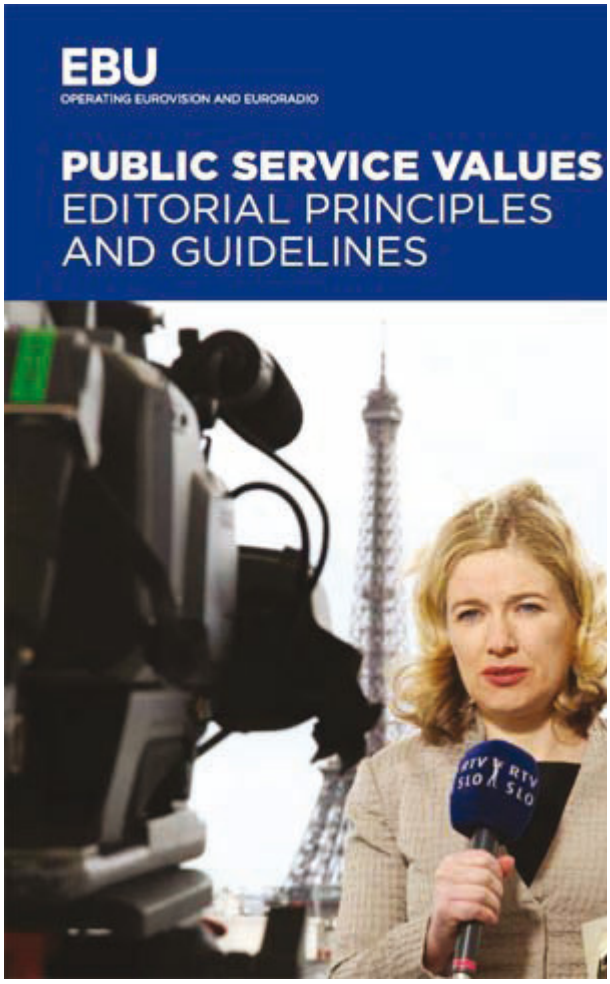

1.2 معالجة الأخبار في هيئات الإذاعة والتلفزيون

يدرس التقرير المشار إليه أعلاه كيفية تَمثُّل أهمّ الهيئات الإذاعية والتلفزيونية لقضيّة الدقة والموضوعية والإنصاف في معالجة الأخبار، من خلال استعراض بعض الأمثلة. حيث يبدو أنّ جلّ الإذاعيين يربطون مسألة الدقة والموضوعية والإنصاف ربطا عضويا بالغاية الأساسية التي يسعون إلى بلوغها باستمرار، ألا وهي كسب ثقة المستمع أو المشاهد.

فهيئة الإذاعة البريطانية (BBC) مثلا تعتبر أنها قائمة على أساس من الثقة. وللحفاظ على هذه الثقة تقول في أدبياتها «إننا مستقلّون ومحايدون وأمناء ونزهاء، ونحن ملتزمون ببلوغ أعلى معايير الدقة والحياد». وكذلك الشأن بالنسبة إلى الإذاعة الإيرلنديّة (RTE) التي تقول إنّ الثقة تمثّل حجر الزاوية في بنائها و«إنّ العاملين فيها يسعون باستمرار ليكونوا نزهاء وجديرين بالثقة ومُنصفين ومحايدين ومستقلّين إزاء كلّ المصالح».

واتحاد الإذاعات الأوروبية من جهته يعتبر أنّ وجوده إنما يقوم على الثقة، بما تقتضيه الثقة من احترام للمبادئ التحريريّة المتمثّلة في الحياد والإنصاف والدقة.

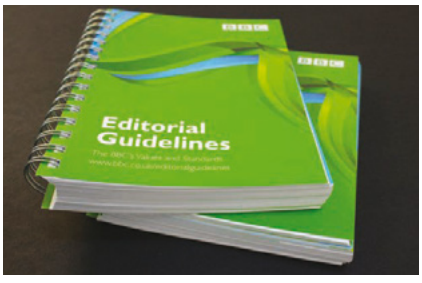

أمّا عن كيفيّة اضطلاع الهيئات الإذاعية بمسؤولية الالتزام بمبادئ الموضوعية والدقة والإنصاف، فيلاحظ أصحاب التقرير أنّ مبدأ المسؤولية يتواتر ذكره في مدوّنات السلوك التحريرية، وأنّ من أهمّ أدوات الاضطلاع بهذه المسؤولية استخدام آليات تصحيح الأخطاء. فقد وضع الإذاعيون في هذا المجال آليات تظلّم (مثل ما هو الشأن في RTE البرتغال) وإجراءات تتعلّق بـ «حق التعديل» وبحق الردّ (مثل ما هو الشأن في TV3 البريطانية).

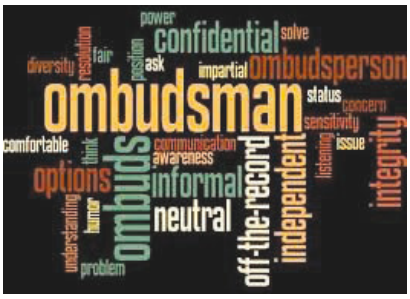

هذه الآليات سنجدها في صلب جلّ الهيئات الإذاعية الأوروبية. وهي آليات تمكّن المتظلّم من حق الردّ إنْ أراد ذلك. ففي هولندا وفي فرنسا نجد مؤسسة الموفّق في صلب هيئات الإذاعة والتلفزيون (médiateur). ومن وظائف هذا الموفّق تلقّي الشكاوى والعمل على تصحيح الأخطاء.

إلى جانب آليات الرقابة والتصحيح الذاتية هذه، سنجد في جلّ أقطار الاتحاد الأوروبي سلطًا تعديلية. ومن مهامّها الاضطلاع بدور مهمّ في متابعة مدى التزام الهيئات الإذاعية العمومية والخاصة باحترام مبادئ الموضوعية والحياد والإنصاف. ولهذه المجالس التعديلية المستقلّة سلطة عقابية في بعض الدول، مثل ما هو الشأن في فرنسا وبولونيا وبريطانيا.

COUNCIL OF EUROPE
CONSEIL DE L'EUROPE

علمًا بأنّ الدول الأعضاء في مجلس أوروبا تفرض على هيئات الإذاعة والتلفزيون العمومية والخاصة جملة من التشريعات، تُلْزمها باحترام توخّي الدقة والموضوعية والإنصاف. فأغلب الدول الأوروبية، مثل فرنسا وألمانيا وإيرلندا وإيطاليا وهولندا وإسبانيا والمملكة المتحدة قد أقرّت تشريعات وقوانين خاصة تتضمّن أحكامًا خصوصيّة وتدابير مفصّلة بشأن توخّي الدقة والموضوعية والإنصاف في الإعلام السمعي والبصري. وبعض الدول الأخرى أدمجت هذه التدابير الخصوصيّة ضمن تشريعات عامة تتعلّق بوسائل الاتصال الجماهيري، مثل ما هو الشأن في روسيا التي ينصّ قانون وسائط الاتصال فيها على أنّ الصحافيين مُلزمون بالتحرّي في صحّة الأخبار التي يبثّونها، ولا يحقّ لهم أن يتوسّلوا بامتيازاتهم وحقوقهم كمهنيين ليُخفوا أو يحرّفوا معلومات مهمّة بالنسبة إلى الجمهور، أو ليذيعوا إشاعات في شكل تقارير إخبارية موثوق بها. أمّا في فنلندا فالأحكام المتصلة بالدقة والأمانة مضمّنة في قانون «التعديل الذاتي»، وهو عبارة عن جملة من المبادئ التوجيهية التي يلتزم باحترامها كلّ العاملين في وسائط الاتصال الجماهيري.

المسألة الثالثة التي توقّفت الدراسة عندها، هي مسألة الثلب. حيث لاحظ أصحاب التقرير أنّ القانون الجزائي المتعلّق بالثلب في فنلندا مثلا قد تضمّن بعض المواد في شأن بثّ أخبار زائفة أو تلميح وافتراء حول شخص أو تشهير به.

كما أنّ الفصل 595 من القانون الجزائي الإيطالي ينصّ على عقوبة يُمكن أن تكون سالبة للحرّية، وتتراوح بين سنة وستّ سنوات، في حال بثّ تصريحات ثالبة فيها ادعاء وقائع محدّدة. والعفوية هنا لا تعفي من العقوبة. على أنّ العقوبة لا تسلّط على الشخص الذي يدلي بالتصريح الثالب بل على المسؤول عن مراقبة المادة الإعلامية التي تضمّنت التصريح.

هذا، ويُشير أصحاب الدراسة، في هذا الصدد، إلى التوصية الصادرة في 2007 عن الجمعية البرلمانية لمجلس أوروبا، والتي تدعو الدول الأعضاء إلى إلغاء العقوبات الجزائية بشأن الثلب.

2.2 مقاربة المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان

خصّص أصحاب الدراسة المذكورة أعلاه فصلها الثاني لتقديم لمحة عن قوانين مجلس أوروبا، في ما يتصل بتوخّي الدقة والموضوعية والإنصاف في التقارير الإخبارية وفي الأخبار التي تبثّها مؤسسات الاتصال عموما. وقد تمّ تركيز هذه اللمحة على الاتفاقية الأوروبية الخاصة بالحفاظ على حقوق الإنسان والحرّيات الأساسية (CEDA)، وعلى فقه القضاء المستخلص من الأحكام التي أصدرتها المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، وهي أحكام تعلّقت بعقوبات سلّطت على برامج أو على صحفيين بسبب عدم احترام مبادئ الدقة والموضوعية والإنصاف. وتبيّن، من خلال الأمثلة التي عُرضت في هذا الفصل، أنّ المحكمة قد كانت تحرص، في كلّ مرّة، على التأكّد من احترام التوازن الضروري بين :

أ. حقوق الإعلاميين في ممارسة حرّية التعبير وفق الفصل العاشر من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان، شريطة التلازم بين حفظ تلك الحقوق وواجب تحلّيهم بالنزاهة وحسن النيّة في ممارستهم لتلك الحقوق.

ب. حقوق المستمعين والمشاهدين في التمتّع بإعلام نزيه وموضوعي وشفّاف.

ج. حقوق المتظلّمين من الثلب أو من ترويج أخبار تسيء إلى سمعتهم ولم تكن الجهة الباثّة لتلك الأخبار قد تأكّدت من صحّتها، ومن صدقيّة مصادرها.

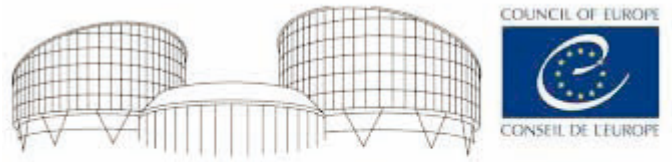

ويُستنتج ممّا سبق ذكره أنّ فقه القضاء، المستخلص من أحكام هذه المحكمة الأوروبية الاستئنافية والتحكيمية، يعتبر أنّ احترام أخلاقيات المهنة يوفّر للمهنيين حماية إضافية وفق ما ينصّ عليه الفصل العاشر من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان. لكن عدم احترام معايير «الصحافة المسؤولة» يمكن أن يجعل المحكمة تُقرّ بعض العقوبات التي تسلّط على الوسائط وعلى المهنيّين، وتعتبر هذه العقوبات موائمة لروح الفصل العاشر المذكور أعلاه.

2-3 المعايير السياسية الأوروبية

في الفصل الثالث من الدراسة المشار إليها لمحة عن المعايير الأوروبية المشتركة التي يتمّ اعتمادها لتقييم مدى الالتزام بتوخّي الدقة والموضوعية والإنصاف والنزاهة في معالجة الأخبار وتغطية الأحداث الجارية، وذلك من خلال استعراض الأدوات المعياريّة الملائمة التي تستخدمها أجهزة مجلس أوروبا، ومن هذه الأجهزة بالخصوص اللجنة الوزارية (Comité des Ministres) والجمعية البرلمانية (Assemblée parlementaire)، وصولا إلى الأدوات المعتمدة من قبل منظمات الاتصال والهيئات التعديلية.

فلقد نشر مجلس أوروبا في 2016 تقريرًا مطوّلا ضمّنه كلّ التوصيات والبيانات الصادرة عن لجنته الوزارية بشأن مجال الاتصال ومجتمع المعلومات. علمًا بأنّ أكثر من ثمانين توصية كان قد تمّ اعتمادها منذ سنة 1970 في شأن وسائط الاتصال، وجلّها تعالج مسائل متصلة بقضايا الموضوعية والدقة والأمانة والإنصاف والحياد في معالجة المادة الإعلامية وأخلاقيات الوسائط الاتصالية، نذكر منها بالخصوص توصية 1993 الصادرة عن المجلس البرلماني الأوروبي حول أخلاقيات العمل الصحفي، وهي تتضمّن عدّة مبادئ أخلاقية يرى المجلس ضرورة احترامها من قبل المهنة في الفضاء الأوروبي. ومن هذه المبادئ مبدأ أساسي يتمثّل في الحرص على التمييز بين الخبر والرأي، ومنها أيضا مبدأ الحرص على التحرّي في صدقيّة الخبر بموضوعية وبلا انحياز، مع ضرورة الاستجابة بسرعة، وعلى النحو المناسب، لطلبات تصحيح المعلومات إذا تبيّن أنها مغلوطة.

كما تؤكّد توصية 1993 وجوب التزام الوسائط الاتصالية بالخضوع للمبادئ الأخلاقية الصارمة التي تضمن حرّية التعبير، وتؤكّد ضرورة عمل هذه الوسائط على إنشاء أجهزة متابعة وتقييم لمدى التزامها باحترام المبادئ في الممارسة، وترى أن تضمّ هذه الأجهزة ممثّلين لجمعيات المستهلكين والمستمعين والمشاهدين، إلى جانب الجامعيين والقضاة.

علمًا بأنّ اللجنة الوزارية لم تَر مناسبا، في سياق تعليقها على هذه التوصية، التفكير في إحداث جهاز تعديلي أو رقابي في صلب مجلس أوروبا، معتبرة أنّ ذلك، لو حدث، سيكون مناقضًا لدور المجلس، الذي هو بالأساس حماية حرّية الصحافة.

وقد عادت الجمعية البرلمانية في 2015 إلى النظر في مسألة أخلاقيات المهنة، وأصدرت توصية جديدة بشأن «مسؤولية الوسائط الاتصالية وأخلاقياتها في محيط اتصالي متحوّل». وفي هذه التوصية تذكير للدول الأعضاء بأنّ التصريحات والمزاعم التي يتمّ التعبير عنها في الوسائط الاتصالية، حتى إنْ تبيّن لاحقًا أنها غير صحيحة، لا ينبغي أن تكون عرضة للعقاب إذا ما ثبت أنّ بثّها قد تمّ عن حسن نيّة، ولم يكن عدم صحّتها معروفًا في البدء، ولم يكن البثّ بنيّة الإيذاء.

وحيّت الجمعية البرلمانية الأوروبية إعلان المبادئ الصادر عن الجامعة العالمية للصحافيين في شأن تصرّفات الصحفي. كما حيّت مدوّنات الأخلاقيات المهنية المعتمدة من قبل الصحافيين والمؤسسات الإعلامية على الصعيد الوطني في كلّ الدول الأوروبية، واعتبرت أنّ هذه المدوّنات تعبّر عن حرص المهنيين على ضمان جودة عملهم، وعلى تصحيح الأخطاء إنْ وقعت بروح المسؤولية إزاء الجمهور.

وفي ردّها على هذه التوصية اعتبرت اللجنة الوزارية أنّ إصدار توصيات توجيهية للحكومات بشأن التعديل الذاتي على الصعيد الوطني غير ضروري. لكنها أكّدت، من جهة أخرى، مساندتها للنداء الذي وجّهته الجمعية البرلمانية إلى الدول الأعضاء حتى يحرصوا كلّ الحرص على ضمان تمتّع الأفراد بممارسة حق الردّ، مع استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في هذا المجال.

أمّا التوصية الصادرة عن الجمعية البرلمانية في 2017، فقد تركّزت بالأساس على تبيان سبل ضمان ممارسة حق الردّ وكيفية تصحيح الأخطاء الواردة في الوسائط الإلكترونية التي تبثّ على الخط، ومن ضمنها مواقع التواصل الاجتماعي في «فايسبوك» (Facebook) و«قوقل : (Google). وتوصي الجمعية البرلمانية، في هذا العدد، جمعية مزوّدي الخدمات على الإنترنت الأوروبية بأن تطلب من أعضائها تمكين المستخدمين من التنبيه إلى المعلومات المغلوطة، ومن حق الردّ والتصحيح، ومن حذف المضامين غير الدقيقة.

هذا وقد اعتبرت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان أنّ من مقوّمات المناخ الديمقراطي السليم اضطلاع مؤسسات الاتصال العمومية بتوفير الخدمة الإخبارية الموضوعية والدقيقة والمتوازنة والمحايدة.

أمّا المؤتمر الوزاري الأوروبي الرابع حول سياسات الاتصال الجماهيري، فكان قد أوصى الدول المشاركة بأن تنيط بعهدة الهيئات الإذاعية العمومية جملة من المهمّات الأساسية، في مقدّمتها مهمّة بثّ الأخبار والتعليق عليها بتوازن موضوعي وبحيادية. كما أنّ اللجنة الوزارية قد صادقت في 2007 على توصية بشأن «رسالة وسائط الاتصال العمومية في مجتمع المعلومات»، وقد تضمّنت هذه التوصية المبادئ التوجيهية التي تقوم عليها هذه الرسالة في خضمّ فضاء يتميّز بالموثوقية والمصداقية، ويضطلع بدوره كمصدر محايد ومستقلّ للأخبار، ينقل بتوازن مختلف الآراء والمواقف والتعاليق وفق ما يقتضيه الاحترام الكامل لأخلاقيات المهنة.

وعلى الرغم من كلّ ما تمّ بيانه في الفقرات أعلاه. تظلّ عديد الإشكالات قائمة كلّما تعلّق الأمر بمدى احترام وسائط الاتصال على الخط لأخلاقيات المهنة.

فهناك تفاوت بين الأقطار في مجال اهتمامها بوضع الضوابط التي تلتزم وسائط الاتصال على الخط باحترامها. وهناك صعوبة في تطبيق التشريعات على هذه الوسائط العابرة للحدود إذا كانت تبثّ من دولة غير مهتمّة بوضع الضوابط في هذا المجال.

ثمّ إنّ قضيّة بثّ المعلومة المغلوطة قد باتت اليوم مطروحة في مجالات الإعلان والترويج والتسويق على الخط أيضا، وهناك مصاعب في جعل مشغّلي المواقع يتعاونون مع الهيئات التعديليّة والجهات الرقابية في مقاومة هذه الظاهرة التي استفحلت على الشبكة.

انعقاد اجتماع المجلس التنفيذي (103)

عبر منظومة Zoom

- الاتحاد يُجري تغييرات على رزنامة أنشطته وبرامجه، ويعتمد تقنيات التواصل عن بعد في عمله اليومي، مسايرةً للظروف الاستثنائية التي فرضتها أزمة كورونا العالمية.
- ارتفاع حجم التبادلات الإخبارية والبرامجية عبر المنصّة السحابية، في ظلّ الأوضاع المستجدّة.
- أداء جيّد لأكاديمية الاتحاد لتأمين استمرار العملية التدريبية، باستخدام منصّتها عن بعد، وعقد ندوات ودورات غير حضورية.
- دعم المجلس التنفيذي للاتحاد في التفاوض للحصول على حقوق الأحداث الرياضية المرتقبة، وخاصة البطولات الآسيوية والألعاب الأولمبية.
- تأجيل الدورة 21 للمهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون إلى النصف الأوّل من عام 2021.
- تسجيل خطوات إيجابية في تطوير المنظومة السحابية لإدماج خدمات الذكاء الاصطناعي، وإعداد دليل استرشادي لمساعدة الهيئات الأعضاء على إدخال تقنية خدمات الإنتاج عبر بروتوكول الإنترنت.
- حماية الطيف الترددي الإذاعي والتلفزيوني، تحضيرا للمؤتمر العالمي للراديو.
- الإشادة بتقدّم أشغال بناء فندق الاتحاد ليكون جاهزا في مواعيده المحدّدة.

التأم هذا الاجتماع الدوري يوم 24 جوان | يونيو 2020 برئاسة الأستاذ محمد عبد المحسن العوّاش وبحضور المهندس عبد الرحيم سليمان المدير العام للاتحاد وبمشاركة ممثّلي الهيئات الأعضاء، وذلك باستعمال تقنية التواصل عن بعد بين مختلف العواصم العربية.

وذكّر رئيس الاتحاد بالظروف الاستثنائية التي يمرّ بها العالم جرّاء تفشّي جائحة كورونا، واستعرض المحاور التي ترتكز عليها استراتيجية عمل الاتحاد وهي التنمية البشرية، وتدريب المهنيين في قطاع الإعلام السمعي البصري، ودعم ميزانية الاتحاد الذي حقّق خطوات إضافية مهمّة، ومساعدة هيئات الدول العربية الأعضاء التي تعيش ظروفا صعبة.

جدول أعمال حافل

اشتمل على أحد عشر بندًا تتصدّرها :

تداعيات أزمة كورونا على أنشطة الاتحاد وبرامجه، في النصف الأول لعام 2020، حيث اطلع المجلس من خلال تقرير الإدارة العامة على الإجراءات التي اتخذتها للتأقلم مع الأوضاع المستجدّة، ومنها بالخصوص، فضلا عن التدابير الوقائية والصحيّة : تأجيل جميع الأنشطة والاجتماعات ومهمّات السفر المبرمجة في تلك الفترة – مواصلة العملية التدريبية عبر منصّة التدريب عن بعد التي أنشأتها أكاديمية الاتحاد – استمرار حركة التبادل الإذاعي والتلفزيوني بشكل عادي بواسطة منظومتيْ Menos وASBU Cloud.

وسجّل المجلس نجاح الاتحاد في الحفاظ على جوانب من أنشطته وبرامجه، باستخدامه التقنيات الحديثة في تنفيذها، وكلّف الاتحاد بإعداد دراسة توضّح مزايا وإيجابيات آليات عقد بعض الاجتماعات والقيام بالتدريب عن بعد، والغاية من هذه الدراسة : **تعزيز دور الاتحاد وزيادة نشاطه، مع التأكيد على تخفيف الأعباء والالتزامات المالية عليه وعلى أعضائه.**

دراسة ثانية كُلّف المجلس بإعدادها حول **جهود الإعلام العربي في التعامل مع جائحة كورونا** من خلال تجارب الهيئات الأعضاء وتقاريرها بشأن تداعيات الأزمة الصحية على نشاطاتها، بما يتيح بلورة مقاربة إعلامية جديدة عن كيفية التعايش والتكيّف مع هذه الأوضاع عبر الإعلام المرئي والمسموع.

في مستوى آخر، أقرّ المجلس **دعم توجّه الاتحاد في التفاوض للحصول على حقوق الأحداث الرياضية،** وخاصة حقوق البطولات الآسيوية، والألعاب الأولمبية التي تمّ ترحيلها إلى عام 2021، ودعوة الإدارة العامة إلى **القيام بدراسة تتعلّق بتأثيرات الجائحة على نشاط الاتحاد في مجال الحقوق التلفزيونية للأحداث الوطنية الكبرى،** وطريقة الاستفادة من الوضع المستجدّ مهنيا واقتصاديا، ودعوة الاتحاد إلى مزيد التفاوض مع سائر شركائه من أجل تخفيض قيمة بعض العقود، في ظلّ الظروف الاقتصادية التي يشهدها العالم.

ودعوته أيضا إلى **تقديم الدعم اللازم لبعض الهيئات الأعضاء في المجال التقني والتكنولوجي وفي مجال التدريب والتأهيل.**

هذا وثمّن المجلس التنفيذي، بعد اطلاعه على قرارات المكتب التنفيذي للشؤون الطارئة، ما ورد فيها من توجّهات استراتيجية كفيلة بدعم مسيرة الاتحاد .

رزنامة أنشطة الاتحاد لعام 2020 في ظلّ أزمة كورونا

المهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون

الموافقة على **تأجيل تنظيم دورته (21) التي كانت مقرّرة لهذه السنة إلى النصف الأول من العام القادم ،** مع الاحتفاظ بنفس الفعاليات والأصناف البرامجية والإخبارية المدرجة في المسابقات الإذاعية والتلفزيونية، و**حثّ الهيئات الأعضاء على إيلاء مزيد الاهتمام ببثّ فعاليات هذه التظاهرة** الإعلامية والفنية البارزة على قنواتها، إسهامًا منها في الترويج لها وتعزيز إشعاعها عربيا ودوليا.

اللجان الدائمة وآليات عقدها (عن بعد)

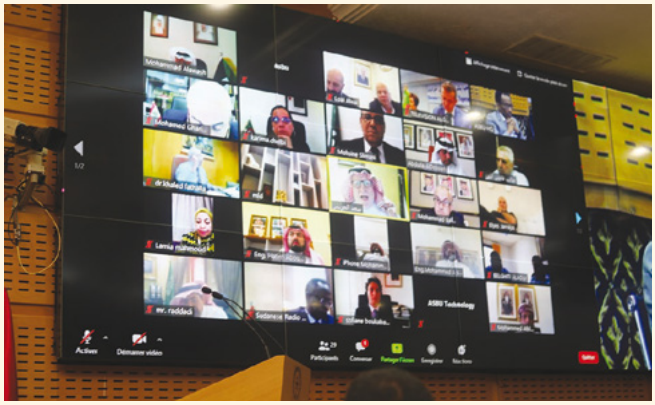

أشاد المجلس **بجهود الاتحاد في تأمين استمرارية نشاطه وخدماته لفائدة الهيئات الأعضاء ووافق على عقد اجتماعات اللجان الدائمة السنوية للعام الجاري والندوات المرافقة لها عن بعد،** مع تأجيل الانتخابات لمنصبيْ الرئيس التي كانت مقرّرة، إلى عام 2021 وتهمّ اللجان الدائمة لكلٍّ من الأخبار، والبرامج التلفزيونية، والإذاعة، والرياضة.

الأنشطة التلفزيونية والإذاعية والرياضية والهندسية والتعاون العربي والدولي

التلفزيون :

مجال الأخبار

- **التبادلات الإخبارية :**

نوّه المجلس **بحجم هذه التبادلات اليومية وتنوّعها وتغطيتها الشاملة للأوضاع الصحية في البلدان العربية، وتثمين جهود الهيئات في مشاركتها المكثّفة في هذه التبادلات، وفي الاستثمار الأمثل للشبكة السحابية، خاصة أثناء الحجر الصحّي الشامل.**

- **تغطية الأحداث الكبرى داخل المنطقة العربية**

تمّ اعتماد خطّة التغطية الإذاعية والتلفزيونية للقمّة العربية في دورتها 31 خلال اجتماع تنسيقي مع الجهات الجزائرية المعنيّة، وذلك في أفق تحديد موعد انعقاد هذه القمّة.

- **رزنامة الأحداث الكبرى لعام 2021**

تمّ ترحيل كلّ الأنشطة التي كانت مقرّرة في النصف الثاني من العام الجاري (موسم الحجّ، مداولات الجمعية العامة للأمم المتحدة، قمّة المناخ) إلى عام 2021، مع العمل على أن يوفّر الاتحاد التغطية اللازمة عن بعد لفائدة الهيئات الأعضاء في حال انعقادها، كما كان مقرّرا من قبل.

- **الندوات الإخبارية لعاميْ 2020 و2021**

بناء على مقترح الاتحاد، ستنتظم **الندوة الإخبارية** المرافقة للجنة الدائمة للأخبار التلفزيونية حول موضوع «**التعاطي الإعلامي مع الأزمات : جائحة كورونا نموذجا**»، وإرجاء موضوع «**القدس في الأخبار التلفزيونية**» إلى العام المقبل.

البرامج

سيتواصل العمل بنفس الخطة البرامجية بالنسبة إلى عام 2021، فيما سيتمّ فصل مسابقة التبادلات البرامجية التلفزيونية لعاميْ 2020 و2021 عن المسابقات الرسمية للمهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون.

وفي خصوص الندوات البرامجية، تمّ الاختيار على أن يكون موضوع **الندوة المصاحبة للجنة الدائمة للبرامج** حول «**التوعية الصحيّة بجائحة كورونا في البرامج التلفزيونية**»، وتُرجأ ندوة «**تيسير النفاذ إلى المحتوى السمعي البصري لذوي الإعاقة**» إلى 2021.

كما تمّ الاطلاع على سير الإنتاج التلفزيوني العربي المشترك في صيغته الرابعة، والإنتاج التلفزيوني العربي الأوروبي المشترك بين الضفاف (الصيغة 8).

الإذاعة

اهتمّ المشاركون في المجلس التنفيذي **باحتفالية اليوم العالمي للإذاعة، وبتظاهرات العواصم، والدعم الإعلامي للقضية الفلسطينية، وتجارب الإذاعات، ونشاط التبادلات الإذاعية.**

الرياضة

أبدى المجلس **دعم جهود الاتحاد في الحصول على حقوق النقل التلفزيوني لبطولات الاتحاد الآسيوي لكرة القدم** (أندية ومنتخبات) للسنوات الثماني القادمة (2021 – 2028)، وحثّ الإدارة العامة على **مواصلة التفاوض مع الجهة المالكة لحقوق النقل التلفزيوني لدورة الألعاب الأولمبية بطوكيو**، التي وقع ترحيلها إلى عام 2021.

التكنولوجيا والتطوير

اطلع المجلس على النشاط الهندسي للاتحاد أثناء السداسية الأولى من عام 2020، الذي تأثّر تنفيذه جزئيا بسبب الحجر الصحّي، وأحيط علمًا **بالبدائل التكنولوجية المتخذة من خلال عقد مؤتمرات صوتية مرئية عن بعد.**

- **نظام المينوس وتشغيل الأسبو كلاود**

تمّت **الإشادة بجهود الاتحاد في ما يتعلّق بالشروع في التبادل بنظام المينوس بلاص الذي يوفّر خدمة التبادل التلفزيوني عالي الدقة** (HD)، حيث استلمت 16 هيئة محطاتها، **وستفضي عملية تطوير هذا النظام إلى تأمين منصّة تبادل حديثة تسهّل سير التبادل وترفع جودة المواد، وتخفّض كلفة التشغيل والصيانة.** وطُلب من الإدارة العامة للاتحاد اتخاذ الإجراءات اللازمة لاستكمال المشاريع المتفق عليها مع الشركة المعنية، وخاصة **إنشاء الشبكة الإذاعية للمينوس بلاص، واستكمال خدمات منظومة المينوس بلاص التلفزيونية.**

وفيما يتعلّق **بخدمة الشبكة السحابية**، فقد جرت معاينة الخطوات التي بادرت الإدارة العامة إلى اتخاذها في سبيل **إنشاء شبكة سحابية متطوّرة تقوم على دمج خدمة شبكة المينوس والأسبو كلاود، بما من شأنه تأمين الوثوقية في التبادلات الإخبارية عبر الإنترنت، وتخصيص شبكات تقديرية للهيئات الأعضاء، ودعم الإنتاج عن بعد، والذي تعزّز مع ظهور جائحة كورونا، وإدخال التطبيقات لخدمة الذكاء الاصطناعي (A)، وخدمات الإعلام الجديد والتواصل الاجتماعي.**

- **الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني**

فقد **سجّلت تطوّرات في هذين المجالين تعتمد على مبدإ تحوّل الإنتاج عبر بروتوكول الإنترنت، وتحوّل نظام التلفزيون فائق الدقة (UHD) وإنتاج الإشارة التلفزيونية عبر تقييس المدى الديناميكي والطيف المرئي العريض (HDR/WCG).**

وتعرّف المجلس على المخاطر السيبرانية المرتبطة باستخدامات بروتوكول الإنترنت والإجراءات الرقابية الواجب اتباعها أثناء عمليات التشغيل. وتُستحضر جهود الإدارة العامة في مجال عقد الورشات و**إعداد دليل استشاري، الغاية منه مساعدة الهيئات الأعضاء في إنشاء منصّاتها المستقبلية أو اكتساب الخبرة في التعامل مع المنصّات التي تمّ إنشاؤها.**

ودُعيت الهيئات الأعضاء إلى **إيلاء المزيد من الأهمّية للأمن السيبراني والحماية من مخاطر الاختراق** واتباع التوصيات والإجراءات المتعلّقة بالتحكّم وإدارة الشبكات الصادرة عن اتحاد الإذاعات العالمية.

وإلى **اعتماد تقنية الإنتاج ببروتوكول الإنترنت IP داخل الأستوديوهات ومراكز الإنتاج بالتقييس** AES67 لنقل شارة الصوت و2110 SMPTE لنقل الإشارة التلفزيونية.

وإلى **إعداد دليل استرشادي لتنفيذ هذه التقنيات، ووضع مواصفات فنية عامة تؤمّن الوثوقيّة والتشغيل البيني لهذه الأنظمة.**

- **الإرسال الإذاعي والتلفزيوني**

اطلع المجلس على الخطوات التي اتخذتها الإدارة العامة بشأن **الإعداد للمؤتمر العالمي للراديو** WRC-23 الذي سيركّز على استخدامات الطيف الترددي للإذاعة الصوتية الرقمية والإذاعة المرئية الرقمية الأرضية، والأشواط التي يتعيّن على الاتحاد اتباعها لحماية الطيف، **مع التأكيد على أهمّية الإذاعتين في تأمين حقوق المواطن العربي للنفاذ إلى المعلومة ومشاهدة البرامج الرياضية الوطنية المفتوحة، من خلال خدمة البثّ العمومي والوطني المفتوح**. وتمّ التعرّف على الخطوات التي بذلها الاتحاد وديوان الإرسال الإذاعي والتلفزيوني التونسي وكونسرتيوم الإذاعة الرقمية (World DAB) من خلال إشراك المؤسسات المصنّعة العالمية والشركات المورّدة المحلّية وشركات توريد السيارات، وإطلاعها على قوانين الإعفاء الجمركية التي استصدرها الديوان لفائدة أجهزة الاستقبال الإذاعي الرقمي، وربط الصلات بين جميع المتدخلين من أجل تأمين آلية مناسبة للتحوّل الرقمي.

هذا وتطرّق المجلس إلى **تطوّر تقنيات 5G واستخدامها كمنصّة لاستقبال المتحرّك أو المتنقّل،** وآلية اتخاذ الإجراءات اللازمة للمحافظة على الطيف الترددي التلفزيوني الأرضي، وإيجاد النموذج الاقتصادي المتوازن مع مشغّلي شبكات الاتصالات 5G.

و**دُعيت الهيئات الأعضاء إلى استكمال عمليات التحوّل الرقمي لكلٍّ من البثّ الإذاعي والبثّ التلفزيوني الرقمي.**

التعاون العربي والدولي

تجلّى **التأكيد على أهمّية التواصل مع شركاء الاتحاد باستعمال التقنية عن بعد، وتثمين الجهود المبذولة في مجال تبادل الخبرات مع المنظمات الدولية والإقليمية** بهدف خلق الفرص للتعامل الإيجابي مع الأزمة الوبائية، ومن خلال إطلاق مبادرات مجدّدة وفعّالة للتأقلم مع الأوضاع الراهنة.

ودُعي الاتحاد إلى **مواصلة جهوده لدعم العديد من الفعاليات التي ينظّمها عبر وسائل التواصل عن بعد، والترويج لها لدى هيئاته الأعضاء،** بما يتيح الإفادة منها والمشاركة فيها.

نشاط مركزيْ تبادل الأخبار والبرامج والتدريب الإذاعي والتلفزيوني

كان هذا النشاط محلّ اهتمام أعضاء المجلس، حيث **أشادوا بالتغطية المتميّزة التي قامت بها الهيئات الأعضاء بخصوص انعكاسات جائحة كورونا على المجتمعات العربية.**

وثمّنوا الجهود العملية التي تبذلها مؤسسة البثّ الإذاعي والتلفزي الجزائرية في مجال متابعة أشغال **إنجاز المقرّ الجديد للمركز العربي للتبادل،** والتأكيد مجدّدًا على ضرورة توفير جميع الإمكانيات المالية لتجهيزه وتأثيثه.

و**دُعيت الهيئات الأعضاء** من جهة أخرى إلى **المشاركة في الدورات التي سيقدّمها مركز التدريب عبر منصّته عن بعد، وفي الويبينارز التي ستُنفّذ بإحدى تطبيقات الإنترنت المتوفّرة مثل تطبيقة Zoom.**

أكاديمية التدريب الإعلامي

أعرب المجلس عن ارتياحه لنجاحها كمنظومة متكاملة تعتمد الأساليب العصرية في المستويين البيداغوجي والتكنولوجي، وثمّن أداءها خلال النصف الأول من هذا العام، بما ضمن استمرار نشاطها التدريبي. كما رحّب بمبادرتها في **انطلاق استخدام منصّة التدريب عن بعد وإثرائها بمحتويات ودروس من إنتاجها،** وحثّ الهيئات الأعضاء على الإفادة من هذه الدروس المتاحة مجانا على منصّتها.

تقدّم أشغال بناء فندق الاتحاد

أشاد المجلس بالجهود المبذولة في سبيل إنجاز الأشغال في وقت قياسي، رغم الظروف الاستثنائية التي فرضتها جائحة كورونا، **مع التأكيد على أن يكون جانب كبير من الفندق جاهزًا قبل اجتماعات المجلس التنفيذي والجمعية العامة في يناير 2021، وأن يكون الافتتاح الأولي للفندق في الشهر ذاته، والتدشين الرسمي متزامنا مع الدورة القادمة للمهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون في شهر مايو 2021.**

أكاديمية الاتحاد ورهانها الاستراتيجي على التدريب عن بعد

راهنت أكاديمية التدريب الإعلامي التابعة لاتحاد إذاعات الدول العربية على إدماج التدريب عن بُعد ضمن طرق نشاطها، وذلك منذ السنة الثانية من انطلاقها (2018).

وقد تجسّم هذا التمشي، من خلال إقامة دورات تدريبية للمدرّبين على التمشّي البيداغوجي للتدريب غير الحضوري، وعلى استعمال تطبيقات ومنصّات التدرّب عن بُعد، مثل Moodle،

وقد أُطلقت منصّة التدريب عن بُعد للأكاديمية (asbuacademy.net) في شهر جوان/يونيو 2018 بدرسٍ حول «صحافة الموبايل» متوفّر مجانًا باللغتين العربية والإنجليزية، قصد توسيع الفائدة من التكوين المستمر المفتوح مجاناً (وعلى مدار الساعة) على كلّ منصّات الاستقبال (حاسوب، لوحة، هاتف ذكي...)

كما نظّمت الأكاديمية في شهر يوليو 2018 دورة لتدريب المدرّبين مكّنت من اكتساب آليات منصّة Moodle وإنتاج دروس خاصّة بمنصّة الأكاديمية.

وحين تفشّت جائحة كورونا واضطرّت جميع مؤسسات التعليم والتدريب في العالم إلى اعتماد التدريب عن بُعد، وجدت أكاديمية الاتحاد رصيدًا جاهزًا من الدروس المتخصّصة أثرَت بها المنصّة، حيث تمكّنت الأكاديمية من إضافة درسٍ جديدٍ في كلّ شهر (مارس، أبريل، مايو، يونيو..) ليصل عدد الدروس المتوفّرة على المنصّة ستة دروس مجانية وهي :

- **صحافة الهاتف الجوّال باللغة العربية**
- **صحافة الهاتف الجوّال باللغة الإنجليزية**
- **الأسلوب الإخباري السمعي البصري**
- **بعض الأساسيات الهندسية والفنية في معالجة الصوت**
- **أخلاقيات المهنة الصحفية**
- **الشبكات الاجتماعية والتسويق**

ومن المقرّر أن ينطلق الدرس السابع حول «الذكاء الاصطناعي في خدمة الإنتاج السمعي البصري» مع بداية شهر سبتمبر 2020.

وتعيد الأكاديمية هذه التجربة الثرية في تنظيم دورة لتكوين المكوّنين (21 - 24 سبتمبر 2020) وقد أطلقت لذلك الغرض دعوة إلى تقديم مشاريع دروس عن بُعد منذ شهر أبريل 2020 (https://bit.ly/3jayQEw)

من جهة أخرى، تأقلمت الأكاديمية مع الرهانات التي فرضتها جائحة كورونا، وذلك بتعليق كلّ دوراتها التدريبية الحضورية مؤقّتا وتعويضها بدورات (online sessions) وندوات (Webinars) عن بُعد.

وفيما يلي برنامج هذه الأنشطة غير الحضورية خلال النصف الثاني من العام 2020.

ويتبيّن من كلّ هذا، أنّ رهان الأكاديمية في الخوض المُبكّر في تقنيات ومقاربات التدريب عن بُعد كان صائبًا.

جدول الندوات والدورات عن بعد لبقية سنة 2020

موضوع الدورة	الفترة	المدّة
ندوة في مجال تكنولوجيا الصوت	يونيو/يوليو	6 أيام
مرافقة الدرس عن بُعد "الأسلوب الاخباري السمعي البصري "	يوليو	يوم واحد
مرافقة الدرس عن بُعد "أخلاقيات المهنة الصحفية"	يوليو	يوم واحد
ويبنار حول الإضاءة والتصوير في الاستديوهات التلفزيونية *	يوليو	يومان
ورشة عمل حول الـDAB+ *	سبتمبر	ثلاثة أيام
تدريب المدرّبين على تطبيقة الـMoodle	سبتمبر	أربعة أيام
مرافقة الدرس عن بُعد "التسويق والشبكات الاجتماعية"	سبتمبر	يوم واحد
دورة تدريبية عن بُعد حول التصرف والقيادة في الموارد البشرية للصحافيين	أكتوبر	ثلاثة أيام
ويبنار حول تقنية الـIP في الأستديوهات الإذاعية *	أكتوبر	يوم واحد
ويبنار حول تقنية الـIP في الأستديوهات التلفزيونية	أكتوبر	يوم واحد
إنشاء محتوى جذاب باستخدام الأرشيف	أكتوبر	ثلاثة أيام
دورة تدريبية عن بُعد بعنوان: كيف تصبح إذاعيّ بودكاست	نوفمبر	ثلاثة أيام
ويبنار حول القياسات الرقمية للإشارة التلفزيونية SD/HD *	نوفمبر	يومان
ويبنار حول الأمن السيبراني *	ديسمبر	يومان
ويبنار حول تقنية الجيل الخامس *	*	*

* للإطلاع على تواريخ انعقاد هذه الدورات عن بعد يرجى زيارة موقع الاتحاد: www.asbu.net/academy/ar/

مستجدات في تكنولوجيات الاتصال

م.سفيان النابلسي
خبير في هندسة الإعلام والاتصالات

1 -هل تسحب تكنولوجيا البثّ البساط من القطاع الإعلامي؟

في سنة 1901، تمكّن ماركوني من صنع أوّل جهاز استقبال راديو لا سلكي بعد تطويره، وتمثّلت أهمّية الاختراع عام 1909 حين غرقت السفينة فيكتوريا واستطاعت الرسائل اللاسلكية أن تنقذ عددا من ركّابها، فقد استخدمت في طلب النجدة من السفن المجاورة، وفي العام نفسه، حصل ماركوني على جائزة نوبل.

سنوات طويلة على هذا الاختراع الذى غيّر سلوك البشرية، وأخذ كلّ هذه السنوات يتطوّر بشكل مذهل، حتى وصلنا إلى الإذاعات الرقمية التي اكتسحت النِّطاق الإعلامي في عدد كبير من الدول، خاصة في ألمانيا وبريطانيا والنرويج وسويسرا، وتنبّأ بعض الخبراء بقرب أفول الإذاعة التقليدية.

بداية الإذاعة الرقمية انطلقت منذ تسعينيات القرن الماضى، لكن التجارب الأولى لم تحقّق النجاح المرجو، إذ انتقل الناس من الإذاعة التقليدية إلى الرقمية بعيوب كثيرة، منها محدودية نطاق التغطية وقلّة وسائل الإرسال، ولهذه الأسباب فشلت التجارب الأولى .

الإذاعة الرقمية هي التي تعمل بتجهيزات تقنية مزوّدة بمنظومات رقمية متكاملة تعطي إمكانية كبيرة في تحسين جودة الصوت وتقديم خيارات جديدة تفاعلية مع المستمعين، بما تتيحه من خدمات إضافية، ليس فقط سمعية بل و أيضا بصرية .

وفي خضمّ الجدل الدائر حول مدى قدرة الإنترنت على السيطرة على القطاع الإعلامي والتواصلي، فمن المؤكّد أنه لم تعد هناك من وسيلة إعلامية تستطيع الاستغناء عن الإنترنت، ورغم حداثة تقنية البثّ الرقمي، فإنه تطوّر سريعا، على نحوٍ جعلنا نصِل إلى الجيل الثاني، الذي هو أكثر تطوّرا وأفضل جوْدة من الجيل الأول، إذ بات مُمكنا سَماع الإذاعة بعدّة صِيغ، بما في ذلك على جِهاز الجوّال.

في عام 2008، كانت آفاق الراديو تبدو قاتمة، مع ركود أعداد المستمعين للإذاعة، وتعرّض ذلك الوسط للتهديد بسبب الإنترنت، بعد مرور عشر سنوات أصبحت نسبة الاستماع للإذاعة تسجّل مستويات قياسية، لأنّ التوسّع في المنصّات الرقمية أحدث طفرة غير مسبوقة.

وفقا لشركة راجار (RAJAR Radio Joint Audience Research) التي تجمع بيانات عن المستمعين حول صناعة الإذاعة، استمع 48 مليون شخص بالغ في المملكة المتحدة لساعات من البثّ الإذاعي تقارب مليار ساعة خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من عام 2016، وخلال الفترة نفسها، تمّ إطلاق 170 محطة رقمية محلية وعلى مستوى البلد بأكمله، ما يجعل إجمالي عدد المحطات الرقمية في المملكة المتحدة يصل إلى 339 محطة.

وفي إحصائية جديدة صدرت في الربع الأول من هذا العام 2020، استمع 48 مليون شخص لساعات بثّ تقارب988 مليون ساعة خلال الربع الأول وبلغت النسبة 89%.

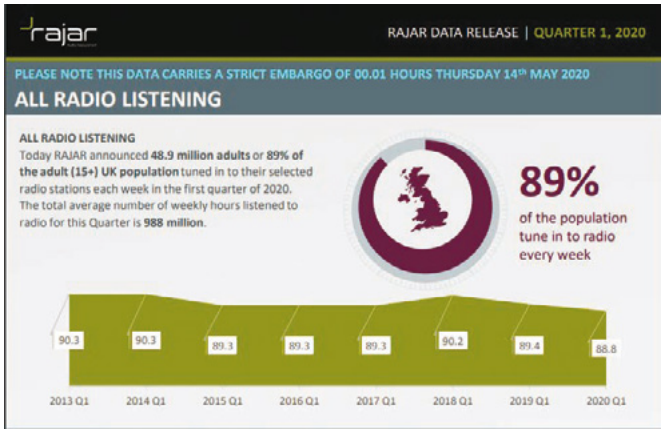

2- كورونا تقلب المقاييس

من اللافت للانتباه أنّ فيروس كورونا المستجد سبق عصرنا. وكلّ ما اعتدنا عليه منذ سنوات طوال حتى اليوم، فبعد اعتماد بروتوكول معيّن ضمن البرامج التلفزيونية واستراتيجات كلاسيكية، إنْ كان في الحوارات المباشرة أو المسجّلة في الأستوديوهات التلفزيونية، يأتي الفيروس التاجي ليرسم نموذجاً متطوّراً من الأساليب الحوارية وحلقات النقاش للمحافظة على توصيات منظمة الصحة العالمية، البقاء على مسافة من الأشخاص وتطبيق التباعد الاجتماعي، عمدت المحطات التلفزيونية في المقابل إلى استغلال خدمات مواقع التواصل الاجتماعي والتطبيقات الذكية، سيما سكايب للتواصل مع الضيوف، بدلاً من دعوتهم إلى الأستوديو شخصيًا، وبالتالي إجراء المقابلة معهم عبر أثير العالم الافتراضي. أمّا البرامج التي كانت تتضمّن عدداً من المقدّمين من 3 أو أكثر! فتحتّم عليها التوقّف عن البثّ.

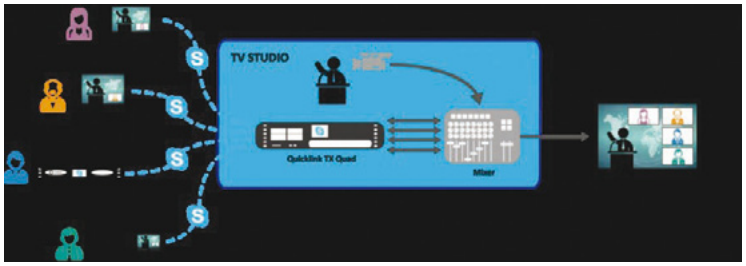

Send & Receive Skype

إذ توقَّفَ البثّ عبر الشاشة التلفزيونية، لكن ليس عن شاشة الهواتف والحواسيب. فإنّ خدمة البثّ المباشر التي توفّرها أغلب المنصّات الاجتماعية إنستغرام لايف، فايسبوك لايف سمحت لهذا النوع من البرامج باستكمال جدول بثّها الأسبوعي، فليس على المقدِّم سوى الاتصال بالإنترنت من منزله، ثمّ يختار البثّ المباشر من التطبيق الذي يريد (فايسبوك، إنستغرام)، فيتابع الـمُشاهد الحوار من منزله بصورة طبيعية. وهذه الطريقة ساعدت على تلقّي ضيوف أكثر من أماكن مختلفة في ذات الوقت.

حتى مراسلو نشرات أخبار المحطات المحلّية والعالمية، استفادوا من التكنولوجيا أيضاً وراحوا يُعدّون التقارير من منازلهم وإرسالها إلى غرف التحرير عبر التطبيقات الذكية، كذلك حافظوا على الإطلالات التلفزيونية عبر سكايب أو تسجيلها وإرسالها في ما بعد، كلّ ذلك لتفادي الازدحام.

3 - ما المقصود بالتلفزيون 8K

التلفزيون 8K هو تلفزيون يحتوي على شاشة مميّزة بعدد وحدات بكسل تبلغ 7680 أفقيًّا و4320 رأسيًّا، ما مجموعه 33 مليون وحدة بكسل على وجه التقريب. ويشير الحرف "K" في 8K إلى "كيلو" (أي 1000 وحدة)، ممّا يعني أنّ دقة هذا التلفزيون الأفقية تبلغ قرابة 8000 بكسل.

يشتمل التلفزيون 8K على أعلى دقة تمّ طرحها في الأسواق مؤخرًا بين أجهزة التلفزيون ذات الوضوح العالي الفائق (UHD). فمن خلال توفير وحدات بكسل أكثر بأربعة أضعاف من وحدات بكسل أجهزة التلفزيون 4K - التي هي نوع آخر من أنواع الأجهزة ذات الدقة (UHD)، يعرض التلفزيون 8K جودة صور أكثر دقة ووضوحًا وتفصيلاً. والسبب في ذلك يرجع إلى أنه في أجهزة التلفزيون 8K، تكون وحدات البكسل صغيرة للغاية ولا يمكن تمييزها حتى عند الاقتراب منها بشدّة، ممّا يساعد على جعل الصور عالية التفاصيل حقيقة يستمتع بها المشاهد.

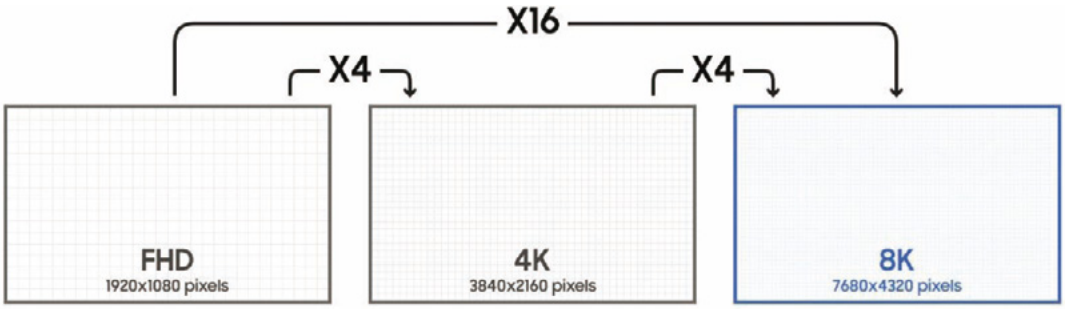

إنَّ الدقة في أجهزة تلفزيون 8K أعلى بأربعة أضعاف عن الدقة في أجهزة تلفزيون 4K UHD، وبـ 16 ضعفًا عن أجهزة تلفزيون Full HD. وتعني الدقة الأعلى أنّ الشاشة تتكوّن من وحدات بكسل أكثر. وبمعنى آخر، في أجهزة التلفزيون ذات الحجم نفسه، تكون وحدات البكسل أكثر كثافة في المساحة ذاتها، ممّا يسمح بعرض صور أكثر تطوّرًا وواقعية. ويوفّر ذلك شعورًا غامرًا بالانغماس عندما تشاهد التلفزيون.

كلّ أجهزة التلفزيون 8K مُزوّدة بتقنية الارتقاء بمستوى الذكاء الاصطناعي ؛ ومع ذلك، تنفّذ كلّ شركة من شركات تصنيع التلفزيون التقنيات الخاصة بها وحدها لإنتاج صور مرئية ذات جودة تشبه جودة الـ 8K.

وتستخدم تقنية الارتقاء بمستوى الذكاء الاصطناعي هذه أسلوبَ عملٍ يقوم بجمع نطاق واسع من سمات المحتوى حسب النوع ويتعلّمه، ثمّ يقوم بتخزينه في قاعدة بيانات. وبعد ذلك، تستخدم التقنية قاعدة البيانات تلك لمعالجة أنواع الصور المشابهة مرّة أخرى، ممّا يتيح تنفيذ عملية الارتقاء بالمستوى على نحوٍ أكثر تطوّرًا بكثير. ونظرًا إلى الأهمّية البالغة للارتقاء بالمستوى وإتاحة العديد من الخيارات، ينبغي ألاّ تغفل عن المقارنة بين الخيارات للوصول إلى أفضل اختيار.

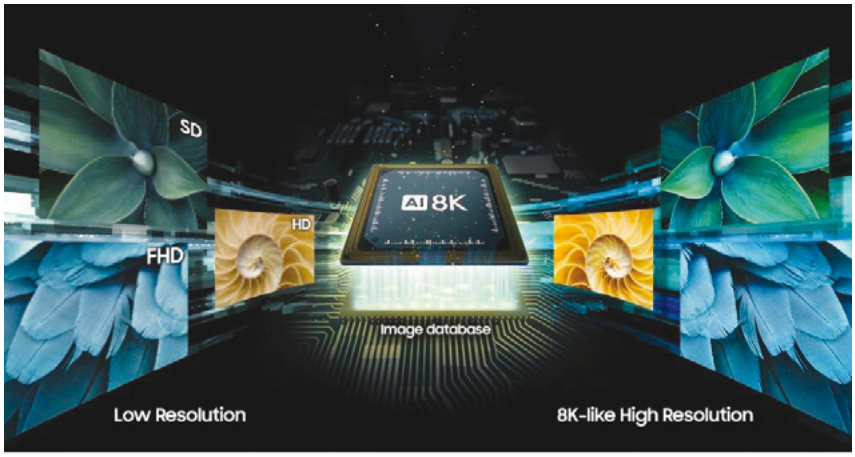

المصطلح المُستخدم لوصف عدد وحدات البكسل في مساحة معيّنة هو "عدد وحدات البكسل في كلّ بوصة (Pixels Per Inch - PPI) وبطبيعة الحال، كلّما ارتفع عدد الـ PPI ازدادت كثافة وحدات البكسل. وبشكل نموذجي، يجب أن يكون عدد الـ 50 PPI وحدة على الأقل أو أكثر لكي تتمكّن من الاستمتاع بمختلف أشكال محتوى الفيديو. وبناءً على ذلك، ففي التلفزيون 8K مقاس 75 بوصة، يبلغ عدد الـ(117 PPI) وحدة، بينما في التلفزيون 4K والتلفزيون FHD، يبلغ عدد وحدات الـ(59 PPI) وحدة و29 وحدة على التوالي.

4 - مظاهر التكنولوجيا في مجال الإذاعة والتلفزيون

تتعدّد التغييرات التي حدثت على الإذاعة والتلفزيون بسبب دخول التكنولوجيا، فقد تغيّرت بنية العمليات الاتصالية، وأصبح البثّ أقوى في جميع مناطق العالم، فتمّ استخدام الأجهزة التي تقوّي البثّ، ممّا جعل بالإمكان نقل المعلومات من أبعد الأماكن، كما تمّ الاعتماد على الأقمار الصناعية لنقل المعلومات، وبات بالإمكان نقل المعلومات واستقبالها من داخل الحدث، وذلك بسبب تطوّر وسائل الاتصال ووجود شبكة الإنترنت التي استطاعت ربط مناطق العالم معًا. كما تمّ إدخال خيارات التفاعل المباشر من قبل المشاهدين

والمستمعين، حيث يشعر المشاهد أو المستمع في بعض البرامج أنه هو مَن اختار المادة التي تُعرض، كما وقع اللجوء إلى الحاسب المتطوّر في تخزين المعلومات ومعالجتها وفق المطلوب، وإخراجها للمشاهد أو المستمع بشكلٍ جذّابٍ ومحبّبٍ، وقد تمّ التواصل معهم للحصول على التغذية الراجعة حول ما يرغبون وما يفضّلون من برامج، وهذا أدّى إلى تطوّر الإذاعة والتلفزيون، وأدّى امتزاج وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية في الاتصال مع تكنولوجيا الحاسب إلى خلق برامج تتيح القدرة على طباعة الكلمات على شاشة التلفزيون.

وأدّى ظهور خدمات التلفزيون التفاعلي Interactive Television عن طريق (الكابل) الذي يتيح القدرة على التواصل بشكلٍ مباشر بين المستقبِل والمرسِل في آن واحدٍ، والحصول على العديد من الخدمات مثل: خدمات البنوك والخدمات الطبية، كما أنّ هذا الكابل يقدّم أكثر من مائة قناة تلفزيونية يمكن للمشاهد الحصول عليها بتقنيةٍ متطوّرة.

لم يقتصر التطوّر التكنولوجي على تحسين نوعية الخدمات المقدّمة في الإذاعة والتلفزيون وإنما جرت تحديثات وتطويرات على جهاز المذياع والتلفزيون نفسه، فأصبحنا نجد الشاشات الرقيقة والصغيرة بدلاً من التلفزيون ذي الحجم الكبير، ويمكن للشخص اختيار الحجم المناسب من هذه الشاشات، بما يتلاءم مع رغبته، وصار بالإمكان مشاهدة محطات التلفزيون على الهاتف المحمول، وكذلك المذياع، فأصبحت الخدمة متوفرةً في جميع الهواتف الخلوية والأجهزة الإلكترونية المختلفة.

أمّا الاستوديو الافتراضي Virtual Studio فهويمزج بين أجزاء الصورة الحقيقية، كالأشخاص مثلا مع أجزاء الصورة الخيالية، من مناظر يتمّ تصنيعها ثمّ تخزينها بالكومبيوتر.

وفي الأستوديو الافتراضي حوائط وأرضيات تكون أحـادية اللون، إمّا أزرق فاتح ، وإمّا أخضر فوسفوري، وإمّا أحمر فاتح، ليمكن فصل صورة المذيع أو أيّ شخص ووضعه في خلفية من بيئة يقع اختيارها وتركيبها بالكومبيوتر.

والأستوديو الافتراضي جعل إنشاء قناة تليفزيونية شيئًا سهلاً، فكلّ البرامج والنشرات تتغيّر ديكوراتها وألوانها بسهولة، مع أنها تتعامل مع صـور عالمية متباينة، والمسلسلات وكلّ المواد الإعلامية يجري تصويرها مع ادّخار كبير في المال والوقت، كما يوفّر الأستوديو للتليفزيون مـرونة، إضافة معلومات ورسائل وصور مباشرة إلى الصور التي يتمّ إذاعتها.

5 - أستوديو من نوع مختلف يجعل المستحيل ممكنا

أوّل أستوديو جديد تحت الماء افتتح ببلجيكا في مسبح عمقه تسعة أمتار، وقد أقيم خصّيصا ليكون أستوديو للتصوير السينمائي. ويتضمّن الأستوديو أرضية متحرّكة، وهو ما يعني أنّ بالإمكان بناء أماكن للتصوير على الأرض، ثمّ إنزالها إلى المياه. وتقوم رافعات على جوانب المسبح برفع القوارب وغيرها من المعدّات، كما يوجد عاملون لتدريب الممثّلين.

حيث صوّر المخرج (يواكيم هيدن) مشاهد من أحدث أفلامه « تحت السطح» أثناء عاصفة ثلجية في القطب الشمالي، لكن فكرة إنزال الممثّلين وطاقم العمل في مياه متجمّدة كانت مستبعدة. ولحسن حظّه كان لديه خيار آخر

6- أيهما أفضل.. الكاميرا الرقمية أم كاميرا الهاتف المحمول؟

تتطوّر الهواتف المحمولة بشكل مستمر، وتقدّم الشركات ميزات جديدة في كلّ هاتف حديث تطرحه في الأسواق، وعلى رأس هذه الميزات يأتي تطوّر الكاميرا الخاصة بالهواتف المحمولة.

كما غدت مهرجانات السينما تخصّص جوائز للأفلام القصيرة المصوّرة بالهواتف المحمولة، وأفردت مهرجانات خاصة لهذا النوع من الأفلام، تُعرف باسم "مهرجانات سينما الموبايل".

رغم ذلك، لا تزال الكاميرا الرقمية الاحترافية مرغوبة أكثر للتصوير، حتى على مستوى صور البورتريه، مع إمكانية التحكّم في عدساتها والوصول إلى دقة أعلى للصورة.

مبدأ التقاط الصورة في الهاتف المحمول والكاميرا الرقمية واحد، وهو إدخال الضوء إلى الجهاز وانعكاسه على "حساس" أو "sensor" الكاميرا، لتتمّ معالجتها، إلا أنهما تختلفان في العديد من النواحي التقنية.

أوّل الفوارق التقنية بين كاميرا الهاتف المحمول والكاميرات الرقمية هو فتحة العدسة، أي كمّية الضوء التي تدخل إلى المعالج عن طريق العدسة.

الكاميرات الرقمية تعطي خيارات أكثر لإمكانية تبديل العدسات، وهنا تبرز أهمّية العدسات التي توفّر خيارات أكثر للمستخدم، خاصة فيما يتّصل بالجانب الاحترافي.

وكذلك الأمر في إعدادات الكاميرا نفسها، والتي تقدّم للمستخدم عدّة أنماط للتصوير تناسب المكان والإضاءة المتوفّرة فيه، فيما لا تستطيع الهواتف المحمولة الحديثة تقديم هذه الميزات دائمًا، رغم أنها توفّر إمكانية التحكّم في بعض الإعدادات.

ويظهر هذا الاختلاف أثناء التصوير في الأماكن المظلمة، أو المناسبات في الأماكن المغلقة، ويشير موقع "لاند تك"، المتخصّص في التكنولوجيا،إلى تفوّق الكاميرات الاحترافية في هذا المجال. ويفسّر ذلك ارتباط فتحة العدسة بسرعة الغالق shutter speed، وعلى اعتبار أنّ سرعة الغالق أقلّ في الهواتف المحمولة، تتأثّر جودة الصورة النهائية بشكل مباشر. الغالق في الكاميرا هو المسؤول عن المدة الزمنية التي يدخل فيها الضوء عبر العدسة إلى الكاميرا، حيث يمكن التحكّم بسرعة الغالق في الكاميرات الاحترافية بشكل كامل، بعكس كاميرات الهاتف المحمول، التي يبقى التحكّم فيها بالغالق محدودًا.

أيهما أكثر ملاءمة للأعمال الصحفية؟

لم يعد الصحافيون الميدانيون حول العالم مضطرّين إلى حمل الكاميرات الحديثة أثناء التغطيات الصحفية، نظرا إلى وجود كاميرات الهاتف المحمول، خاصة في التظاهرات والأحداث الساخنة التي تتطلّب سهولة الحركة.

إذ توفّر كاميرات الهاتف المحمول صورة بدقة جيّدة تناسب عمل المواقع الإلكترونية، وحجم ملفّات أصغر يمكّن المستخدم من إرسالها بشكل مباشر، وبسرعة أكبر إلى الجهات الإعلامية التي يتعامل معها. وكذلك على الصعيد الشخصي لنشر الصور والمقاطع المصوّرة على وسائل التواصل الاجتماعي.

كما توفّر الهواتف الحديثة إمكانية تحرير وتعديل المقاطع المصوّرة مباشرة عبر تطبيقات مخصّصة، وهو ما يوفّر وقتًا إضافيًا في كثير من الحالات الطارئة.

في حين تستمرّ شركات الإنتاج في استخدام الكاميرات الرقمية لتصوير المسلسلات أو البرامج والمؤتمرات الصحفية.

الإعلام بين هيمنة الحكومات وسطوة رأس المال
الإعلام المصري نموذجا

الأستاذ حسن حامد
خبير دولي في الإعلام والاتصال

المقدّمة :

إنّ المقصود بالإعلام في هذا المقال هو الإعلام الإذاعي التقليدي بشقّيه المرئي والمسموع.

وعلى عكس ما يعتقد أو يظنّ كثيرون، فقد ولد الإعلام الإذاعي على يد القطاع الخاص، الذي استأثر بموجات الأثير الوليدة، في معظم الدول التي شهدت مولد الإذاعات، ضمن الابتكارات التي خرجت إلى النور، بوتيرة متسارعة، في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، والسنوات الأولى من القرن العشرين. ولم تكن مصر استثناء من أحداث تلك الحقبة من التاريخ، ولذلك انتشرت فيها في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينات من القرن الماضي، العديد من محطات الإذاعة الأهلية التي كان يمتلكها أفراد، وكانوا يذيعون بعض الأخبار والبيانات والإعلانات التي تخدم مصالحهم الشخصية، ويروّجون لبضاعة محالّهم بالصورة التي تحلو لهم.

وقد استشعرت الحكومة أهمّية هذا الجهاز الجديد، وخطورة ما يملكه من قدرات إعلامية، فلجأت في البداية إلى تنظيم العمل في هذه المحطات، وضرورة الحصول على تراخيص لمباشرة هذا العمل. وتعلّلت الحكومة في القيام بهذه الخطوة لما ذكرته من وجود فوضى شديدة في هذا المجال، وأنه لابدّ لها من ضبط الأمور. ولكنها عادت وألغت كلّ التصاريح الصادرة للمحطات الإذاعية، فيما عدا التصريح الخاص بجهة واحدة، وهي الجهة الحكومية التي أنشأت هيئة الإذاعة المصرية وأوكلت في البداية أمر إدارتها وتشغيلها إلى شركة ماركوني البريطانية لمدّة عشر سنوات. وفي الحادي والثلاثين من مايو عام 1934 انطلق أوّل إرسال للإذاعة المصرية الرسمية التي احتكرت البثّ الإذاعي في مصر ، والذي بدأته

بساعات محدودة ولكنها تطوّرت عبر السنين، لتصبح مؤسسة ضخمة تبثّ يوميا مئات الساعات من الإذاعات المسموعة والمرئية. وقد انضمّ التلفزيون إلى الإذاعات المسموعة اعتبارا من عام 1960 وتوحّدت الهيئتان في كيان واحد بمسمّى اتحاد الإذاعة والتلفزيون.

واستمرّ الاتحاد الجديد في التمتّع بالانفراد بالساحة الإعلامية دون مزاحمةٍ من أيّ طرف، إلى أن دخلت مصر عصر الفضاء والسماوات المفتوحة، وتغيّرت بذلك الأحوال، وهذا هو ما نرصده في هذا المقال الذي **يتابع مسيرة الإعلام المصري المرئي والمسموع في ظلّ التحوّلات الكبيرة التي شهدها الإعلام الإقليمي والدولي، مع إلقاء نظرة على بعض النظريات الإعلامية التي تشرح الاتجاهات الإعلامية المختلفة ومجال حركتها الحيوي.**

الإعلام المصري: البدايات وتطورها

منذ ميلاد الإعلام الرسمي في مصر، أي في 31 مايو 1934، تاريخ إنشاء الإذاعة المصرية، والإعلام المسموع، ومن بعده الإعلام المرئي، يخضع لسيطرة الحكومة. ولم يقف الأمر عند سيطرة الحكومة على الإعلام الرسمي، ولكنها جعلت البثّ المرئي والمسموع، حكرا على الهيئات التابعة لها. وقد نصّت الحكومة في قانون إنشاء اتحاد الإذاعة والتلفزيون، وهو القانون رقم 13 لسنة 1980 على أنّ هذا الاتحاد يملك وحده، دون غيره، حقّ الإذاعة بشقّيها المرئي والمسموع في مصر. ومع دخول العالم عصر الفضاء الذي تواكب مع الانفجار الإعلامي الذي حدث في فترة الثمانينات من القرن الماضي، وقيام دول العالم الغربي بإلغاء عمليات التنظيم الإعلامية، الأمر الذي أدّى إلى تحرير الإعلام وخروجه من الهيمنة الحكومية في كثير من دول العالم. وقد ألقت هذه التحرّكات العالمية بظلالها على الإعلام المحلّي. إلّا أنّ الأمر لم يصل إلى حدّ تحرير الإعلام، كما حدث في كثير من دول العالم. فقد أدّى هذا الكمّ الإعلامي إلى قيام مصر بالسماح للقطاع الخاص بامتلاك محطات خاصة. ولـمّا كانت هذه الخطوة تتعارض مع القانون رقم 13 المشار إليه آنفا، تقرّر إنشاء منطقة إعلامية حرّة في مدينة الإنتاج الإعلامي التي شيّدها اتحاد الإذاعة والتلفزيون، لاستيعاب الأنشطة الإعلامية المتزايدة، وخاصة في مجال الدراما والبرامج الضخمة.

وهكذا أمكن إدخال القطاع الخاص في النشاط الإعلامي، متمتّعا بقانون المناطق الحرّة، ودون أن يتعارض ذلك مع القوانين السارية في البلاد. وهكذا ظهرت قنوات (المحور) و(دريم)، كأوّل قنوات مصرية فضائية خاصة يملكها اثنان من كبار رجال الأعمال المصريين، الذين انضمّوا إلى قائمة طويلة من المستثمرين الخليجيين والعرب الآخرين، الذين دخلوا عصر الفضاء من أوسع أبوابه، والذي أتاحته الأقمار الصناعية.

كانت مصر في طليعة الدول العربية في استخدام القمر الصناعي العربي عرب سات حينما استأجرت القناة غزيرة الإشعاع الوحيدة المتاحة للإرسال التلفزيوني المباشر على هذا القمر العربي. كما ساهمت مصر في تعزيز الوجود العربي في عصر الفضاء، بإطلاقها القمر الصناعي المصري نايل سات الذي كان أوّل أقمار المنطقة في استخدام التقنية الرقمية. وقد ساهمت هذه التقنية في الانفجار الإعلامي الذي أتاح مئات القنوات على القمر الواحد. ونتيجة لذلك، ظهرت قنوات عربية بالمئات، والتي سرعان ما أصبحت بالآلاف مع توفّر أقمار أخرى تغطّي المنطقة، إلى جانب القمريْن المصري والعربي، وأبرزها آنذاك القمر الأوروبي يوتلسات. وكان من نتيجة ذلك أن تحوّلت المنطقة العربية إلى سوق هادرة تموج بكلّ ألوان الإعلام الغثّ والسمين، وتدفّقت رؤوس أموال من كلّ حدب وصوب لتحقيق أغراض متباينة لأصحاب الأجندات المختلفة، الأمر الذي أعاد إلى الأذهان البدايات الأولى للراديو في أوائل الثلاثينات من القرن الماضي.

كان الإعلام الحكومي أشدّ المتضرّرين من الوضع الجديد. فأوّلا، ضاعت منه ميزة الانفراد بالساحة الإعلامية كهيئة وحيدة يحقّ لها ممارسة العمل الإعلامي. وتبع ذلك فَقْد جزء هام من دخله الإعلاني الذي شاركته فيه القنوات الفضائية الجديدة، والتي تجيد التعامل بمنطق السوق وأدواته. كما قامت هذه الفضائيات باجتذاب الكوادر المتميّزة من العاملين في اتحاد الإذاعة والتلفزيون للعمل بها بإغرائهم بمرتّبات فلكية لا يمكن للقطاع الحكومي أن يجاريها أو يقترب منها، نظرا إلى خضوعه للقوانين واللوائح الحكومية التي تكبّل حركته وتضع حدودا قصوى لكلّ مستوى وظيفي ولا يمكن تجاوزه. هذا فضلا عن بيئة العمل التي تتّسم بالديناميكية والحركة في القطاع الخاص، بما يُغري الشباب بالإسراع في الانضمام إليه.

وقد أدى فرض اللوائح الحكومية على العاملين في الإعلام الرسمي إلى البطء الشديد في اتخاذ القرار، وهو الأمر الذي يتعارض تماما مع الديناميكية التي يتطلّبها العمل الإعلامي.

ومنذ إنشاء المنطقة الإعلامية الحرّة، أوكل إلى هيئة الاستثمار أمر إصدار التراخيص للقنوات الفضائية ومتابعة عملها، بما في ذلك التزامها بمواثيق الشرف الإعلامية وقواعد الهيئة المنظّمة لإنشاء هذه القنوات. وقد مثّل ذلك عبئا على هيئة الاستثمار التي تتعامل أساسا مع مشاريع تجارية وصناعية ولا علاقة لها بالنشاط الإعلامي الذي يتّسم بالحساسية والخطورة. وقد واكب ذلك إلغاء منصب وزير الإعلام في شهر يونيو 2014، ممّا ترك فراغا في الساحة الإعلامية لم تقدر على ملئه المجالس الإعلامية التي استحدثها دستور 2014 لتولّي شؤون الإعلام. ونتعرّف في السطور التالية على هذه المجالس :

■ المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام

هيئة مستقلّة تتمتّع بالشخصية الاعتبارية والاستقلال الفني والمالي والإداري، وموازنتها مستقلة. ويختصّ المجلس بتنظيم شؤون الإعلام المسموع والمرئي، وتنظيم الصحافة المطبوعة، والرقمية وغيرها. ويكون المجلس مسؤولا عن ضمان وحماية حرّية الصحافة والإعلام المقرّرة بالدستور، والحفاظ على استقلالها وحيادها وتعدّديتها وتنوّعها، ومنع الممارسات الاحتكارية، ومراقبة سلامة مصادر تمويل المؤسسات الصحفية والإعلامية، ووضع الضوابط والمعايير اللازمة لضمان التزام الصحافة ووسائل الإعلام بأصول المهنة وأخلاقياتها، ومقتضيات الأمن القومي، وذلك على الوجه المبيّن في القانون.

الهيئة الوطنية للصحافة

هيئة مستقلّة تقوم على إدارة المؤسسات الصحفية المملوكة للدولة وتطويرها، وتنمية أصولها، وضمان تحديثها واستقلالها، وحيادها، والتزامها بأداء مهني، وإداري، واقتصادي رشيد.

الهيئة الوطنية للإعلام

هيئة مستقلّة تقوم على إدارة المؤسسات الإعلامية المرئية والإذاعية والرقمية المملوكة للدولة، وتطويرها، وتنمية أصولها، وضمان استقلالها وحيادها، والتزامها بأداء مهني، وإداري، واقتصادي رشيد.

عودة وزير الإعلام

بعد غياب دام خمس سنوات، وفي الثاني والعشرين من ديسمبر 2019، أعاد التعديل الوزاري الذي جرى في مصر وزير الإعلام إلى الصورة، حيث عيّن السيد أسامة هيكل وزير الإعلام الأسبق وزير دولة للإعلام، ومن غير المعروف فرص نجاح هذه التجربة في ظلّ الهيئات الثلاث التي تشكّلت بموجب دستور 2014، وهي كما رأينا هيئات مستقلّة تتمتّع بكامل سلطات الإشراف على الإعلام المرئي والمسموع الأرضي والفضائي وعلى الصحف الرسمية والخاصة في مصر.

الإعلام والسياسة

يتأثّر الإعلام في كلّ دول العالم بطبيعة النظام السياسي السائد في الدولة. فإذا ما كان نظام الدولة ديمقراطيا، اتخذ إعلامها النهج الليبرالي أو الحرّ. وإذا كان نظام الدولة اشتراكيا أو ما شابه ذلك من الأنظمة جاء إعلامها سلطويا. وهكذا نجد أنّ الإعلام يعبّر بصدق عن طبيعة النظام السياسي في الدولة. وفي التجربة المصرية، كانت هناك دائما ثنائية تفرّق ما بين الصحافة المطبوعة والإعلام الإذاعي. فبينما كانت الصحافة المطبوعة تتمتّع بقدر كبير من الحرّية، كانت الحكومات المتعاقبة تسيطر تماما على الإذاعة والتلفزيون. وهناك فارق واضح في وضع الإعلام بمصر في الفترة من بدايات القرن العشرين، وحتى عام 1952، أي قبل قيام ثورة 52 بقيادة جمال عبدالناصر، حيث كان نظام الحكم ديمقراطيا يقوم على التعددية السياسية، وبالتالي غلب الطابع الليبرالي على الصحافة والإعلام. وفي سنوات ما بعد الثورة، كان الإعلام سلطويا بامتياز، وظلّ كذلك مع تفاوت الدرجات وفق طبيعة وتوجّهات الحكم قربا أو بعدا من النظام الديمقراطي.

أولى قادة ثورة يوليو 52 أهمّية كبيرة للإذاعة منذ اللحظة الأولى لقيام الثورة، حيث حملت موجات الأثير البيان الأول لقيام الثورة، وواكبت الإذاعة الأحداث السياسية الكبرى التي وقعت بمصر في فترة الخمسينات، وأبرزها تأميم قناة السويس، والعدوان الثلاثي الذي قامت به بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر، وخطاب جمال عبدالناصر في الجامع الأزهر الذي جاء فيه رفض الاستسلام، وأعلن أننا سنقاتل حتى النهاية .

كما استخدمت مصر الناصرية الإذاعة في النضال ضد الاستعمار في المنطقة العربية وأفريقيا وتأييد حركات التحرّر في أيّ مكان من العالم. وكان لإذاعة صوت العرب التي أنشئت في عهد الثورة دور كبير في هذا النضال، ولكن هذا الدور أصيب في مقتل مع النكسة التي حدثت في حرب يونيو 1967 .

وفي تطوّر استهدف إصلاح الإعلام المرئي والمسموع في عام 1970 على يد الأستاذ محمد حسنين هيكل الذي كان يشغل منصب وزير الإعلام آنذاك، جرى إنشاء اتحاد الإذاعة والتلفزيون على نسق هيئة الإذاعة البريطانية، وتضمّن قرار الإنشاء أن تكون السلطة العليا في الاتحاد لمجلس أمناء يُختارون من بين الشخصيات العامة ذات المشاركة الفعّالة في النشاط الفكري والديني والفنّي والثقافي، ويصدر بتعيينهم قرار من رئيس الجمهورية. ويرى الأستاذ الدكتور فاروق أبوزيد في كتابه (الإعلام والسلطة) أنّ إنشاء الاتحاد بالشكل الذي ظهر به كان نموذجا عمليا لأسلوبٍ من التفكير الذي لا يتماشى مع الواقع. ويفسّر ذلك بأنه لا يمكن نقل نموذج إذاعي نما وتطوّر في ظلّ أعرق نظام إعلامي ديمقراطي إلى بيئة إذاعية يحكمها نظام إعلامي سلطوي. وفي ضوء ذلك جرى تعديل القانون أكثر من مرّة، وكانت أبرز التعديلات، تلك التي انتقصت من صلاحيات مجلس الأمناء، ففي البند السادس من القانون المعدّل جاء ما يلي : (الالتزام بإذاعةِ ما تطلب الحكومة إذاعته رسميا، وكلّ ما يتّصل بالسياسات العامة للدولة والمبادئ والمصالح القومية العليا).

وقد شهد النظام الإعلامي المصري في عهد الرئيس السادات، بداية التحوّل من النظام السلطوي إلى النظام الديمقراطي، ونظرا إلى أنها كانت مرحلة تحوّل، فإنها، شأن كلّ مراحل التحوّل التي تحمل سمات المجتمع القديم، إلى جانب سمات المجتمع الجديد، لذا فإنّ النظام الإعلامي المصري في عهد الرئيس السادات كان نظاما مختلطا بين السّمات السلطوية والسمات الديمقراطية، مع غلبة السّمات السلطوية كما يقول الدكتور أبوزيد.

وخلال فترة الرئيس السابق حسنى مبارك، فتح اتحاد الإذاعة والتلفزيون الطريق أمام تملّك القطاع الخاص لجزء من أنشطته، بطرح أسهم الشركة المصرية للقنوات الفضائية، والشركة المصرية للأقمار الصناعية والشركة المصرية لمدينة الإنتاج الإعلامي في البورصة، كما تمّ السماح للقطاع الخاص بإنشاء وتملّك قنوات فضائية خاصة. وكان لظهور هذه القنوات تأثير كبير في تعميق التأثير المختلط للإعلام (المصري في رحلته عبر الزمن والتي مازلنا نعيشها حتى اليوم.

الإعلام وقضايا التمويل

يعتمد الإعلام العام بالأساس على التمويل الذي يحصل عليه من الجمهور العام على شكل رسوم رخص تحصل نظير التمتّع بخدمات الراديو والتلفزيون العموميّين. ومنذ بداياتها الأولى والإذاعة المصرية كانت تحصل على رسوم رخص من أصحاب أجهزة الراديو. وتبعها التلفزيون في ذلك مع بداياته.

ولكن الحكومة في عهد الرئيس جمال عبد الناصر ألغت رسوم التلفزيون وحوّلت رسوم الراديو إلى رسم يحصل مع فاتورة الكهرباء ، بعد أن كان يحصل مباشرة في هيئة الإذاعة. واستمرّ الوضع كذلك حتى يومنا هذا، رغم أنّ التضخّم المالي جعل هذا الرسم الذي لا يتجاوز الملّيمات، بلا قيمة حقيقية. ويعتمد اتحاد الإذاعة والتلفزيون في موازنته على ما تقدّمه له الدولة ممثّلةً في وزارة المالية من اعتمادات سنوية، ونظرا إلى أنها لا تكفي احتياجاته، فإنه يلجأ إلى القروض التي زادت ووصلت مؤخّرا إلى أرقام بالمليارات. وإلى جانب ما توفّره الدولة من أموال، يعتمد الاتحاد أيضا على الدخل من الإعلانات ومن مبيعات المواد التي ينتجها، وفي مقدّمتها المسلسلات الدرامية. والمعروف أنّ الهيئات المماثلة للاتحاد المصري، ومنها هيئة الإذاعة البريطانيةBBC وهيئة الإذاعة والتلفزيون اليابانيةNHK تعتمد في تمويلها أساسا على رسوم الرخص التي تحصلها مباشرة من الجمهور. أمّا محطات التلفزيون الخاصة فإنها تعتمد أساسا في تمويلها على ما تبثّه من إعلانات تجارية ومن الرعاة الذين يوفّرون الرعاية لبرامج هذه القنوات. وتبلغ قيمة الرسم الذي تحصل عليه هيئةBBC من كلّ مشاهد حوالي 145 جنيه إسترليني سنويا، ويوفّر لها ذلك دخلا يبلغ حوالي ثلاثة مليارات و700 مليون جنيه إسترليني سنويا، كما تحصل على دخل سنوي من نشاطها التجاري يبلغ حوالي مليار و300 مليون جنيه إسترليني ، وبذلك تبلغ موازنتها السنوية حوالي خمسة مليارات جنيه استرليني. وعلى الرغم من ضخامة هذا الرقم، فإنّ هذه الهيئة البريطانية تعاني من تزايد النفقات وتلجأ إلى التقشّف والاستغناء عن بعض الكوادر بين الحين والآخر لعلاج مشاكلها المالية.

وتثير القنوات الخاصة دائما اعتراضات على حصول القنوات العامة على رسوم الرخص، وتطالب بمعاملتها بالمثل. وتقول إنها تقوم بخدمة الجمهور العام بنفس الجودة التي تقدّمها القنوات العامة ، وربما بصورة أفضل. وبطبيعة الحال فإنّ التعميم غير وارد في مثل هذه الحالات، لأنه لا توجد قناة عامة مثل أيّ قناة أخرى، ولا أيّ قناة خاصة مثل قناة خاصة أخرى. وفي الآونة الأخيرة وجّهت اتهامات إلى عدّة قنوات عامة، وبينها قناة BBC التي توضع دائما على رأس القنوات العامة.

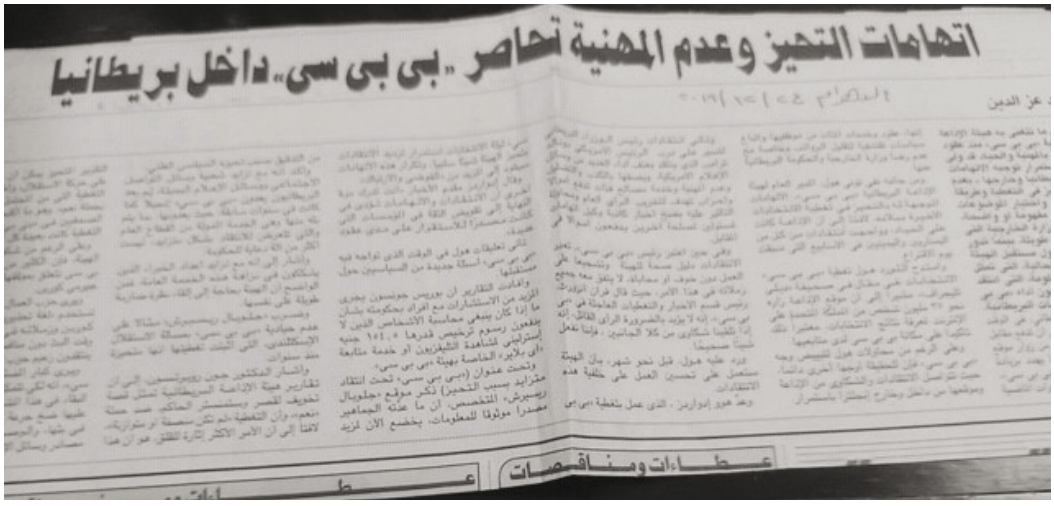
اتهامات التحيز وعدم المهنية تحاصر «بي بي سي» داخل بريطانيا

اتهامات التحيز وعدم المهنية تحاصر BBC

تحت هذا العنوان، نشرت صحيفة الأهرام القاهرية مقالا بقلم محمد عزالدين جاء فيه، أنه يبدو أنّ ما تتغنّى به هيئة الإذاعة البريطانية منذ عقود من ادعاءات بالمهنية والحياد قد ولّى عهده، مع استمرار توجيه الاتهامات إليها، داخل بريطانيا وخارجها، بعدم الحيادية والتحيّز في التغطية وطريقة عرض الأخبار واختيار الموضوعات، لخدمة أهداف غير مفهومة أو واضحة، حتى بالنسبة إلى وزارة الخارجية التي تموّلها منذ سنوات طويلة، بينما تدور مناقشات برلمانية حول مستقبل الهيئة بطريقة عملها الحالية، التي تمثّل إحراجا حقيقيا للحكومة، التي انتقد رئيسها بوريس جونسون أداء BBC في تغطية الانتخابات البريطانية. ولوّح رئيس الوزراء البريطاني في الوقت نفسه، بورقة الرسوم التي ينبغي أن تُدفع مقابل الخدمات التي يحصل عليها كلّ من زوّار موقع الإذاعة، والهيئة نفسها، وهو ما يهدّد بزيادة الأزمة المالية المزمنة التي تعانيهاBBC ، والتي فرضت عليها على مدى السنوات الماضية، إنهاء عقود وخدمات المئات من موظّفيها، واتباع سياسات تقشّفية لتقليل الرواتب، وخاصة مع عدم رضا وزارة الخارجية والحكومة البريطانية عنها.

ومن جانبه، نفى توني هول، المدير العام لهيئة الإذاعة البريطانية الاتهامات الموجّهة إليه بالتحيّز في تغطية الانتخابات الأخيرة ببلاده، لافتا إلى أنّ الإذاعة كانت على الحياد، وواجهت انتقادات من كلّ من اليساريين واليمينيين في الأسابيع التي سبقت يوم الاقتراع . وتحت عنوان (بي بي سي) تحت انتقاد متزايد بسبب التحيّز، ذكر موقع جلوبال ريسيرش المتخصّص، أنّ ما عدّته الجماهير مصدرا موثوقا للمعلومات، يخضع الآن لمزيد من التدقيق بسبب تحيّزه السياسي العلني. وأكد أنه مع تزايد شعبية وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام البديلة، لم يعد البريطانيون يعتبرون (بي بي سي) إنجيلا كما كانت في سنوات سابقة، حيث يعدّونها، بما يتمّ بثّه منها، وهي الخدمة المموّلة من القطاع العام، والتي تتعرّض للانتقاد بشكل متزايد، ليست أكثر من آلة دعاية للحكومة.

سطوة رأس المال على الإعلام

لقد رأينا نموذجا لأسلوب ضغط الحكومات على إحدى القنوات العامة التي تحصل على تمويلها الأساسي من الجمهور مباشرة، فيا تُرى كيف يكون الحال مع القنوات الخاصة. أوّلا، تؤول ملكية القنوات الخاصة في معظمها إلى كبار رجال الأعمال الذين يملكون القدرة المالية على تحمّل نفقات القنوات التلفزيونية الباهظة التكلفة، والتي تعاني في معظمها، وخاصة في سنواتها الأولى، من خسائر مادية فادحة. ولذا يقوم أصحاب القنوات بالتدخّل في عمل الإعلاميين لحماية مصالحهم ودرء الأضرار التي قد تلحق بها، نتيجة إذاعة مواد إعلامية تحمل نقدا أو صورا سلبية عن إحدى الجهات الهامّة. وفي ذات الوقت، يمثّل رعاة البرامج وكبار المعلنين مجموعات ضغط قوية، ولها صوتها المسموع، لدى أصحاب القنوات، ممّا يؤثّر بالسلب في قدرات المحطات الخاصة على توخّي الموضوعية والشفافية والنزاهة في ما يذيعونه على المشاهدين. وفي سبيل تحقيق نسب مشاهدة عالية تخوض القنوات الخاصة فيما بينها، وبينها وبين القنوات العامة،

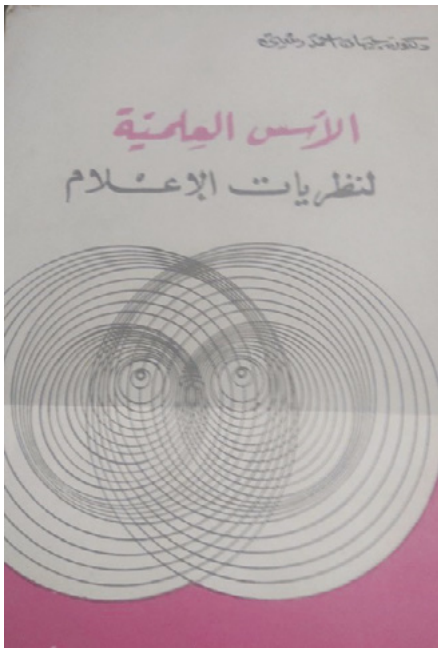

منافسات حامية تستخدم فيها أساليب الإثارة، وتزيد من جرعات الترفيه والتسلية فيما تقدّمه من برامج، كما تحتلّ الدراما التلفزيونية والأفلام السينمائية جانبا من هواء هذه القنوات، وفي سبيل تحقيق السبق بين القنوات، يلجأ البعض إلى احتكار بعض المواد وخاصة في مجال الدراما. وأصبحت عبارة (حصري) من العبارات الشائعة على الشاشات. كما تحوّلت البطولات الرياضية إلى مزادات عالمية تدرّ أموالا تقدّر بالمليارات، وخاصة كرة القدم، اللعبة الشعبية الأولى على مستوى العالم. وحلّ الاحتكار والحقوق الحصرية محلّ ما كان سائدا من تعاون وتشارك في الحقوق، حينما كانت الاتحادات الإذاعية تتولّى مهمّة التنسيق لجلب الحقوق نيابة عن الهيئات الأعضاء. وإذا كانت الجوانب المالية توضّح بعض الفوارق بين طرق وأساليب عمل كلّ من القنوات العامة والخاصة، فإنّ النظريات العلمية توضّح جوانب هامة أخرى في هذه الفوارق :

الإعلام والنظريات العلمية

من النظريات الشائعة في الإعلام تلك التي وردت في كتاب (نظريات الصحافة الأربع من تأليف شيبرت وبيترسون وشرام 1956). وقد قسّم المؤلّفون الصحافة العالمية إلى أربعة أقسام : سلطوية، وليبرالية أو حرّة، والمسؤولية الاجتماعية والشمولية السوفييتية، التي كانت تقوم على النظرية الشيوعية، بإلغاء الفوارق الطبقية وعلى أن يخدم الإعلام الطبقة العاملة وعدم تملّك القطاع الخاص لأجهزة الإعلام. ونظرا إلى سقوط النظرية الأخيرة بسقوط الاتحاد السوفييتي، فإننا نعرض للنظريات الثلاث الأخرى التي مازالت قائمة حتى اليوم :

النظرية السلطوية

جرى اختراع آلة الطباعة في الغرب، حينما كان العالم يحكم بنهج سلطوي عبر أنظمة ملكية وحكم مطلق، ولذا ليس من المستغرب أن تكون أولى نظريات الصحافة هي النظرية السلطوية، والتي تقوم على صحافة تدعم وتعزّز سياسات الحكومة التي تتولّى السلطة. وكانت المطبعة بحاجة إلى رخصة أو تصريح من الملك أو الحكومة لكي تقوم بأعمال النشر. ومن خلال استخدام التراخيص والرقابة المباشرة وعمليات التنظيم الذاتي بواسطة نقابات الطباعة، كان يجري منع العاملين من نقد الحكومة. وفي ظلّ الأنظمة السلطوية يمكن للصحافة أن تكون مملوكة ملكية عامة أو خاصة، وفي الحالتين فإنها تعتبر أداة داعمة لسياسة الحكومة. ومازالت الرقابة على المؤسسات الحكومية والخاصة حيّة ونشطة في عالم اليوم في كثير من أرجاء العالم، وحتى في دول تجاهر بأنها ديمقراطية. وتبرّر هذه النظرية أعمال الرقابة على الإعلام، وتوقيع العقوبات

على أيّ خروج عن التوجيهات وخاصة السياسية. كما أنها تؤكد على خضوع الإعلام للسلطة القائمة وعدم تعكيره للنظام العام. وبموجب هذه النظرية، يجب أن يراعي الإعلام الالتزام بالقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع.

نظرية الإعلام الليبرالي أو الحر

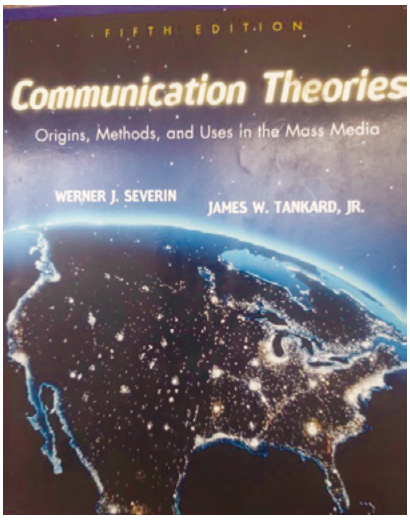

مع ظهور حركة التنوير والنظريات العامة لأعمال العقل والحقوق الطبيعية، تطوّرت نظرية الإعلام الحر في مقابل النظرية السلطوية. وقد استوحت النظرية من الإعلام كتابات (ميلتون و لوك و ميل) فكرة أنّ الصحافة تهدف إلى استجلاء الحقيقة ومراقبة الحكومة إلى جانب الإعلام والترفيه. وطبقا لهذه النظرية، فإنّ الإعلام الخاص هو الأساس في الإعلام، ولذا يحقّ لكلّ من يستطيع النشر أن ينشر. ويمكن السيطرة على الإعلام بإحدى طريقتين؛ عن طريق تعدّد الأصوات يتمّ الوصول إلى الحقيقة في (سوق الأفكار الحرّة)، حيث يمكن للأفراد التفرقة بين الحقيقة والزيف. كما أنّ النظام القانوني أو القضائي يتولّى محاسبة أولئك الذين يرتكبون جرائم تشويه السمعة والإباحية وارتكاب الفاحشة وإثارة الفتنة في زمن الحرب.

ومن أفضل الكتابات التي سيقت دعما للصحافة الحرّة، ما كتبه المفكّر (جون ستيوارت ميل) حيث قال في منتصف القرن التاسع عشر : «إذا أخّرت رأيا فإنك تكون قد أخّرت الحقيقة، «وقال» إذا اتفق كلّ البشر ماعدا إنسان واحد على رأي ما، فإنه لا يحقّ لكلّ البشر أن يخرسوا صوت هذا الفرد، كما أنه ليس من حقّ هذا الإنسان أن يخرس سائر البشر لو امتلك القوّة لتحقيق ذلك.

نظرية المسؤولية الاجتماعية

يرى أصحاب هذه النظرية أنه ينبغي إتاحة المجال لكلّ الآراء أن تعبّر عن نفسها بكلّ حرّية، ولكن بشرط أن تكون ذات فائدة للمجتمع. وقد تبلورت هذه النظرية في ضوء ما أسفرت عنه التطوّرات التكنولوجية والتجارية من عدم تمكّن بعض الأفراد والجماعات المختلفة من إيصال أصواتها إلى الإعلام، وفي الوقت نفسه، انخفضت معدّلات الأداء عن تلبية حاجات المجتمع الإعلامية والاجتماعية والأخلاقية. وترى هذه النظرية أنّ تزايد حرّية الوسائط الإعلامية تتطلّب مزيدا من السيطرة العامة والضوابط المحاسبية، إضافة إلى ما هو قائم بالفعل. وبذلك فإنها تُوائم بين حقّ الإعلام في الحرّية والاستقلال وما يتوجّب عليه من التزامات تجاه المجتمع. وتتحدّد هذه الالتزامات عن طريق وضع معايير مهنية صارمة للإعلام كي يراعي الحقيقة والدقة والموضوعية والتوازن.

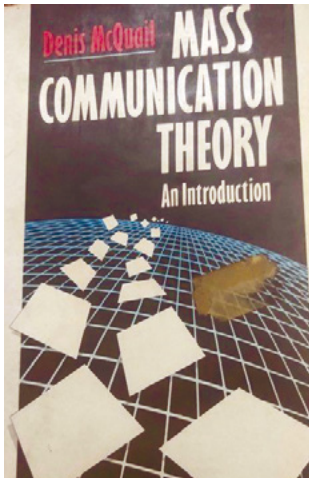

وإلى جانب هذه النظريات الكلاسيكية ، يضيف البروفيسور (دنيس مكويل) في كتابه العمدة (نظرية الاتصال الجماهيري) نظريتين أخريين، يرى أنهما لازمتان لإكمال فهم العملية الإعلامية. النظرية الأولى هي «نظرية الإعلام التنموي» وهي الأكثر ملاءمة لدول العالم الثالث، حيث إنّ متطلّبات المجتمع من التنمية لها الأولوية القصوى على ما عداها. ينبغي لوسائل الإعلام إعطاء الأولوية للثقافة واللغة الوطنية. وترى هذه النظرية أنه يمكن فرض قيود على الإعلام خدمة للأولويات الاقتصادية أو للوفاء بمتطلّبات المجتمع من التنمية.

والنظرية الأخيرة، وهي نظرية المشارك الديمقراطي، فهي تتركّز حول إعطاء الجميع الحقّ في الحصول على المعلومات وفي التعبير عن آرائهم ، وخاصة أبناء المجموعات الصغيرة وأبناء الثقافات المختلفة، ومنح الجميع حقّ الرد. وتتيح تكنولوجيا الاتصالات الجديدة المزيد من الفرص لاعتناق هذه النظرية من خلال الإعلام الإلكتروني.

الخاتمة

في هذا المقال عرضنا للإعلام الإذاعي بجناحيْه المرئي والمسموع، وأوضحنا كيف أنه يخضع منذ نشأته حتى يومنا هذا لهيمنة الحكومات أو سيطرة رأس المال، وفي الحالتين هناك نظريات علمية تدعم وتعزّز النظام الذي يوجد عليه الإعلام التقليدي. ويتعرّض هذا الإعلام الآن إلى تحديات وجودية تفرضها عليه منافسة ضارية مع الإعلام الجديد الذي يستخدم أدوات العصر، من أجهزة كمبيوتر وسوشيال ميديا وخلافه. ويتميّز الإعلام الجديد بالتحرّر من الضخامة التي كانت تفرض نفسها على الإعلام التقليدي، فهو على العكس من ذلك، يؤمن بالرشاقة ويعشق الأحجام الصغيرة، لأنه يتعامل مع جمهور صغير متجانس، نتج من تفتّت جمهور الكتلة العريضة التي صاحبت الإعلام التقليدي طوال حياته. ولاشك، أنّ الصراع بين الشكليْن التقليدي والجديد، سوف يستمرّ بعض الوقت. ولكن الغلبة ستكون حتما للجديد. فهذه هي سُنّة الحياة ومنطق الوجود.

المراجع

1. اتهامات التحيّز وعدم المهنية تحاصر (بي بي سي) داخل بريطانيا
2. مقال بقلم محمد عز الدين في صحيفة الأهرام بتاريخ 24 - 12 - 2019
3. وثيقة الدستور المصري 2014
4. الإعلام والسلطة-إعلام السلطة وسلطة الإعلام- أ. د فاروق أبوزيد، عالم الكتب 2007
5. warner J. Severin, James w. Tankard, JR., Communication Theoies, Origins, Methods, and Uses in the Mass Media, Longman, Fifth Edition, 2001
6. Denis Mcquail, Mass Communication Theory, An Introduction, Second Edition, 1987, Sage Publications.

هل انتهى عصر الإعلام التقليدي؟

مسارات التفكير في الوظائف والأدوار

الإذاعة التونسية مثالا

أ. فتحي الشوندي
خبير إعلامي

تطرح اليوم ظاهرة السماوات المفتوحة والمضامين الإعلامية المبثوثة في العديد من المحامل وصحافة المواطن أسئلة حارقة ورهانات حقيقية أمام وسائل الإعلام التقليدية وخاصة الإذاعة.

واستلهمت مؤسسة الإذاعة التونسية روح كسر القيود المكبّلة في عملها على مستوى التسيير الإداري أو صناعة مضامين من توق شعبها نحو الحرّية و الانعتاق، وهو الذي أنجز حدثا استثنائيا في تاريخ العلوم السياسية لـمّا صاغت الجماهير ثورة شعبية لم تتخلّف عنها مدينة أو قرية وزفّت الشهداء بالزغاريد شمالا و جنوبا.

وسرعان ما تجاوزت الإذاعة التونسية مرحلة الانبهار بالحدث السياسي المنجز، وبدأت في نحت أفق جديد لها، ارتكز على رؤية واضحة، لأنها تدرك أنّ أيّ عمل بشري لا يؤسّس على تمشّ علمي هو عمل مبتور من حيث ديمومة استمراريته، أو من حيث مشاركة الفاعلين فيه و تجميع طاقاتهم نحو بوصلة واحدة: بناء مرفق عمومي ينتصر للناس والوطن.

واقتنصت اللحظة التاريخية حين استوعبت الجماهير، وأصبحت مقرّات الإذاعة التونسية مركزيا وجهويا فضاءات مفتوحة أمام الناس جسّمت فعلا مبدأ صحافة القرب، صحافة مهنية وحرفية تقوم على مبادئ الشفافية والمصداقية والاستقلالية، وتقف على نفس المسافة من كلّ الطيف السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

الإذاعة التونسية : مجال تواصلي اجتماعي

أ - تجسيم لمبدإ القرب الجغرافي والوجداني :

إنّ أيّ وسيلة إعلام هي مرآة تعكس السياق الاجتماعي الذي تبثّ فيه. وكلّما كانت هذه الوسيلة قريبة من احتياجات الجمهور المستهدف كلّما زاد الإصغاء إليها.

وقد مثّلت الإذاعة التونسية تجسيدا حقيقيا لصحافة القرب، في تناسق و تناغم بين جدلية التأثير والتأثّر.فالمتلقّي يستخدم الإذاعة لتلبية حاجات إخبارية نفعية مباشرة، مثل جمع المعلومات عن أحوال السوق أو الطقس أو حركة المرور والاطلاع على ما يجري في السياقات المختلفة حوله، والإذاعة تستهدفه باعتباره دافعا للتنمية وجوهرها.

ب- الهويّة وتقوية النسيج الاجتماعي :

يحظى الإعلام بمتابعة منتظمة، تفسّر ليس بمبدأ القرب فقط، وإنما لما يوفّره من مضامين تستجيب لإحداث التوازن السيكولوجي والسوسيولوجي بين الناس.

وقد أثبتت البحوث في علوم الإعلام والاتصال سيطرة الحاجات الاجتماعية في متابعة ما يبثّه الإعلام، وتجد هذه السلوكات مشروعيّتها فيما ذهب إليه علماء الاجتماع من أنّ القيمة الذاتية للهويّة مستمدة من وسطها الاجتماعي الذي تنمو فيه وتترعرع في بداية مراحله العمرية، تغادره في السنوات الوسطى من العمر، ثمّ سرعان ما تعود إليه. فمع تقدّم السنّ تتدعّم لدى الفرد عمليات التقمّص، فيصبح أكثر طاعة ووفاء لتقليد ما، فتجده أحرص على إضفاء قدسية أكبر على مختلف المعايير الاجتماعية. ونعتقد أنّ صلة القرابة والانتماء وعملية الاندماج في المجتمع واكتشاف الحقوق والواجبات هي حاجات اجتماعية ينفرد إعلام المرفق العمومي بإشباعها، فهو عند مستمعيه بطاقة هويّة.

وعبر إرثها الممتدّ على أكثر من ثمانين سنة، ساهمت الإذاعة التونسية في تقوية النسيج الاجتماعي فيما يسمّى بالإسمنت الاجتماعي حديثا، ويسمّيه ابن خلدون بالعصبيّة (العصبيّة رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية ولا شعورية معا، تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة ربطا مستمرّا يبرز ويشتدّ عندما يكون خطرا يهدّد أولئك الأفراد كأفراد أو كجماعة).

إنّ احترام الذاكرة الجماعية للمجتمع وإرثه الحضاري وهويّته الثقافية والاجتماعية عوامل تعزّز فرص تلقّي الجمهور للمضامين التي يقدّمها الإعلام، وهو رهان تدعّم داخل الإذاعة التونسية عبر إطلاق محطة إذاعية عاشرة «تحت مسمّى بانوراما» تبثّ في إقليم تونس الكبرى ما ينتج في المحطات الجهوية (المحلّية).

ج- الإذاعة التونسية والتنشئة الاجتماعية :

تفيد البحوث الميدانية التي تنجز مع جمهور المتلقّين أنّ الإذاعة تساهم في التنشئة الاجتماعية للأطفال وخاصة في المناطق الريفية باعتبارها المتوفّر الوحيد أو يكاد لمتابعة ما يقع في المجتمع. ومارست الإذاعة الوطنية التونسية هذا الدور بفعالية تدعّم بالمجهود الكبير الذي بذلته المحطات الجهوية في مختلف أقاليم البلاد لاحقا، حيث أنشأت ما يعرف بخلق عادات التعرّض لوسائل الإعلام وتلقّي المضامين والأفكار. فالطفل يتابع بشغف المضامين الإعلامية، ومنها ما تبثّه الإذاعة لأنها تمكّنه من تلبية الحاجة إلى الاستعراض، أي الحاجة إلى فرض ذاته داخل المجتمع من خلال اكتساب الزاد المعرفي من الإذاعة، بما يؤهّله للتأثير في الآخرين حتى يراه الناس ويسمعوه فيلجأ إلى الحركات والأصوات والسلوكيات المثيرة لمحيطه الأسري أو المجتمعي ليجلب الانتباه إبهارا وإرباكا أو تسلية.

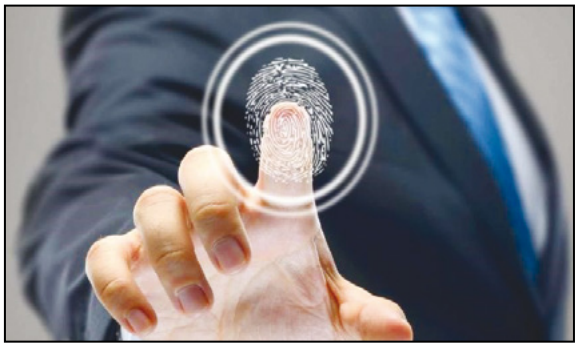

كما تؤكد بحوث الإعلام والاتصال أنّ المتلقّي يعيش لحظات من الاندماج مع الإعلام حين يجد نفسه فيه، فتصبح المضامين الإعلامية محرّكا لإثبات الانتماء وتساهم فيما يسمّى الخلق الجماعي للفرد (Création Populaire)، إذ كلّما قامت علاقات ودية تشجيعية ومباشرة بين الإذاعة وجمهورها من خلال التجاوب مع المقترحات المقدّمة والمسابقات ورصد الجوائز والهدايا، كلّما تسارعت وتيرة التلقّي والتفاعل.

د- الإذاعة التونسية : وسيلة اتصال

إنّ بقاء المجتمع لا يعتمد فقط على نقل نمط الحياة عن طريق اتصال الكبار بالصغار، إنما تدخل وسائل اتصال أخرى، يأتي في مقدّمتها الإعلام الذي يوفّر فضاءات للتعبير والمشاركة تُبنى من خلاله ثقافة الحوار والمحاججة وقبول الرأي الآخر. فذهاب أيّ وسيلة إعلامية إلى الناس يعني تمكينهم من التعريف بأنفسهم والتعبير عن مشاغلهم وعواطفهم، وبالتالي ينمّي شعور المواطنة لديهم، خصوصا إذا وقع ضمان حرّية التعبير. إنّ المطلوب في العمل الإعلامي هو تمكين الناس أينما كانوا من التحدّث كما يريدون.

وإضافة إلى العلاقات الناشئة بين الإذاعة و مستمعيها، فقد لعبت الإذاعة التونسية دورا محوريا في إيصال المعلومات التي كانت تتّخذها السلط المركزية و الجهوية في نحت مجتمع جديد ما بعد الاستعمار. فجسّمت هذه الوسيلة الإعلامية الجماهيرية فعلا نظرية تدفّق المعلومات على مرحلتين.

الإذاعة التونسية وبناء مقومات دولة الاستقلال

مثّلت الإذاعة التونسية أحد أبرز المحامل التي ساهمت في نحت كيان دولة تؤسّس لمقوّمات شخصيتها الوطنية، بعد أن أنهت استعمارا فرنسيا امتدّ لأكثر من سبعة عقود، فكانت برامجها تثقيفا وتوعية في جزء منها، وتلقينا وتوجيها مباشرا في أحيان أخرى بهدف بناء مجتمع يغلّب روح الانتماء الجماعية عن منطق القبيلة والعروش. فأنجزت برامج، وزارت قوافلها الإعلامية القرى والأرياف، ممّا بوّأها أن تكون فعلا وسيطا في نقل المعارف والمعلومات التي تعتمل في البلد، من تركيز لأسس الدولة (التونسة في مختلف الأسلاك والقطاعات مثل الأمن، العُمْلة، النظام السياسي وغيرها ....).

ويعدّ الخروج بالجدل الدائر حول المرأة التونسية إلى الفضاء العام من أبرز الميزات الحضارية التي حقّقتها الإذاعة التونسية عبر تاريخها. فمع الاستقلال مباشرة صنعت تونس استثناء في العالم العربي والإسلامي من خلال سنّ مجلة للأحوال الشخصية تضمّنت قوانين تقدّمية في مجال إصلاح أوضاع المرأة في المجتمع (إلغاء تعدّد الزوجات ووضع مسار إجراءات قضائية للطلاق واشتراط رضاء الزوجين لإتمام الزواج).وهو مسار توّج نقاشا مدويّا انطلق قبل عقود.

الإذاعة التونسية : عنصر في تغيير المجال التقليدي للممارسات الشبابية

لقد مثّل الشباب في المجتمع التونسي دوما المحفّز الرئيس Catalyseurلطرح القضايا الأساسية والأفكار المستحدثة في جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ومؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية باعتبارها الوسيلة الإعلامية الوحيدة في البلد، قبل تعدّد المشهد وتنوّعه، كانت ملزمة باستيعاب الطاقات الكامنة في هذه الشريحة، فأقدمت (قبل قرار الفصل في 2007) على تجربة الإعلام المتخصّص من خلال إطلاق إذاعة الشباب سنة 1995، بعد سنة من استكمال مشروع قناة تلفزيونية موجّهة إلى الشباب «قناة 21 » .

ويأتي هذا الإعلام المتخصّص المستهدف للشباب، تتويجا لمسار طويل من الإنتاجات الإذاعية التي لم تغيّب إطلاقا الشباب، وإنما كانت دوما تُفرده بعناية ضمن خارطاتها البرامجية. وقد تحوّلت بعض البرامج إلى ما يشبه المدارس. فصنعت أبطالا في مختلف صنوف الإبداع الفني والأدبي والرياضي وغيره...

الإذاعة التونسية : مؤسسة لغرس الذوق الاجتماعي

لا يعير الباحثون في الكثير من الأحيان مسألة الذوق و بنائه لدى الفرد الأهمّية التي يستحق في مختلف البحوث والدراسات التي ينجزونها، في حين أنّ هذا الموضوع يكتسي أهمّية، إذ تساهم وسائل الإعلام في إشاعة منوال ثقافي معيّن تطرحه على الناس.

وقد وضعت الإذاعة التونسية منذ نشأتها مقاييس صارمة في إنتاج مضامينها، تحترم الناس بما لا يخدش حياءهم ويلبّي احتياجاتهم المعرفية ويرتقي بالذوق العام وأساسا لدى الأجيال الجديدة، على نحوٍ يصقل سلوكهم ويوجّه اختياراتهم.

وقد خلقت الإذاعة الوطنية التونسية عادات لدى المتلقّي مازالت مستمرّة إلى الآن، من ذلك برمجة أغاني الفنانة اللبنانية فيروز صباحا قبل السابعة، وهي بصمة برامجية طبعت الذوق العام بتونس، وأضحت تقليدا تمارسه كلّ المحطات الإذاعية في البلاد، عمومية كانت أم خاصة.

ولقد أدرك الأوائل في الإذاعة الوطنية وما تبعها من إحداثات للمحطات العمومية أهمّية بناء الشخصية الوطنية، عبر وعاء الهويّة العربية الإسلامية بما يحصّن الفرد والمجتمع من الاغتراب. وإن كانت هذه المسؤولية ملقاة على عاتق الإذاعة الوطنية، إلا أنه مع انتشار ظاهرة السماوات المفتوحة وسلعنة المنتوج الثقافي، أقدمت الإذاعة التونسية على إطلاق إذاعة متخصّصة في الشأن الثقافي سنة 2006.

كما تتنزّل في إطار احترام الهويّة قدسية الاهتمام باللغة العربية. إذ حافظت الإذاعة التونسية على هذا الاتجاه رغم بعض الانحرافات المسجّلة في السنوات الأخيرة. إذ تؤكد جملة مذكّرات العمل على احترام اللغة العربية ومنع استخدام اللغات الأجنبية من المنشّطين (مقدّمي البرامج المنوّعاتية) مهما كانت الأسباب وضرورة التعريب والترجمة، حينما يرد مصطلح فرنسي على لسان أحد الضيوف مثلا. ولم تستثن أقسام الأخبار من هذا التوجّه، بل كان التعامل مع نصوص المواعيد الإخبارية يعامل بدقة متناهية وصرامة كبيرة، ولا يقدّم الأخبار إلاّ من كان جيّدا في معرفة اللغة العربية وأساليبها وفنونها. وأحدثت خطة «المصحّح اللغوي» أستاذ لغة عربية يباشر شكل النصوص الإخبارية ويراجعها قبل مرورها على الهواء. وقد تمّ إعادة تثمين هذه التجربة في سنة 2016 عبر انتداب أستاذة لغة عربية لتأدية هذا الدور في أقسام أخبار الإذاعات المركزية، رغم ما تجده من صعوبات ذاتية وموضوعية بحكم التحوّلات التي عرفها المشهد الوطني.

الإذاعة التونسية : وسيلة تقليدية تتكامل مع وسائل الإعلام والاتصال الحديثة

يبيّن التاريخ أنّ كلّ وسائل الإعلام صمدت أمام اختبار الزمن، ونجت من ظهور القنوات والمحامل الجديدة للاتصال. وقد استطاعت الإذاعة التونسية على مرّ تاريخها تجاوز مراحل الإرباك التي تحدثها التكنولوجيات الحديثة في مجال الإعلام بسرعة واقتدار، بل تبادر إلى الأخذ بناصيتها وتطويعها تطويعا جيّدا و ذكيا في صناعة مضامينها.

فالإذاعة التونسية اليوم تمارس صحافة الإعلام المدمج الذي يرتكز على تعدّد المنصّات والمحامل، وتتداخل فيه عناصر النص والصوت والصورة. فتمّ تركيز قاعات أخبار حديثة في كلّ المحطات Newsroom واستوديوهات مفتوحةOpen Space انطلق العمل بها في إذاعات قفصة والشباب وتطاوين.

وعلى مستوى صناعة المضامين، تقوم مشاريع التحديث على الاقتراب من الناس والخروج إلى الشارع تجاوزًا لصحافة الدسك Desk ، وتبرز في هذا المجال تجربة استعمال الهواتف الذكية والتي مكّنت الصحفي من القيام بعمله كاملا، من تسجيلات ومونتاج وإرسال المادة جاهزة للبثّ.

الإذاعة التونسية : الحضور والامتداد

تعتبر مؤسسة الإذاعة التونسية الشبكة الأولى من حيث حضورها و انتشارها داخل مختلف جهات البلاد. إذ يعود تاريخ إحداث الإذاعة الوطنية إلى شهر أكتوبر 1938،وإذاعة تونس الدولية لعام 1960، بل كانت من المؤسسات الإعلامية الأولى في الوطن العربي التي أقدمت على تجربة إحداث محطات إذاعية خارج أطر العواصم، وكان ذلك في 8 ديسمبر 1961 تاريخ انطلاق بثّ إذاعة صفاقس. ثمّ تمّ إطلاق بثّ إذاعة المنستير في 03 أغسطس 1977 ليشمل تونس الكبرى وولايات (محافظات) في الساحل الشرقي ووسط البلاد.

وعلى ضوء ما حقّقته هاتان المحطّتان من نسب متابعة والاقتراب من مشاغل الناس، واستنادا إلى نتائج بعض البحوث الميدانية التي أثبتت تلقّي مناطق وجهات أخرى لما سمّي آنذاك بالإعلام الوافد، تمّ التفكير في دعم حضور الإذاعة والتلفزة آنذاك في أقاليم أخرى. فبدأ في سنة 1991 بثّ إذاعة الكاف في الشمال الغربي، و إذاعة قفصة لإقليم الجنوب الغربي، وفي سنة 1993 اكتمل العقد الخماسي بإذاعة تطاوين التي تغطّي إقليم الجنوب الشرقي للبلاد.

ولئن كانت مختلف هذه الإذاعات المركزية والجهوية تشتغل بشبكة مراسلين في عدد من المناطق والمدن المركزية لكلّ ولاية، إلا أنّ المؤسسة، ودعمًا لتوجّهها في الممارسة العملية لصحافة القرب، أطلقت ما بعد ثورة 14 يناير 2011 تجربة نوعية من حيث الوجود الفعلي لها في المناطق الداخلية. إذ تمّ تركيز مكاتب هي عبارة عن شبه إذاعة مصغّرة تتوفّر على تجهيزات استيديو ومكاتب للعمل والاستقبال في مختلف جهات البلاد، بعد أن اعتمدت تجربة الصحفي المقيم فيبعض المحافظات.

وميزة هذه المكاتب أنها فتحت المجال أمام أهل الاختصاص، وتحديدا الصحفيين الشبان، حيث يشتغل بها خرّيجو معهد الصحافة وعلوم الأخبار من تلك الجهات، يتمتعون بنفس الحقوق والواجبات كبقية زملائهم الصحفيين في سائر المحطات، بعد أن أدمجوا وتمّت تسوية وضعياتهم.

الإذاعة التونسية: تاريخ شعب و ذاكرة وطن

لقد سايرت الإذاعة التونسية أبرز مراحل تونس العصر الحديث منذ ثلاثينات القرن الماضي، فهي الأنا الوطني ضد الفرنسة والتغريب، وهي المحمل الرئيسي في التثقيف والتوعية عند بناء مقوّمات الدولة الوطنية، وهي الحافظة للذاكرة الجماعية في كلّ تفاصيلها، وإنْ كانت الذاكرة الرسمية المرتبطة بالحقل السياسي هي المسيطرة إلى حدود ثورة الحرّية والكرامة.

وإنّ ما تحتويه خزينة الإذاعة مركزيا وجهويا يشكّل مادة خصبة لحقل معرفي مهمّ آن الأوان أن ينكبّ عليه الباحثون وهو علم اجتماع الذاكرةSociologie de la mémoire ، ممّا سيوفّر مجالات إبداعية ترتكز على وثائق تاريخية فيما يتعلّق بممارسة الحكم وطرق إنتاج المضامين و طبيعة السياقات الاجتماعية والثقافية ونفض الغبار عن رموز الوطن في مختلف المجالات، بما من شأنه أن يتحوّل إلى أعمال فنية متنوّعة وأساسا دراما تاريخية أو فنتازيا. والإذاعة التونسية هي أيضا المصدر الرئيس لحقّ الإعلام والإخبار ضمن أطر المهنية والحرفية بمقاييس

المصداقية والاستقلالية والثبوتية، وهي أيضا الضامنة لدمقرطة الإعلام من خلال توفير الفضاءات لكلّ الفاعلين الاجتماعيين للتعبير عن طموحاتهم وآمالهم وآرائهم لبلورة أفق جديد لشعب جدير بالحرّية والكرامة اختار أن ينشيء فعلا جمهورية المواطنة، التي من أهمّ ميزاتها قيام إعلام ذي مواصفات عمومية تخلّصه من مراكز النفوذ السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيروقراطية، لتقديم خدمة إعلامية تستجيب لاحتياجات الشعب التونسي الإعلامية والاتصالية، ضمن رؤية تحترم المتلقّين باعتبارهم مواطنين فاعلين يدركون ويعلمون بما يدور في سياقاتهم، بعيدا عن منطق الحريف (الزبون) والجمهرة، بمعنى أَخْبَرَهُ بطَرَفٍ له على غير وجهه وترك الذي يريد.

وهكذا فإنّ الإذاعة التونسية، مثلما ملكت المشهد الوطني المسموع على امتداد ثمانين عاما، فهي أيضا ستملك المستقبل، لأنّ الشعب سينتصر لها ويدافع عنها، شرط بقائها مؤسسة مرجعية تؤدّي له وظائف وأدوارا يحتاج إليها في سياقٍ تحْكُمُه إكراهات التحوّل السريع في التكنولوجيا وممارسات التلقّي والمنافسة الشرسة التي تفرضها وسائل الإعلام الخاصة، الوطنية والدولية على حدّ سواء، مكّنها فـي عديد المناسبات من أن تتوج بالمراتب الأولى في مختلف صنوف الإنتاجات الإذاعية.

المراجع :

المختار لهراس، القبيلة والدورة العصبية : قراءة في التحليل الخلدوني للمجتمع القروي المغاربي، مجلة المستقبل العربي -السنة التاسعة العدد -98 أبريل 1987 ص 51.

الشاذلي القليبي (1925-2020)

من الإذاعة التونسية كانت البداية..

الأستاذ عبد الحفيظ الهرقام

مهما حاولنا أن نلقي أضواء كاشفة على مسيرة الأستاذ الشاذلي القليبي الذي غيّبه الموت يوم 13 مايو 2020 فإننا لن نُوفي قطعا الرجل حقّه. فالراحل الكبير شخصية متفرّدة بما اجتمعت فيها من أبعاد متعدّدة متداخلة، وعلم بارز من أعلام الفكر والثقافة والإعلام والسياسة في تونس وفي العالم العربي، كانت له إسهامات قيّمة ودور جليل في مختلف المسؤوليات العليا التي نهض بأعبائها، مديرا عامّا للإذاعة التونسية ومؤسّسا لوزارة الشؤون الثقافية ووزيرا للإعلام في الحكومة التونسية ومديرا لديوان رئيس الجمهورية الحبيب بورقيبة، في الفترة الممتدّة من سنة 1958 إلى أواخر سنة 1979، تاريخ تولّيه مهامّ الأمين العام لجامعة الدول العربية التي استقال منها في سبتمبر 1990 إثر الغزو العراقي للكويت.

ولـمّا كان حيّز هذا المقال لا يتيح استعراض مختلف جوانب مسيرة الفقيد الحافلة بالإنجازات والبذل والعطاء، فقد رأينا من المفيد أن نتناول بالخصوص **تكوينه المدرسي والجامعي وتجربته الصحفية ودوره في حقليْ الإعلام والثقافة وقيادته للعمل العربي المشترك لمدّة إحدى عشرة سنة.**

ينتمي الشاذلي القليبي إلى جيل من المثقّفين التونسيين الذين تلقّوا تكوينا أكاديميا متينا باللغتين العربية والفرنسية في مدارس ومعاهد بلدهم، وفي كبريات المؤسّسات الجامعية الأجنبية لا سيما منها الفرنسية، ممّا أكسبهم زادًا معرفيا وكفايات علمية، أهّلتهم لتقلّد أعلى المناصب وتبوّؤ مواقع متقدّمة إبّان بناء الدولة الوطنية بعد الاستقلال وأثناء معركة التنمية الشاملة التي تلته. وعلى الرغم من انبهارهم زمن التحصيل العلمي

بحضارة «الغالب» وبتاريخه وثقافته، فإنّ الوازع الوطني ظلّ دوما حيّا متّقدا فيهم، يدفعهم إلى التعبير عن رفضهم لما يتعرّض إليه الشعب التونسي من قمع واضطهاد وإهانة وحرمان، معتمدين في مقارعة السلطة الاستعمارية وفي المطالبة بتحرير وطنهم من ربقتها، وسائل نضالية شتّى، منها الكتابة في الصحف ودعوة الأهالي إلى التظاهر في المدن والقرى والحضّ على المقاومة المسلّحة إن اقتضت الظروف ذلك.

وقد ساهمت المدرسة الصادقيّة 1 التي انتسب إليها الشاذلي القليبي في نشأة نخبة نيّرة كان لها شآن عظيم زمن الكفاح التحريري، وأثناء بناء الدولة الوطنية في تونس.

من الصادقية إلى الصربون

منذ التعليم الابتدائي، التحق الشاذلي القليبي بالفرع الصادقي الذي كان يمتاز إذّاك عن سائر المدارس في هذه المرحلة بمستوى عالٍ في تعليم العربيّة والفرنسيّة. وعلى يديْ معلّمه الشيخ «محمّد الزغواني» تعلّم مبادئ اللغة والنحو والصرف ونهل من منابع الإسلام السمحة ونشأ على مكارم الأخلاق، علاوة على ما تلقّاه من أسرته المحافظة من تربية أصيلة، فكان منذ الصبا متيقّظا إلى أهمّية الدين في الحياة. 2

عندما أحرز الشهادة الابتدائية، تباينت الآراء داخل الأسرة حول وجهته الدراسيّة : هل يلتحق بالمدرسة الصادقيّة أم بالمدرسة الفرنسيّة؟ وقد أصرّ زوج عمّته محي الدين القليبي، مدير الحزب الحرّ الدستوري على أن يجتاز مناظرة الالتحاق بالصادقيّة.

في هذه المدرسة التي انضمّ إليها بعد نجاحه في المناظرة، تتلمذ الشاذلي القليبي على أساتذة تونسيين وفرنسيين. فبفضل مشائخ الزيتونة، عمر العدّاسي والبشير النيفر ومحمّد الفاضل ابن عاشور والمختار بن محمود تشبّع بروحيّة الإسلام وعرف جمال اللغة العربيّة وإمكاناتها الخطابيّة، وأخذ عن أستاذه عبد الوهاب بكير قواعد الكتابة. أمّا أستاذه محمود المسعدي3 فأيقظ فيه موهبة الفكر وعرّفه بمنزلة الأدب. ومن خلال أساتذته الفرنسيّين، عرف الشاب اليافع تاريخ المستعمر وأدرك أسباب تقدّم الغرب واكتشف كنوز الحضارة الفرنسيّة في شتّى مجالات الإبداع الفكري والأدبي.

يقول السيد الشاذلي القليبي في هذا الصدد : « كان الاستعمار ..سياسيّا واقتصاديّا وكان أيضا ثقافيّا وحضاريّا : مستمسكا بالحكم، مستأثرا بالثروات، متطلّعا إلى أن يملك العقول، ليفرض نِظرته إلى مصير البلاد. وفي كلّ ذلك، كان له تأثير عميق، ولو من طرف خفيّ، لجدليّة العلاقة بين الغالب والمغلوب- التي كان ابن خلدون أوّل من أشار إليها - وما تنشئه في النفوس من نزاع بين العَداء والإعجاب، وما تدفع إليه من رغبة في تقليد المستعمر والاقتداء بأحواله، مع دوام التصميم على مقاومة سيطرته، هذه الثنائيّة الأليمة - المراوحة بين الرفض والانجذاب، بين الانبهار والأنفة ، بين إرادة الكفاح والانعطاف اللاشعوري - هذه الثنائيّة كانت تؤازر المساعي الوطنيّة، ولكنّها تخدم أيضا بعض الأهداف الاستعماريّة، من طرف خفيّ، فلا نستطيع مغالبتها ».4

ولاشكّ أنّ العديد من أترابه كان يتملّكهم نفس هذا الشعور بالتمزّق والانفصام، المثير لحسّ وطنيّ مكين ، لاسيما وأنّ قادة من الزيتونة والصادقيّة تصدّوا لما للاستعمار من تأثير ثقافي .» ولم يكن أقلّها شأنا في إحياء الضمير واجتهار منابع الذاتيّة التونسيّة لدى تلاميذ الصادقيّة ما كانوا يسمعونه من أساتذتهم علي البلهوان ومحمود المسعدي وعبد الوهاب بكير ومن مشائخهم، ...كلٌّ في مجاله وكلٌّ بأسلوبه الخاصّ ....وكان لكلّ منهم، في فترة التوثّب الوطني ...موقع في الأنفس ودويّ في المجتمع».5

بعد حصوله على شهادة الباكالوريا، كان الشابّ الشاذلي القليبي يعتزم في أكتوبر/ تشرين أوّل 1945 دراسة الطبّ بباريس، غير أنّ رسالة مقتضبة من أستاذه محمود المسعدي تسلّمها والده أقنعته بتغيير وجهته نحو دراسة اللغة العربية وآدابها. فبين التلميذ وأستاذه في الصادقيّة وشائج متينة أفصح عن سرّها القليبي قائلا : «علاقتي بالأستاذ محمود المسعدي تعود إلى عهد تولّيه التدريس بالصادقية. كان رجلا صارما لا يتحدّث إلينا إلاّ باللغة الفصحى. مع انطلاق دروسه، أعطانا موضوعا لتحرير إنشاء، وعندما أعاد إلينا أوراقنا بعد إصلاحها بدأ بالقول : « هناك تلميذ من بينكم سيكون له شأن». وكنت أنا صاحب الحظّ السعيد، إذ استنجبني منذ ذلك اليوم وأصبح يحرص على أن أجلس في الصفّ الأمامي ويتابع دراستي باهتمام. وقد كان الأستاذ محمود المسعدي الوحيد من بين كلّ المدرّسين الذي كان يدعوني إلى بيته ويستبقيني للغداء أو العشاء على مائدته، ومنذ ذلك الوقت توطّدت العلاقة بيننا ولم تنقطع».6

أمّا الرسالة التي توجّه بها المسعدي إلى تلميذه فقد جاء فيها :«إذا كنت تعتقد أنّ الطبّ الذي تتوجّه لدراسته يخدم البلاد فإنّك مخطئ». أدرك القليبي ما كان يقصده أستاذه، فسارع من الغد بالانضمام إلى قسم اللغة والآداب العربية بالصربون.

هل كان الأستاذ يتنبّأ لتلميذه النابغ بمستقبل سياسيّ واعد؟ وهل قدّر أنّ دراسة الأدب هي المسلك الأقوم لخدمة الشأن العام والمعبر نحو تحقيق الذات واكتساب منزلة في الوجود؟ ولعلّ صاحب «مولد النسيان» كان يرى في انغماس القليبي في عالم الأدب والفلسفة مولدّ ضمير يقظ وفكر متوهّج لديه، هما خير سلاح يتمكّن به شابّ مثله من أن يسلك طريقه في خدمة وطنه.7

في مدينة باريس التي كانت تعتمل فيها تيارات سياسيّة وفكريّة مختلفة، والتي عادت فضاءاتها الثقافية إلى سالف حركيّتها، بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وتحرّرت فرنسا من الاحتلال النازي لترابها، لم يكتف الشاذلي القليبي بدراسة اللغة العربية وآدابها في الصربون، أوبحضور دروس أساتذة كبار منهم ريجيس بلاشير وليفي بروفنسال، بل حرص على متابعة محاضرات قيّمة في الكوليج دي فرانس إحدى منارات العلم والثقافة في فرنسا. وقد عوّل الشابّ العشريني إذّاك على قدراته الذاتية على التحصيل المعرفي، مدركا أنّ تعليم العربية في الصربون كان متّجها في الأصل إلى الشباب الفرنسي ويهدف بالخصوص إلى تكوين مستشرقين، فأقبل على توسيع أفقه الفكري بدراسة علم النفس وعلم الاجتماع والأخلاق والفلسفة العامّة 8.

تجربته الصحفية

وبعد حصوله على الإجازة في اللغة العربية وآدابها في سنة 1947، اجتاز الشاذلي القليبي بنجاح بعد ثلاث سنوات مناظرة التبريز في هذا الاختصاص، قبل أن يلتحق بالتدريس في معهد كارنو وبمعهد الدراسات العليا ودار المعلمين العليا بتونس، حيث تجدّد اللقاء بينه وبين أستاذه محمود المسعدي الذي كان يشرف وقتئذ على نقابة التعليم الثانوي.

وقد قاد انخراط الشاذلي القليبي في العمل النقابي إلى التحاقه بالفريق الملتفّ حول صديقه ورفيق دربه أحمد بن صالح، عند انتخابه أمينا عامًّا للاتحاد العام التونسي للشغل، فتولّى إدارة صحيفة «صوت العمل» الناطقة باسم المنظمة الشغيلة.

ولأنّ الشاذلي القليبي كان ينتمي إلى جيل آمن بدور الصحافة في مقاومة الاستعمار وفِي التبصير بأوضاع شعب مولّى عليه، سارع إلى الانضمام إلى أسرة جريدة الصباح عند تأسيسها في غرّة فبراير 1951 على يد رجل الأعمال الحبيب شيخ روحه الذي شجّعه الحزب الحرّ الدستوري التونسي على بعث صحيفة ترفد الحركة الوطنية. فاكتشف قرّاء «الصباح» أقلاما متميّزة ومفكّرين ألمعيين كانوا يسعون إلى نشر الوعي الوطني بقضايا الأمّة التونسية، من بينهم الشاذلي القليبي والحبيب بولعراس ومصطفى الفيلالي والحبيب الشطّي الذين سيتحمّلون مسؤوليات رفيعة في تونس وخارجها، سواء على الصعيد المغاربي أو العربي أو الإسلامي.

كما ساهم الشاذلي القليبي في تأسيس مجلّة «الندوة» التي بعثها صديقه حمّادي النيفر ونشر فيها عدّة مقالات ودراسات، وكتب في مجلّة «الفكر» التي أسّسها محمّد مزالي 9.

وكان إلى جانب ذلك أحد كتّاب افتتاحيّة جريدة «l'Action » الناطقة باسم الحزب الحرّ الدستوري باللغة الفرنسيّة، فاكتسب صيتا في الأوساط السياسية والإعلامية والفكرية في تونس.

سنوات الإذاعة

لعلّ كتابات الشاذلي القليبي في الصحافة هي التي جلبت انتباه الرئيس الحبيب بورقيبة إلى هذا الشابّ المثَقّف صاحب القلم الأنيق باللغتين العربية والفرنسية، فاستدعاه ذات يوم من ربيع عام 1958. أسرّ لي الفقيد الذي كانت تربطني به علاقة مودّة واحترام متبادلين بفحوى ذلك اللقاء الذي سيمثّل منعطفا حاسما في مسيرته، وذلك أيّاما قليلة بعد تعييني مديرا عامًّا لمؤسّسة الإذاعة والتلفزة التونسية في فبراير 1991 فقال: « فوجئت بدعوتي من الرئيس الحبيب بورقيبة الذي قابلته لأوّل مرّة. بادرني بالسؤال عمّا كنت أفعل فأخبرته بأنّي أستاذ في اللغة والآداب العربية.. ثمّ سألني : «هل قضيت يوما في السجن.. أقصد هل سجنت من أجل تحرير تونس من الاستعمار» ، فأجبته : «لا، سيدي الرئيس»، حينها قالي لي مبتسما : «لكي تُكفّر عن ذنبك ستقبل منصب مدير عام الإذاعة!».

ويواصل الشاذلي القليبي حديثه : «حاولت التعلّل بانشغالي بإعداد أطروحة دكتوراه دولة لأتخلّص من هذا العبء الثقيل، غير أنّ الرئيس قاطعني قائلا : «إنّ تحمّلك هذه المسؤولية أهمّ بالنسبة إليّ من شهادة الدكتوراه، فأنا في حاجة إلى من يردّ على الحملة الإعلامية التي تشنّها ضدّنا إذاعة صوت العرب » *10*.

بعد أن فرغ سي الشاذلي من رواية قصّة تعيينه على رأس الإذاعة التونسية 11 سألته مازحا : «أيّ ذنب أنا اقترفته حتّى أعيّن في هذا المنصب الحسّاس؟» فاكتفى ، رحمه الله، بابتسامة، قائلا باقتضاب شديد : «السياق مختلف».

عندما تسلّم الشاذلي القليبي مهامّه على رأس الإذاعة التونسية، لم يجد فيها سوى بعض المذيعين وشابيـْن لم تكن لهما مهامّ محدّدة، وهما التيجاني زليلة ومصطفى الفارسي فكلّف الأول بإدارة البرامج والثاني بالعلاقات الخارجية والتعاون الدولي.

وقد أولى الشاذلي القليبي اهتماما بالغا لعلاقات الإذاعة التونسية باتحاد الإذاعات الأوروبية، اعتبارا لما يمكن أن تجنيه من فائدة مقابل عضويتها في هذا الاتحاد، في مجالات إنتاج البرامج والهندسة والتدريب. كما استعان في القيام بمهامّه بحمّادي النيفر الذي عرّفه بالوسط الفنّي وبرموزه، وفي مقدّمتهم الموسيقار صالح المهدي (زرياب) .

سيقضي الشاذلي القليبي قرابة ثلاث سنوات وخمسة أشهر مديرا عاما للإذاعة التونسية التي واصل «تونسة» أقسامها، معتمدا في ذلك على كفاءات شابّة متحمّسة. كان الشاذلي القليبي يعي أنّ من أوكد ما على الإذاعة الاضطلاع به آنذاك: تطوير الإنتاج الإخباري والعمل على تنمية الوعي الوطني في بلد شرع بعد الاستقلال

في خوض «الجهاد الأكبر» ضدّ الجهل والتخلُّف، وعلى الإسهام في التعريف بسياسات الدولة وتوجّهاتها. وعلاوة على التصدّي لهذه الوظيفة الهامّة حرصت الإذاعة التونسية بدفع من مديرها العام على تقديم أرقى الأعمال الترفيهية من موسيقى ومسرح، وعلى إيلاء اللغة العربية المنزلة اللائقة بها في الموادّ الثقافية والأدبية التي اتّسع حضورها في الشبكات البرامجية، مع السعي إلى فسح مجال الإنتاج لأصحاب المواهب في شتّى ضروب الإبداع، فاصطبغت الإذاعة التونسية منذ ذلك الحين بطابع ثقافي مميّز ظلّ إلى الآن من تقاليدها الراسخة.

مهندس العمل الثقافي في تونس

ما من شكّ في أنّ خلفية الشاذلي القليبي الثقافية والنجاحات التي حقّقها خلال إدارته للإذاعة التونسيّة، هي التي أهّلته لتحمّل مسؤولية تأسيس وزارة الشؤون الثقافيّة، بعد أن نال التصوّر الذي قدّمه بشأن أهدافها وخطط عملها استحسان الرئيس الحبيب بورقيبة خلال أكتوبر 1961.

على امتداد قرابة عقد من الزمن (من 1961 إلى 1970)، عمل الشاذلي القليبي على تجسيم رؤيته للعمل الثقافي الذي يعتبره عاملا مساهما في مقاومة التخلّف، -والتخلّف أصله ثقافي وفكري وحضاري- وكذلك في تنمية هويّة الشعب التونسي وتطوير المجتمع مع الحفاظ على مميّزاته الاجتماعيّة والأخلاقيّة، بما فيها انتماؤه إلى الحضارة العربيّة الإسلاميّة. وأبدى الشاذلي القليبي حرصا شديدا على أن يكون العمل الثقافي عامل انفتاح على الحضارات الإنسانيّة، فكانت المهرجانات الدوليّة، وفي مقدّمتها مهرجان قرطاج وأيّام قرطاج السينمائيّة ومهرجان الفنون الشعبية ومعارض الكتاب، ومعارض الفنون التشكيليّة، وعروض الموسيقى والمسرح، فضلا عن الأنشطة الثقافيّة الأخرى التي لم تقتصر على المدن الكبرى، بل شملت أيضا سائر القرى في البلاد التونسية تجسيما لمبدإ الديمقراطية الثقافية. وقد صرفت جهود جبّارة، رغم تواضع إمكانات الدولة الفتيّة، في سبيل إضفاء طابع جماهيري على العمل الثقافي بكلّ أنساقه، فأنشئت دور الشعب والثقافة، والمكتبات العموميّة، وركّزت فرق مسرحية في عدد من الجهات، وعمّت الأنشطة الثقافيّة مختلف أرجاء البلاد . وأحاط الأستاذ الشاذلي القليبي به ثلّة من أفضل المثقّفين وفسح لهم مجال الاجتهاد والابتكار والإبداع، وقد كان ذلك أسلوبه في التسيير.

بعد انقطاع دام عاما، حطّ الشاذلي القليبي في سنة 1971 الرحال من جديد بوزارة الشؤون الثقافية التي غادرها سنة 1973، ثمّ ما لبث أن عاد إليها للمرّة الثالثة في سنة 1976 فبقي على رأسها إلى غاية سنة 1978 ليكون من بين الوزراء العرب الأكثر استمرارا في هذا المنصب.

القليبي وزيرا للإعلام

جمع الراحل الكبير بين حقيبة الإعلام وحقيبة الشؤون الثقافية في مناسبتين خلال عقد الستينات من القرن الماضي، ثمّ تولّى مهامّ وزارة الإعلام منفصلة عن الشؤون الثقافية في مناسبة وحيدة من سبتمبر/ أيلول 1978 إلى يونيو/ حزيران 1979، تاريخ انتخابه أمينا عاما لجامعة الدول العربية.

وكان للشاذلي القليبي دور كبير في رسم سياسات الإعلام التونسي وتوجيهه نحو التعريف ببرامج الدولة وخدمة أهدافها.

ويُحسب له كذلك مبادرته بتنظيم المؤتمر الخامس لوزراء الإعلام العرب بمدينة بنزرت التونسية في أواخر سبتمبر 1967عقب نكسة يونيو/ حزيران لتدارس أوضاع الإعلام العربي والوقوف عند هناته ومعوّقاته وتحديد السبل الكفيلة بالنهوض به وتطوير أدائه، فضلا عن وضع لبنات على درب تعزيز العمل العربي المشترك في هذا المجال، ممّا مهّد الطريق لقيام اتحاد إذاعات الدول العربية في فبراير 1969 بالخرطوم.

بعد عشر سنوات من مؤتمر بنزرت سيُعهد إلى الشاذلي القليبي بقيادة سفينة العمل العربي المشترك، على إثر نقل مقرّ جامعة الدول العربية من القاهرة إلى تونس وتجميد عضويّة مصر فيه بسبب إمضاء الرئيس محمد أنور السادات على اتفاقيات سلام منفردة مع إسرائيل برعاية أمريكية في كامب ديفد.

القليبي في قلب العواصف العربية

بتولّيه الأمانة العامة لجامعة الدول العربية في سنة 1979 بعد انتقال مقرّها إلى العاصمة التونسية، أصبح الشاذلي القليبي أوّل شخصية عربية ، من خارج مصر، ترتقي إلى هذا المنصب منذ نشأة الجامعة. ولعلّ العرب اختاروا تونس مقرّا للجامعة نظرا إلى اعتدال سياستها وحيادية مواقفها من الصراعات الدائرة آنذاك داخل الوطن العربي. وفِي هذا الإطار يتنزّل انتخاب الشاذلي القليبي لهذه المهمّة، فهو أحد أعضاد الحبيب بورقيبة، المشهود له بالكفاءة العالية وسعة التجربة السياسية، علاوة على ما يتميّز به من رصانة وهدوء وتبصّر، وهو أيضا الرجل الذي لم يكن في أيّ يوم من الأيّام طرفا في خصومة أو في خلاف ما، إذ نأى بنفسه عن الصراعات الإيديولوجية والحزبية أو معارك الهيمنة والمزايدات الثورية ..

كان الشاذلي القليبي يدرك منذ البداية أنّ القلوب لم تكن راضية عن قرار تعليق عضويّة مصر، رغم أنه اتّخذ دون أيّ اعتراض معلن، « وذلك لمكانة مصر من المجموعة العربية -فكرا ، وثقافة، وفنّا- ولدورها في النهضة الثقافية، ولإشعاعها الدولي، وفعلا، فقد تمّ نقل الجامعة في أجواء يغلب عليها التجهّم، خاصة أنّ أكثر موظفيها منعوا من الالتحاق بالمركز الجديد».12

في تلك الأثناء كان الشغل الشاغل لدى الأمين العام أن يسدّ الفراغ الذي تركه غياب مصر، وأن يتدارك حرمان مصر من الإسهامات المصرية التي لا غنًى عنها. فكثّف اتصالاته بزعماء الرأي القومي في مصر. ونظّمت الجامعة في تونس ندوات عن الأمن العربي، شاركت فيها وجوه من النزعة الناصرية. كما نظّمت ندوة كان لها صدى كبير عن آفاق العمل العربي المشترك، دعيت إليها ثلّة من المفكّرين المصريين، في طليعتهم الصحفي والمفكّر، محمّد حسنين هيكل.

وعقد الأمين العام للجامعة لقاءات دورية مع رئيس الوزراء الأسبق أيام عبد الناصر الدكتور عزيز صدقي، وخصّصت هذه اللقاءات لبحث قضايا الأمة العربية ولبلورة وجهات نظر تخدم مصالحها كافة.

يقرّ الأمين العام بأنّ تلك الفترة الأولى كانت صعبة على الأمانة العامّة، «إذ انقسمت فيها الآراء والقناعات_ جهارا أو داخل الضمائر-

بما كان يؤذن بانحسار الفكر القومي، وتراجع الإيمان بواجب بناء الروابط بين الشعوب العربية، فضلا عن الإيمان بانتمائهم إلى أُمَّة، العربية لغتها وثقافتها، والإسلام دينها وحضارتها».*13*

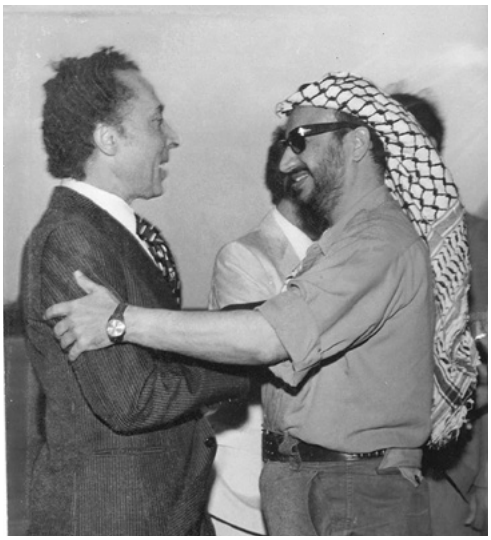

ولـمّا مسّت «الهواجس علاقات الأمانة العامة بعدد من الدول الكبرى، في العالم، كانت مصرّة على أنّ «الجامعة العربية» هي التي بقيت في القاهرة. كان لزاما على الأمين العام أن يواجه هذه الأوضاع الحرجة، بما يطمئن الرأي العام العربي على مصير منظّمتهم، وبما يقنع الدبلوماسية الدولية برجاحة التوجّهات السياسية التي تقدم عليها الجامعة العربية في تونس». 14

والتزم الشاذلي القليبي بخطاب سياسي متّزن ساهم في تقوية الثقة بين «جامعة تونس» وسائر المجتمع الدولي، ورأت وسائل الإعلام الإسرائيلية في رصانته خطرا على علاقات تل أبيب بأصدقائها في العالم.

وقد وضع الأمين العام الخطط العملية لتحرّك الجامعة الديبلوماسي باتجاه القوى السياسية الفاعلة في أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وفتح قنوات الحوار مع كبار زعماء العالم والشخصيات السياسية المؤثّرة، وأرسى قواعد للتعاون والتنسيق بين الوطن العربي وأفريقيا، ممّا أكسب الجامعة العربية وزنا على الساحتين الإقليمية والدوليّة، علاوة على لقاءاته المنتظمة مع القادة العرب قصد التشاور معهم بشأن أمّهات القضايا العربية والسعي إلى تسوية الخلافات العربية- العربية.

ولأنّ مشاكل الوطن العربي تكمن في تقدير الشاذلي القليبي في تعطّل جهود التنمية وفِي انعدام العدالة في توزيع الثروة، أولى البعد الاقتصادي في العمل العربي المشترك اهتماما بالغا، فعهد إلى كبار رجال الاقتصاد والتنمية في الدول العربية بإعداد دراسات دقيقة ومحيّنة لمشاريع تنموية في مختلف الدول العربية تحقيقا للتكامل الاقتصادي العربي.

وبعد أشهر من الحوار والنقاش والتشاور، **انعقدت أول قمّة عربية اقتصادية بعمّان في 25 نوفمبر1980.**

وحرص الأمين العام على **إقناع القادة العرب بضرورة عقد القمّة العربية بصورة دورية، واهتمّ بمشاركة كلّ الدول مهما صغر شأنها في صياغة القرارات الصادرة عنها والالتزام بها.**

وأنفق الشاذلي القليبي جهودا كبيرة لتنفيذ قرارين هامّين صادرين عن مؤتمر القمّة العاشر المنعقد بتونس في 20 نوفمبر/تشرين ثاني 1979، يتعلّق الأوّل بـ«**الإسراع بتعديل ميثاق الجامعة العربية في اتجاه تقوية العمل العربي المشترك والعمل على إعادة بناء أجهزته على أسس جديدة تكفل الفعالية والقدرة على التحرّك، بما يخدم تنمية القدرة العربية الذاتية ويؤول إلى تحقيق الوحدة العربية**»، ويخصّ الثاني «**ترسيخ مبدأ العمل العربي المشترك في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والطلب من كافّة المؤسّسات العربية ذات الاختصاص الانطلاق من هذه القاعدة**». 15

وحدّد الشاذلي القليبي منذ الأشهر الأولى قواعد السياسة التي ستحكم العلاقة بين الجامعة العربية والمنظّمات العربية المتخصّصة، داعيا إلى «تجاوز مفهوم الاختصاصات الوظيفية التخصّصية إلى مفهوم المصلحة العامة المشتركة وتحقيق معاني التكامل والتضامن بين كافة المنظّمات العربية وأن تكون القناعات قناعات جماعية وألاّ تحكم النصوص فقط هذه العلاقة لأنها لا تكفي لتوضيح هذه العلاقة...»16

وحرص الأمين العام على تعزيز التنسيق بين المنظّمات فيما بينها من جهة ، وبينها وبين الأمانة العامّة من جهة أخرى، حتّى يكون هذا التنسيق منصبّا على البرامج من أجل تحقيق التكامل الفعلي بينها، معتبرا أنّ مسؤوليات المنظّمات تتبع مباشرة إلى مؤسّساتها الدستورية ومجالسها العامة، دون تدخّل أو سيطرة من المجلس الاقتصادي والاجتماعي أو مجلس الجامعة أو إشراف علوي من الأمانة العامة، وبذلك جرّد قرار مجلس الجامعة رقم 3552 الصادر عام 1977 من كلّ مواده ومحتوياته، فألغى بصورة نهائية المرحلة السابقة للعلاقة بين الجامعة والمنظّمات والتي كانت قائمة إبان فترة القاهرة على قاعدة الإشراف المباشر على شؤون المنظّمات. 17

لكن من سوء الحظّ، قامت الحرب العراقية الإيرانية التي استمرّت ثماني سنوات مستأثرة بالاهتمامات العربية، فضلا عمّا تطلّبته الأزمة اللبنانية الداخلية من جهود مضنية لتسويتها، أفضت في نهاية الأمر إلى إبرام اتفاق الطائف في 30 سبتمبر 1989 الذي أنهى حربا أهلية في هذا البلد بعد أكثر من خمسة عشر عاما من اندلاعها.

ثمّ جاء الغزو العراقي للكويت في أغسطس / آب 1990 ليعمّق الشرخ العربي ويجلب إلى الوطن العربي ويلات وأهوالا لا يزال يعاني منها إلى اليوم.

وإزاء هذه النكبة التي كانت سببا في دخول جيوش أجنبية إلى المنطقة العربية، فضّل الشاذلي القليبي أن يستقيل من منصبه بعد أن قضّى فيه إحدى عشرة سنة شهد خلالها العمل العربي المشترك نقلة نوعية كبرى يشهد بها الملاحظون العرب والأجانب. وقد شرح الأمين العام دواعي قراره في رسالة بليغة ومؤثّرة بتاريخ 5 سبتمبر 1990 جاء فيها بالخصوص :

«لقد التزمت الصمت، كلّ هذه الأيام، وعلى مثل الجمر، منذ الثاني من (آب) أغسطس المنصرم، من دون إخلال بواجبي القومي. فأجريت عديد الاتصالات. وأصدرت عديد الرسائل، عربياً ودولياً، علنًا وسرًا، وشاركت في كلّ الاجتماعات المشتركة، وذلك تحاشياً لتعميق الخلافات القائمة داخل الأسْرة العربية، آملاً أن تسفر الجهود المبذولة عن الحلّ السياسي، الكفيل، وحده، بإنقاذ وحدة الصفّ العربي، ومصير الأمة.

ولكن، اليوم، وقد أصبح من الواضح، أنّ العمل العربي مُقدِم على انقسام خطير، وربما لمدّة طويلة، أجدني مضطراً إلى الكلام. نعم، حصلت، منذ *1979*، أزمات حادّة، داخل الأمة العربية، فرّقت بين بعض دولها. فقد التزمنا حيالها أخلاقية محدّدة، تتلخّص في تجنّب البيانات، إعلاميًا، مع بذل جهود دؤوبة، ومهمّة، بصبر وجَلد. فكان ذلك بالنسبة إلى الخلافات بين منظمة التحرير الفلسطينية وسورية، والخلاف المزمن بين سورية والعراق، أو ما طرأ من توتّر، على العلاقات بين بعض الدول الشقيقة، ومنها الوطن الذي أنتمي إليه.

لكن الأمر، بلغ، اليوم، ذروة الخطورة. ولذلك، قرّرت أن أعلن قلقي عن أملنا القومي، من المخاطر المحْدِقة به، وأنهي الاضطلاع بمسؤوليتي، كأمين عام لجامعة الدول العربية. ذلك أنه كان لي أمل، حتى هذه الأيام الأخيرة، في إمكان الحلّ السلمي، على رغم الصعوبات. ولكن، اتضح لي، الآن، أنّ هذا الحل، لم يعد مجدياً،

حتى لو تمّ الاهتداء إليه، وقِبلتْ به جميع الأطراف العربية المعنية؛ والسبب هو إصرار جهات أجنبية على استعمال القوّة، وأوّلاً، وأساساً، القضاء على قوّة عربية، بإمكانها أن تحدّ من أطماع إسرائيل بالتوسّع والهيمنة على المنطقة...»

وختم الشاذلي القليبي رسالته قائلا:

«نأمل أن تتضافر كلّ العزائم الصادقة، والجهود المخلصة، في كلّ دولنا، من دون استثناء، من أجْل أن تجتاز الأمة هذه المحنة، قبْل أن يفوت الأوان، فيعمّ السيل العارم كلّ الأراضي المحتلّة. ولئن كان لنا رجاء، نتقدّم به إلى إخواننا، قادة هذا الكفاح المقدّس، الذين نكنّ لهم كلّ محبة، وكلّ تقدير ـ فهو أن يلتزموا، مستقبلاً، عدم الدخول طرفاً في أيّ نزاع عربي، وأن يبدأوا بالتفكير، من الآن، في طبيعة النظام، الذي سوف تتبنّاه الدولة الفلسطينية، بعد الاستقلال. وسأبقى إلى جانب هذا الكفاح المقدَّس، بكلّ ما أوتيت من جهد وحماس وإخلاص.

ولئن كانت لنا أمانة نودِعها قادة دولنا، الذين نكنّ لهم جميعاً كلّ الاحترام ـ فهو أن يجعلوا البيت العربي قائماً على الوحدة والتضامن، في السرّاء والضرّاء، وعلى التكافل، الذي وضعوا أُسُسه، وكرّسوه في قمّة عمّان، عام *1980*؛ لأنّ وحدة الصفّ من وحدة الأمة».

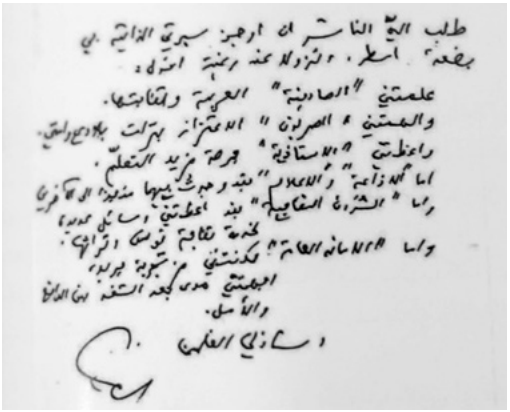

وإذا ما أردنا في ختام هذا المقال أن نوجز في سطور سيرة الشاذلي القليبي، فلن نجد أبلغ ممّا خطّه الراحل بيده على غلاف أحد كتبه حيث قال :

«علّمتني «الصادقيّة» العربية وثقافتها.

وألهمتني «الصربون» الاعتزاز بتراث بلادي وأمّتي.

وأعطتني «الأستاذيّة» فرصة مزيد التعلّم.

أمّا الإذاعة و«الإعلام» فقد وجدت فيهما منفذا إلى الآخرين.

وَأَمَّا «الشؤون الثقافية» فقد أعطتني وسائل عديدة لخدمة ثقافة تونس وتراثها.

وأمّا «الأمانة العامّة» فمكّنتني من تجربة فريدة أفهمتني مدى بُعد الشقّة بين الواقع والأمل».

المراجع

1 - أسّسها المصلح خير الدين التونسي في سنة 1875 في عهد محمّد الصادق باي . وتعدّ أوّل مدرسة ثانوية عصرية في البلاد التونسية، جاءت لتعاضد مجهود المدرسة الزيتونية في نشر العلم. وقد تخرّجت من الصادقية العديد من القيادات والشخصيات السياسية في تونس.

2- عبدا الحفيظ الهرقام، «الشاذلي القليبي سياسيّا ووطنيّا»، مجلّة ليدرز العربية، تونس، العدد 53.

3 -محمود المسعدي (1911 - 2004) كاتب ومؤلّف تونسي . بعد أن درّس في التعليم الثانوي والتعليم العالي، انخرط في العمل النقابي والعمل السياسي. إثر استقلال تونس في سنة 1956، تولّى محمود المسعدي وزارة التربية وأسّس الجامعة التونسية. وفي سنة 1976 تقلّد منصب وزير الشؤون الثقافية، قبل أن ينهي حياته السياسية رئيسا لمجلس النوّاب.

4- من محاضرة ألقاها الشاذلي القليبي في 29 ديسمبر 2005، بمناسبة إسناده الدكتوراه الفخرية من الجامعة التونسية.

5 -المصدر السابق.

-6 مجلّة ليدرز العربية، تونس / أكتوبر 2015.

-7 عبد الحفيظ الهرقام، المصدر السابق

8 - المصدر السابق.

9 -محمّد مزالي (1925 - 2010) كاتب ومفكّر تونسي، أَسّس مجلّة «الفكر الأدبية». تولّى مناصب وزارية، آخرها منصب الوزير الأوّل (1980 - 1986).

10- شنَّت وسائل الإعلام المصرية، ومن بينها إذاعة صوت العرب حملة ضدّ الحبيب بورقيبة، على خلفية خلافه المحتدم مع غريمه صالح بن يوسف، أحد أبرز زعماء الحركة الوطنية (1907 - 1961) الذي لجأ إلى القاهرة بعد طرده من الحزب الدستوري التونسي. وقد ناصر النظام المصري بن يوسف الذي كان يعتبر اتفاقيات الاستقلال الداخلي التي أبرمتها تونس مع فرنسا «خطوة إلى الوراء» في حين كان يعتبرها بورقيبة خطوة نحو الاستقلال التامّ. اغتيل صالح بن يوسف بأحد فنادق مدينة فرنكفورت الألمانية في 12 أغسطس 1961 من قبل مجموعة مسلّحة أرسلها النظام التونسي. دفن بالقاهرة قبل أن تنقل رفاته إلى تونس في سنة 1988.

11 -لم يكن التلفزيون التونسي موجودا في ذلك الوقت. وسيكون انطلاق بثّه في 31 مايو 1966.

12 -من تقديم الشاذلي القليبي لكتاب د. محي الدين المصري، جامعة الدول العربية : من كامب ديفد إلى تونس، نشر وتوزيع مؤسسة بن عبد الله، تونس ص 5 وص6

13 - المصدر السابق، ص .6

-14 المصدر السابق، ص .6

-15 د. محي الدين المصري، جامعة الدول العربية : من كامب ديفد إلى تونس، ص 45، ص 46

16 –المصدر السابق، ص49

17 –المصدر السابق، ص 49، 50

إلى أستاذي الراحل

د. أحمد محمود يوسف

المدير المؤسس للمركز العربي الهندسي بالخرطوم

بقلم المهندس عبد الرحيم سليمان
المدير العام لاتحاد إذاعات الدول العربية

يوم الثالث والعشرين من مايو 2020، غيّب الموت الدكتور أحمد محمود يوسف المدير المؤسس للمركز العربي الهندسي الذي وافاه الأجل المحتوم عن سنّ تناهز الحادية والثمانين. وبرحيله تفقد الساحة الهندسية والاتصالية العربية منها والدولية، شخصية مرموقة كان لها الفضل في تأسيس هذا الجهاز الفنّي الدائم عام 1972 بالخرطوم، ليكون ذراعًا قويًا يعتمد عليه اتحاد إذاعات الدول العربية في كلّ نشاطاته الهندسية.

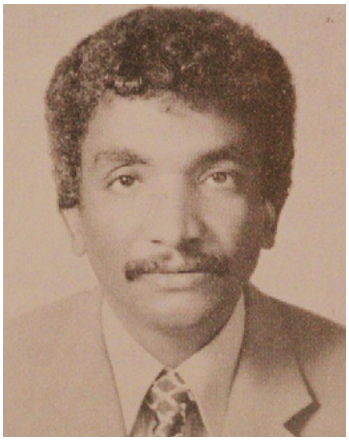

والدكتور أحمد محمود يوسف هو من أهالي قرية أمبوكول في شمال السودان، أكمل دراسته الثانوية بكلية كمبوني، وتخرّج من كلية الهندسة بجامعة الخرطوم عام 1964. ونال درجتيْ الماجستير والدكتوراه في اختصاص هندسة الاتصالات ونظم المعلومات من جامعتيْ برمينغهام وبرادفورد في بريطانيا عاميْ 1968 و1971، ولدى عودته إلى السودان اشتغل المغفور له في وزارة المواصلات، مع التدريس بكلية الهندسة.

وفي الأثناء تمّ اختياره – بناء على ترشيحه من قبل وزارة الإعلام في الحكومة السودانية لإدارة المركز الهندسي، بدرجة أمين عام مساعد في سلّم وظائف جامعة الدول العربية. وكان هذا الجهاز رهانا اتصاليا واقتصاديا بالغ الأهمّية وعميق الأبعاد في مطلع السبعينات، حيث أنيطت بعهدته مهامّ تنفيذ قرارات الاتحاد ذات الطابع التقني وجمع المعلومات الهندسية في مجال الإذاعة والتلفزيون ونشرها، والقيام بالدراسات الخاصّة التي تطلبها الهيئات الأعضاء، والتنسيق بين اللجنة الهندسية ومجموعاتها المتفرّعة والمجلس الإداري للاتحاد.

وأظهر الفقيد منذ البدء كفاءة عالية في التسيير ونباهة لافتة في الاستشراف، معتمدًا في ذلك على نخبة من الشباب الجامعي السوداني، أسعدني الحظ بأن كنت واحدًا منهم.

ونحن نقرّ له -طيّب الله ثراه- بما حبانا به من رعاية سخيّة وما منحه إيّانا من كريم عناية في توجيهنا وتكويننا على أسس متينة، ممّا ساعدنا على الاستفادة من خبرته الفائقة والنهل من معرفته الواسعة الشيء الكثير في المجال الهندسي والتكنولوجي.

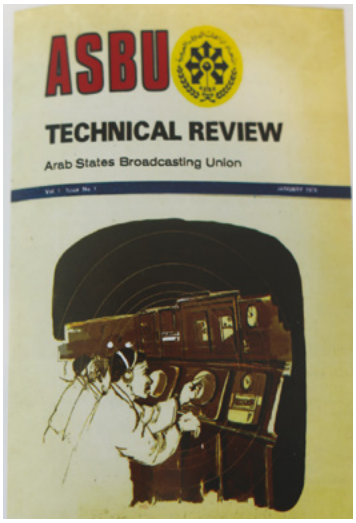

ووسط المناخ المهني المريح الذي وفّره المغفور له، تركّزت الأنشطة الفنّية للمركز على إعداد الدراسات والبحوث الهندسية، وتوحيد المعايير والأجهزة، في ضوء ما تقوم به الهيئات العالمية الأخرى. كما تولّى التغطية التلفزيونية والإذاعية لأجهزة الإرسال، وتخطيط استخدامات التردّدات والأقمار الصناعية، وإقامة الحلقات الدراسية والدورات التدريبية والورشات الموضوعاتية للعاملين بالدوائر الهندسية في هيئات الإذاعة والتلفزيون العربية، إلى جانب التدريب والتعاون الفنّي.

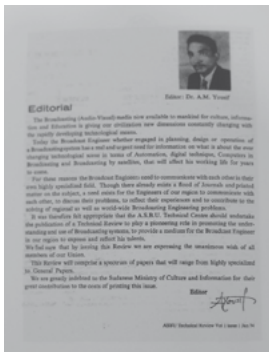
Editorial

كما تمثّلت الأنشطة في نشر المعلومات ذات العلاقة بالقطاع الهندسي والتكنولوجي لكافة أعضاء الاتحاد، وتبادل المعلومات مع الهيئات النظيرة، وتوزيع ما يستجدّ من تطوّرات فنية بالنشرات الدورية في المجالات التلفزيونية والإذاعية وتبادل البرامج.

وقد أولى المركز، بدفع من مديره الدكتور أحمد محمود يوسف اهتماما متزائدا للرصد وقياسات الترددات. وبناء على توصية أصدرتها اللجنة الهندسية في دورتها الخامسة، أنشئت في 20 أبريل 1978 محطّة رصد أشرفت بالتنسيق مع الاتحاد الدولي للاتصالات على الإرسال الإذاعي في المنطقة العربية، ومراقبة نطاقات الترددات بصورة منتظمة وتحديد المحطات العاملة في هذه النطاقات، ومراقبة نوعيّة الإرسال وتحديد اتجاهات محطاته، وكذلك مراقبة الإرسال على الموجات الطويلة والمتوسطة والقصيرة بشكل مستمرّ، والعمل على سير مجال النطاق الترددي لهذه الموجات.

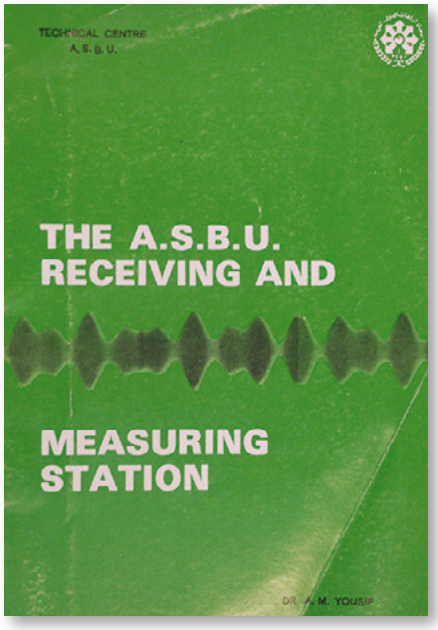

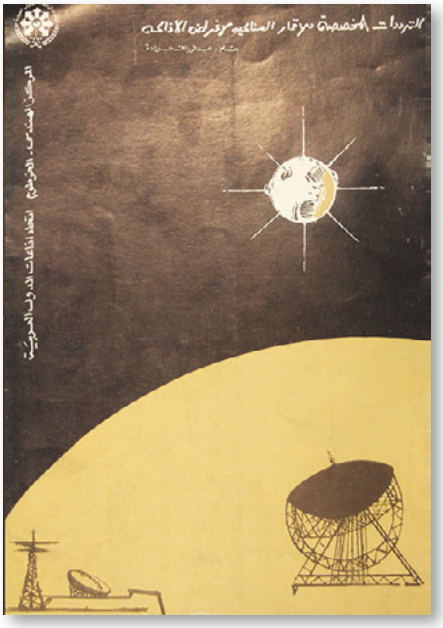

وشارك المركز في مؤتمر جينيف لتوزيع استخدام الترددات الإذاعية، وأعدّ دراسة لاحتياجات البلدان العربية من الموجات القصيرة، تمهيدًا للمشاركة العربية في المؤتمر الإداري العالمي للراديو الذي عقد في سنة 1979.

ويُحسب للمركز الهندسي اضطلاعه بدور محوري في الانتقال من التلفزيون الأبيض والأسود إلى التلفزيون الملوّن، حيث أجرى اتصالات مع الجهات المسؤولة عن التصنيع في البلاد العربية لتنسيق موعد تصنيع أجهزة الاستقبال الملوّنة وإعداد خطة حول هذا الموضوع تسمح باشتراك أكبر عدد من الدول العربية في تصنيع الأجهزة، وتحديد أيّ النظامين PAL أو SECAM أفضل من الثاني.

وشملت الاتصالات في ذات الوقت الإذاعات العربية غير المنضمّة إلى الاتحاد لمعرفة نواياها، حتى تتوفّر المعلومات التي تتيح دراسة إمكان توحيد نظام التلفزيون الملوّن في الوطن العربي.

وفي مستوى آخر، أعدّ المركز دراسة مشروع تبادل الأخبار بين التلفزيونات العربية عبر أقمار إنتلسات. كما قام بدراسة إعادة توزيع استخدام القنوات بمنطقة الخليج لتفادي التداخل.

وإلى ذلك، أصدر أوّل مجلة تُعنى بشؤون الهندسة الإذاعية والاتصالات على الصعيدين العربي والإفريقي، فضلا عن مجموعة من المنشورات استفاد منها المهنيّون والباحثون في شؤون الهندسة الإذاعية والاتصالات بوجه عام.

لقد امتدّت إدارة الدكتور أحمد محمود يوسف للمركز في العاصمة السودانية من 1972 إلى 1979.

سبعة أعوام فقط من عمر هذا الجهاز الفنّي جعلته يكتسب الريادة في مجالات اختصاصه. فقد كانت حافلة بالمشاريع والإنجازات التي دعّمت رسالة اتحاد إذاعات الدول العربية، الإعلامية والتكنولوجية.

ولا شك في أنّ الرصيد الثريّ، الذي أحرزه المركز بفضل حنكة الأستاذ الدكتور أحمد محمود يوسف وحسن تدبيره، أهّل المنعّم المبرور لشقّ طريقه نحو العالمية، من خلال التحاقه عام 1980 بالاتحاد الدولي للاتصالات في جينيف. حيث عيّن مسؤولا عن المشروعات لتطوير الاتصالات في دول وسط أوروبا وشرقها...

وقد مكّنه إشعاعه الواسع وذيوع صيته في المحافل الدولية من أن يتمّ اختياره فيما بعد رئيسا لقسم الاتصالات بمنظمة الأمم المتحدة في نيويورك، وهو المنصب الذي شغله لمدّة ثلاث سنوات (1986 – 1988).

وإثر هذه التجربة الأممية، سجّل عودته من جديد إلى الاتحاد الدولي للاتصالات بجينيف لمزاولة عمله في مكتب تطوير الاتصالات، حيث أشرف على وضع الدراسات في كيفية استغلال الكمبيوتر لإدارة استخدام الطيف الترددّي، وكذلك القيام بتنظيم حلقات دراسية للدول الأفريقية في تغطية المسائل التنظيمية (regulatory matters) وتصميم برمجيات إدارة الطيف آليّا الـ Basic Automated Spectrum Mangement System: BASMS، وتقديم المساعدة لعدّة إدارات في مجال إنشاء أقسام أو هيئات اتصالات، وكانت له زيارات عمل كثيرة إلى بلدان العالم شرقا وغربا.

وأحيل الدكتور أحمد محمود يوسف على المعاش في عام 2000، بعد مسيرة علمية ومهنية متألّقة، تميّزت أيضا بنشر ما يزيد على الثلاثين بحثا في الدوريات الهندسية والإلكترونية العالمية. ويكفيه فخرًا أنه مثّل بلاده السودان أحسن تمثيل في الخارج، وترك بصماته واضحة من خلال تقلّده لعديد المناصب السامية في المشهد الاتصالي العربي والدولي.

واعترافًا بخدماته الجليلة وإسهاماته البديعة في مجال هندسة الاتصالات، حرصت الإدارة العامة لاتحاد إذاعات الدول العربية على تكريم الفقيد العزيز بمناسبة احتفاليته بالذكرى الخمسين لتأسيسه في يونيو 2019 بتونس.

رحم اللّه أستاذي الجليل الدكتور أحمد محمود يوسف الذي أدين له بأفضاله الجمّة عليّ في تأطيري وصقل مواهبي، وأدعو اللّه العليّ القدير أن يتغمّده بواسع رحمته وأن يسكنه فراديس جنّاته. إنه سميع مجيب.

Abstract

In an effort to keep up with the global pandemic crisis, this issue of the « Arab Radio Review » devotes its main section to « The Covid 19 pandemic and its implications: the Corona disturbs the work and production systems of radio and television corporations. The ASBU Director General, Eng. Abderrahim Suleiman, introduced it in his editorial. He reviewed the enormous damages that hi various world countries in all life aspects.

He highlighted the pivotal role played by all the media, especially audio-visual, electronic and social media. It represented an efficient tool providing news and awarness-raising education to viewers, listeners and other recipients, as well as the latest developments taking place successively as a result of this epidemic disaster.

The Director General indicated that ASBU represented a major support for its member corporations, through its relentless pursuit to ensure the continuity of its activities, in particular the meeting of its Executive Council (103) using remote communication technologies, along with the dynamic that characterized the news exchange system, and ASBU's training Academy to carry on its mission through its advanced platform .

The reader finds in the section a series of articles and studies, namely:

Corona and Arab screens: Balance changes in television work.

The effects of the Covid 19 crisis on public channels in the Arab countries.

Media coverage of the pandemic from the health, social and psychological aspects and its implications on the environment and ecology.

Beyond Corona: The setback of West modernity facing the death coming from the Far East.

The first globalized pandemic.

All this culminates in a study on «Communication Ethics in the Time of Digitization and Globalization».

The Review included other issues coverage, mostly the meeting of the ASBU's Executive Council, which came out with important recommendations regarding activities to be organized during the 2020second semester, according to the strategies that were set up for the purpose.

As part of the ongoing interest in the public media sector, the issue includes these articles:

Media between government domination and the power of capital: the Egyptian media as a model.

Is classical media over?

Paths of thinking about jobs and roles: Tunisian Radio as example.

In addition to the section on developments in communication technologies, which monitors the latest developments in the field, the Review pays hommage to two Arab figures whom we lost to death recently: Professor Chedly Klibi, Minister, Thinker, Intellectual and former Secretary General of the League of Arab States.

And Dr. Ahmed Mahmoud Youssef, founding director of the Arab Engineering Center in Khartoum, and senior official of both the International Telecommunications Union (IUT) and the United Nations.